الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة مصطفى اسطمبولي – معسكر –
كليـــــة الآداب واللغـــــات
قسم اللغة والأدب العربـــــي

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، الطور الثالث (ل م د).

تخصص: لسانيات عربية.

موسومة بـ:

مباني القرائن و دورها في تحديد الفروق اللّغوية في لغة القرآن.

إعداد الطالبــة:
درني حورية

إشراف:
أ.د عبــد القادر بن فطة

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د بابا أحمد رضا	أستاذ التعليم العالي	جامعة معسكر	رئيســـــا
أ.د بن فطة عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	جامعة معسكر	مشرفا ومقررا
أ.د سعيد عكاشة	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مناقشـــــا
أ.د. بن فريحة عبد الصمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة سعيدة	مناقشـــــا
أ.د. بلي عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	مناقشـــــا
د. شايدة سفيان	أستاذ محاضر "أ"	جامعة معسكر	مناقشـــــا

العام الجامعـــي:

1442هـ.1443هـ/ 2021م.2022م

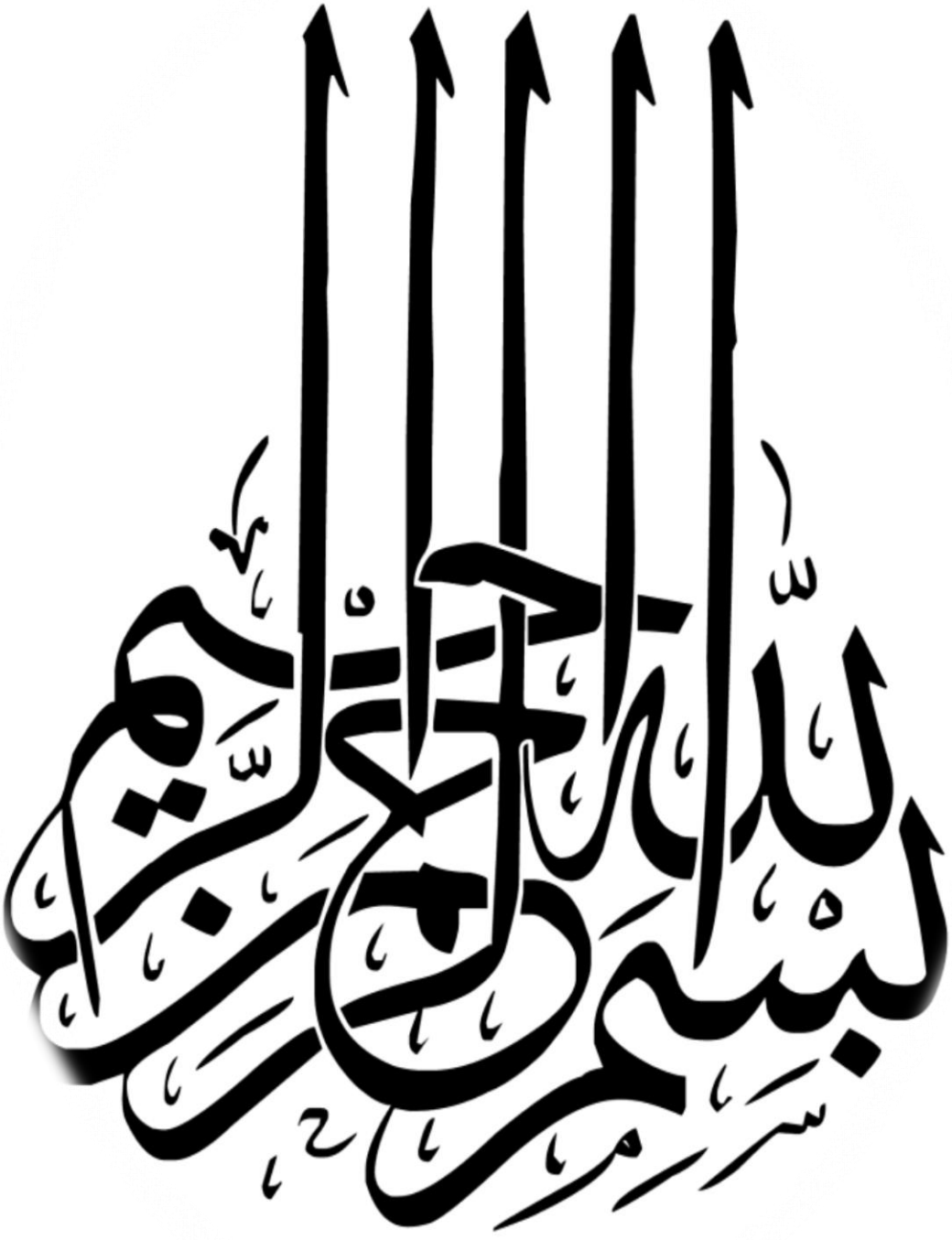
بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر وعرفان:

الشكر لله أولاً و آخرًا على ما منّ عليّ من إتمام هذا العمل بعد جهد مضن وطريق شاق، وله الحمد على نعمة الصّحة والعافية وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى، كما أتوجه بشكري الخاص إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور: «بن فطة عبد القادر» الذي أشرف على سير هذا البحث العلمي، وأقدّر له نصحه وإرشاده وحرصه على أن يكون العمل في أحسن صورة، وإلى الأساتذة الأفاضل من لجنة المناقشة ولا أنسى كلّ من أعانني على هذا التحصيل من قريب أو بعيد من دون أن أنسى أساتذتي الكرام طوال مدّة دراستي وما بذلوه لي من احترام وتقدير، وإلى كلّ قسم اللّغة العربية وما يقدّموه من مجهودات جبّارة في سبيل الارتقاء باللغة العربية وأهلها، وأشهد اللّه أنّي لفضلهم شاكرة.

طالبة الدكتوراه:

درني حورية

إهــداء:

إلى التي يعجز اللسان عن شكرها، وتعجز العبارات عن وصفها

إلى ينبوع الحنان وبلسم الجرح ونسيم الفؤاد وقرة العين:أمي الحبيبة.

أهدي أجر ثمرة عملي إلى والدي رحمه الله وأسأل الله أن يتقبلنا ذرية صالحة ويجزيه عنّا خيرا لحرصه على تعليمنا.

إلى من حمل الهم عنيّ عندما كلّت يميني ، وإلى من آزرني وساندني، في أمر دنياي وديني ،إلـي رفيق الدّرب وشريك الحياة:

زوجي الغالـي.

إلى من صبرن على غيابي وأنا بينهن، إلى من دعون لي بالتوفيق والإعانـة، بناتي الحبيبات:

مريم ، جويرية ،صفية والزهرة الجديدة في حديقتي :رفيدة.

وإلى كلّ إخوتـي وأخواتي الذين لم يتعبوا من نصحي وتشجيعي وتحفيزي بالكلمة الطّيبة ، وإلى صديقاتي وكلّ من أعانني بالدعاء الصّادق و عاملني بقلب محبّ وتمنى لي الفأل الحسن.

أهدي ثمرة جهدي وعملي المجدّ المثابر، مع دعائي لهم بالتوفيق لما يحب ربنا ويرضاه.

مقدمـــــة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله و بعد، إنّ الخوض في لغة القرآن الكريم وفهمها من أهم ما سعى إليه الكثير من اللّغويين قديما وحديثا باعتبارها أنموذجا لغويا إعجازيا لا يمكن مضاهاته، فضلا عن كون القرآن الكريم كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم، واجتهادهم في فهمه جعلهم يبذلون الغالي والنّفيس لأجل تحقيق غاية معرفة معانيه وبيان مقاصده ومراميه، وإجلاء تراكيبه ومبانيه، فظهرت الدّراسات والأبحاث، وتعددت العلوم والمعارف، وكلّها تدور حول غاية نبيلة، وهي الحفاظ على النّص القرآني من التّحريف والتّصحيف والتّبديل، ولقد كان لعلم التّفسير والمختصين فيه الدّور الكبير في الوصول إلى حقيقة القرآن الكريم، وبلوغ أبعاده الخفية، ولفهم النّص القرآني وفقه الكلام الرّباني، كان لزامًا على المشتغلين بهذا العلم أن يبحثوا عن السّبل الميسّرة التي تحكم هذا العلم، وتوجّه من يسلكه ويقتفيه، وقد عُلم أنّ التّبحر في محيط التّفسير لا يؤتى إلاّ لمن مُلئ قلبه وعقله بالفطنة وأحاط بعلوم جمّة ومعارف شتّى، وانطلقوا في هذا كلّه من لغة القرآن التي نزل بها، وأعجز أهلها بنظمها وهي اللّغة العربية.

تميّز النّص القرآني بالدّقة والضّبط في اختيار مفرداته وتراكيبه وفي شتّى صوره، وإنّ نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فتح للغته باباً واسعًا من أبواب النّمو والغنى، الذي لم يكن ليؤتى لها لولا فضل هذا الكتاب المبين، فقد نشأت علوم العربية في ظلال القرآن وترعرعت في رحابه، ونحن كلّما تناولنا لغة القرآن بالتأمل والتمحيص، وتعمقنا فيها بالتحليل والاستقراء، ازددنا يقينا من أنّنا جاهلون بأسراره، واكتشاف درره وتذوق بيانه، فلا تكاد ترى كلمة منه أو حرفا إلاّ وأخفى كنزا من كنوزه، علمها من علمها وجهلها من جهلها، ومثال ذلك ما يظهر في كلماته، التي لو زحزحتها عن أماكنها رأيتها متذبذبة نافرة، وكأنها آنست موقعها واستوحشت بغيره، وهذا مردّه إلى دقة بلاغتها، واختلافها عن غيرها ولو شابهته.

إنّ معرفة التباين الدلالي بين كلمات القرآن الكريم وتراكيبه وإدراك مختلف الفروق، مبحث هام في اللّغة فضلا عن القرآن، فلا يجوز أن نغفل عن فقه معاني القرآن العظيم انطلاقا من أصغر وحداته إلى النّص برمته، فذلك كفيل للوصول إلى مقاصده، وإدراك دلالته، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال مجموعة من الآليات

والروابط والقرائن لغوية كانت أم غير لغوية، ولهذا الغرض ارتأيت البحث في هذا الموضوع، منطلقة من الإشكالية الآتية وهي:

كيف يتجلى انعكاس فهم القرائن على إدراك مختلف الفروق اللّغوية القرآنية؟

وسعيا منّا للإجابة عن هذه الإشكالية حاولنا إثارة الموضوع انطلاقا من بعض التساؤلات الفرعية، وهي:

-ما مدى انعكاس الفروق اللّغوية على الإعجاز القرآني؟

-إلى أي مدى تؤثر القرينة في فهم مقصدية الخطاب وتغيير المعاني جذريا؟

-ما هي أبعاد وتجليات معرفة الفروق اللّغوية في التّعامل مع لغة القرآن الكريم؟

تساؤلات عدة سنحاول إثارة بعض جوانبها في موضوع "القرائن والفروق" الذي يعتبر من المواضيع التي كتب فيها القدامى والمحدثون على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم، فهو يبحث في الدرس اللّغوي خاصة المستوى الدلالي، ويحقّق الاكتمال للقراءة فيعطيها أشكالا من المعاني، وهو في صوره يوصل الدلالات والمشاعر إلى المتلقي بما ينمي قدرته الذهنية والمعرفية.

غير أنّ كتاباتهم تضرب في اتجاهات مختلفة، وفقا لما تمليه عليهم الظروف، وطبيعة التخصص، والغالب أنّها تتّفق في الكثير من الجوانب لتعلّقها بتفسير القرآن الكريم وفهم مقاصده، ومن أهم الأسباب والدوافع التي شجعتنا على اختيار هذا الموضوع هي:

. اتّصاله بالدّراسات القرآنية، وما في ذلك من فائدة وفضل، خدمة للقرآن الكريم ومحاولة لفهمه وبيان وجوه إعجازه.

. طبيعة هذا الموضوع الذي يمثل نقطة تقاطع بين علوم القرآن، وفروع علم اللّغة، ومعالجتها في ظل الدّراسات اللّغوية.

. بعد اطّلاعي و تصفّحي لبعض ما دوّن في هذا الموضوع حديثا، وجدته يكرّس مبدأ التبعية والتسليم لما قرّره السلف في مسألة القرائن وعلاقتها بالفروق فلا تضارب بين القدامى والمحدثين في هذا الشأن مع اختلاف بسيط في كيفية تناوله ودراسته بين اللغويين والأصوليين.

. كان اختياري موضوع «مباني القرائن ودورها في تحديد الفروق اللّغوية في لغة القرآن » للبحث والدراسة، والقصد من ورائه الإشارة إلى تقصي الفروق اللّغوية بين المفردات والتّراكيب القرآنية استنادا على القرائن اللّفظية والمعنوية لأنّها البيئة التي احتضنت النص القرآني بالتحليل والاستقراء، وهذا الأمر استوعبه القدامى والمحدثون.

بعد أن اتّضحت لي معالم البحث، عزمت على تناوله بالدرس والتحليل، وارتأيت أن أشتغل على لغة القرآن الكريم الحافلة بالقضايا اللّغوية فكانت نافذة أنارت الطريق للغويين القدامى لإنجاز دراسات لغوية استفاد منها المحدثون باستقصاء المادة العلمية، وجمعها ليستندوا عليها.

إنّ طبيعة رسالتي إذ تنطلق من مرجعية أصيلة – وهي القرآن الكريم– تعتمد تحليلا لغويا قائما على المزاوجة بين موضوعي القرائن والفروق في الوقت نفسه وفقا لمنهج لغوي علمي لاستقراء بعض الظواهر اللّغوية واستنباط الأحكام وإيضاح المقاصد القرآنية وهذا كله استنادا على التّفاسير القرآنية.

اعتمدت في رسالتي على المنهج الوصفي في الجانب التراثي والحديث لما قام به القدامى والمحدثون، ثمّ أضحى تحليليا للدراسة التطبيقية، وعلى هذا الأساس فقد عقدت لهذا البحث مقدمة ومدخلا تمهيديا وبابين يحتوي كلّ منهما على فصلين، وقد كانت خطة البحث كما يلي:

. مقدمة الأطروحة ذكرت فيه أهم العناصر المنهجية التي يجب أن تتوفر في البحث العلمي الأكاديمي وفقا لما يقتضيه من تحديد لموضوع الدّراسة، وهو علاقة القرآن الكريم باللّغة العربية ومدى حاجتنا لفهم القرآن بدءاً من لغة نزوله، وما في الاستعانة بفروع اللّغة من أهمية لفقه مقاصد الذكر الحكيم، منطلقين من الإشكالية قصد الإجابة عن بعض التّساؤلات الفرعية، وقد تطرقنا إلى أسباب اختيار الموضوع، والمنهج المتّبع، معرجين على ذكر بعض الصعوبات التي واجهتنا في سير هذا البحث، وصولاً إلى أهم المصادر والمراجع المعتمدة والخطة المتّبعة. . . أمّا المدخل فقد خصصته تمهيدا للحديث عن القرائن، والفروق اللّغوية.

ومن ثمّ انتقلت إلى لب الموضوع في بابين:

الباب الأول: قسمته إلى فصلين:

الفصل الأول: تناولت فيه القرائن السياقية والدلالية والعقلية ودورها في تحديد الفروق اللّغوية القرآنية، وفيه ناقشت موضوع السياق وأهميته في الدراسات القرآنية، ودوره في القراءة وبيان مقاصد الخطاب القرآني،

وكذا انعكاسه على علم الدلالة ومباحثها، والفروق الأساسية التي يمكننا تمييزها من خلال قرينة السياق وما ينبري عنه، ثم انتقلت إلى الحديث عن القرائن العقلية ودورها في تحديد مختلف الفروق.

الفصل الثاني: تحدثت فيه عن القرائن الصوتية ودورها في تحديد الفروق اللّغوية القرآنية، وقد قسمته إلى مبحثين أساسيين أمّا الأول فيدور حول الحديث عن المستوى الصّوتي في الدّراسات اللّغوية وعلاقته بالقرآن الكريم، تعرضت فيه لبعض النّقاط الأساسية من مثل : تعريف المستوى الصّوتي، الطبيعة الصّوتية للقرآن، وظائف الصّوت اللّغوي، ودلالة الصّوت في القرآن الكريم، أمّا المبحث الثاني فكان حديثي عن بعض القرائن والظواهر الصوتية كالنبر والتنغيم والوقف، وكل ظاهرة أو قرينة وقفت على دراسة بعض محاورها الأساسية بالمزامنة مع ذكر الفروق اللّغوية على ضوء نماذج قرآنية مختارة.

الباب الثاني: قسمته بدوره إلى فصلين:

الفصل الأول: تضمن القرائن الصرفية ودورها في تحديد الفروق اللّغوية القرآنية، أما المبحث الأول فيه: فهو عن المستوى الصّرفي في الدّراسات اللّغوية وعلاقته بالقرآن الكريم، تحدثت فيه عن بعض النّقاط المتصلّة بموضوع الصّرف من مثل: التعريف بالصّرف، مكونات النّظام الصّرفي في اللّغة العربية، تعريف الميزان الصّرفي وفوائده، موقع علم الصّرف من الفروع اللّغوية والدّلالة التّصريفية في القرآن الكريم، وانتقلنا بعد ذلك إلى المبحث الثاني، وفيه تناولنا بعض القرائن الصرفية وهي قرينتي: المطابقة، ومبنى الصيغة ومالها من دور في تمييز مختلف الفروق.

الفصل الثاني: قد تضمن الكلام فيه عن القرائن النحوية ودورها في تحديد الفروق اللّغوية القرآنية، وقد تناولت بعض المسائل المتعلقة بالدّرس النّحوي، وأهم النّقاط المتعرّض لها في هذا المبحث: تعريف النّحو، النّحو في الدّراسات اللّسانية ، نشأة النّحو العربي، وظيفة النّحو وغايته، مكونات النّظام النّحوي العربي، والإعجاز التركيبي في القرآن الكريم، العلاقات والقرائن النّحوية ومنها اللّفظية والمعنوية، وكذا انعكاسها على معرفة الفروق اللّغوية القرآنية.

الملاحظ وجود تفاوت طفيف في حجم المادة بين فصل وآخر، والسبب يعود إلى طبيعة الموضوع المتناول في كلّ فصل، فمثلا نجد أن القرائن النحوية قد استحوذت على مساحة زائدة عن الفصول الأخرى وذلك نظرا لتوسع المسائل النّحوية، وتشعب أبوابها، وقد اخترت –بعد المشاورة مع الأستاذ المشرف– في

كل باب وكل فصل الجمع بين النظري والتطبيقي وذلك نظرا لعمق موضوع البحث وكثافة مادته، وحتى لا يتشرد ذهن القارئ وينقطع حبل القراءة لديه.

بعد هذه الأبواب أنهيت عملي بخاتمة أجملت فيه أهم النّتائج المستقاة من هذا البحث، يليها قائمة للمصادر والمراجع وقد اعتمدت الترتيب الأبجدي في عرضها، كما خصصت لموضوعات البحث مستعينة في كل ذلك بمجموعة معتبرة من المصادر والمراجع التي لا ننسى لأهلها الفضل وأهمها:

الفروق اللّغوية لأبي هلال العسكري، اللغة العربية معناها ومبناها، البيان في روائع القرآن لتمام حسان، ومجموعة مؤلفات فاضل السامرائي ومن بينها: الجملة العربية والمعنى، التعبير القرآني، معاني النحو، أسرار البيان في التعبير القرآني،النحو القرآني (قواعد وشواهد) لجميل أحمد ظفر، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني لمحمد ياس خضر الدوري...وقد اعتمدت في التحليل والاستدلال على مجموعة من التّفاسير والمعاجم اللّغوية، إضافة إلى موقع الباحث القرآني الذي أفادنا وسهل علينا الكثير أثناء البحث في كتب التفسير والمعاجم والقراءات،... وطائفة من الكتب القيّمة التي كان لها دور عظيم في إثراء محاور بحثنا.

الجدير بالذكر هو أنّني بعد استقصائي لبعض الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع بالبحث وجدتها إمّا تتناول موضوع الفروق اللّغوية أو تتناول القرائن كلّ على حدا، أي أن كلّ موضوع مستقل عن الآخر، ولم أجد من جمع بينهما في بحث واحد، ولعلّ ذلك ما أضفى على هذا البحث نوعا من الجدّة والله أعلم.

والمعلوم أنّ كلّ بحث لا يكاد يخلو من صعوبات ولاسيما الموضوع الذي بين أيدينا نظرا لبعض العقبات أهمها:

-الولوج في الموضوع كان صعبا لوفرة المعلومات الخاصة بكلّ موضوع مستقل من جهة، مع ندرتها من جهة أخرى فيما يخص الجمع بين الموضوعين (الفروق والقرائن) ممّا يصعّب طريقة التّعامل معها والمزج والدمج بينهما، نظرا لتشعب محاور هذا البحث مما استلزم عليّ البحث والتنقيب، والتنسيق.

-محاولة الإحاطة بجميع جوانبه بقدر من الإيجاز الذي لا يغفل عن معالجة مباحثه الأساسية.

-التّحرز من عدم إعطاء الموضوع حقّه، خصوصًا لارتباطه بالقرآن العظيم، فحاولنا الإلمام ببعض الظواهر اللّغوية المهمة وإسقاطها على لغة القرآن الكريم دون إخلال بالمعنى.

ورغم مواجهتي لبعض الالتزامات العائلية والظروف الشخصية التي كانت تقف شبه حاجز يحول بيني وبين إتمام عملي، إلاّ أنّني استطعت بفضل الله تجاوزها لما كان من تحفيز من الأستاذ المشرف وتبسيطه وتذليله للصعوبات، ولا بدّ من أن أنوّه بالجهد العلمي الدقيق الذي بذله في مراحل البحث بدءا بالخطة، مرورا بجمع المادة العلمية وتدوين الفصول، وهذا يؤكّد وعيه بالمسؤولية المشتركة بين الأستاذ المشرف والطالب في إنجاح البحث العلمي.

ولا يسعني في هذا المقام إلاّ أن أشكر أعضاء لجنة المناقشة المحترمة على ما بذلوه من جهد وقراءة للرسالة، وأرجو من الله أن يوفّقني إلى الانتفاع بما يقدمه الأساتذة الكرام من توجيهات علمية ومنهجية حتى يكتمل البحث ولهم مني أعظم التقدير والاحترام.

كما لا أنسى كلّ من مدّ لي يد العون، وقدّم لي نصيحة أو ملاحظة رأى فيها إثراء للبحث.

والله أسأل أن يتقبّل منا هذا العمل، وأن يجعل لنا فيه التوفيق إنّه سميع مجيب الدعاء.

جامعة: **التاريخ:**

مصطفى اسطمبولي (معسكر) **20رمضان1443هـ الموافق لـ:21أفريل2022م**

الباحثة: درني حورية

مدخل:

القرائن والفروق في الدراسات اللّغوية والقرآنية

المبحث الأول: القرائن في الدراسات اللّغوية والقرآنية.

- **تعريف القرينة.**
- **أنواع القرائن ودورها في فهم النص القرآني.**

المبحث الثاني: الفروق في الدراسات اللّغوية والقرآنية.

- **تعريف الفروق.**
- **الإعجاز اللّغوي في القرآن الكريم.**
- **أهمية دراسة الفروق في لغة القرآن الكريم.**

ظلت اللغة العربية ملازمة للدراسات القرآنية والعلوم الشرعية، ولم تكد تنفك عنها في مجال من المجالات، وكيف يكون ذلك والقرآن العظيم نزل بلسان عربي مبين ولن يتسنى لأحد فهمه إلا بالرجوع إلى لغة نزوله ومعرفة أسرارها وفقه معانيها وفك رموزها، وتذوق بيانها، وقد ذهب جمهور العلماء إلى وجوب تعلم هذه اللّغة لمن يريد خوض غمار التّفسير بل اعتبروا ذلك من أولى الأولويات، فبذلوا الغالي والنفيس وسخروا كلّ جهدهم وأوقاتهم للوصول إلى مكنونات اللغة العربية، ومن ذلك استثمارهم للقرائن المحيطة بالنص القرآني سواء كانت لغوية أو غير لغوية لفقه مقاصد التنزيل.

المبحث الأول: القرائن في الدراسات اللّغوية والقرآنية:

1.تعريف القرينة:

أ.لغة:ورد في معجم العين « القرينة الزوجة والنفس، والناقة تشدّ إلى أخرى، والقرين: المصاحب، والنفس والأسير، والبعير المقرون إلى آخر»[1]

«ووصل الشيء بالشيء جعلته مقرنا به مصاحبا له فهو قرينة، ومنه قوله تعالى:﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** ﴾ [الزخرف36]، أي ملازم ومصاحب، ويسمى النسك الذي يجمع بين الحج والعمرة في إحرام واحد قرانا»[2]

ويصرح ابن فارس(ت.395هـ) في المقاييس:« بأنّ القاف والراء والنون أصلان صحيحان أحدهما يدل على جمع الشيء إلى الشيء، والآخر شيء ينتأ بقوة وشدة »[3]

وبناء على التعريفات السابقة فإن القرينة في اللّغة يدور معناها حول المصاحبة والملازمة.

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين ،تحقيق: مهدي مخزومي، إبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية ، العراق، 1980م، ج5، ص142، 143.

[2] مجد الدين فيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، دت، بيروت، لبنان، ط1، ج2، ص1608.

[3] أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر،1399هـ، 1979م، ج5، ص76.

ب.اصطلاحا:

«هي أمر يشير إلى المقصود، ويدلّ على الشيء من غير الاستعمال فيه، يؤخذ من لاحق الكلام الدّال على خصوص المقصود، أو من سابقه، وهي قسمان: حالية ومقالية»[1]

وذكّر الجاحظ(ت255هـ) بأهمية القرائن في توضيح معاني الكلام، من خلال ذكره أنماط المعاني فقال: «(معان مفردة) بائنة بصورها من وجهاتها الوضعية و(معان مشتركة) تقتضي التفسير، والتأويل لتحديد خصوصيتها بدلالة القرائن السياقية، فالقرائن أدلة على المعاني عنده، إذ لولا الاستدلال بالأدلة لما كان لوضع الدلالة معنى عنده، وقد أشار إلى أنواع القرائن من حيث لفظيتها ومعنويتها وحاليتها، بقوله « وجميع أصناف الدلالات على المعاني في لفظ وغير لفظ ، خمس أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى النصبة»[2] «فلكلّ واحدة من هذه الأنواع صورة بائنة عن صورة صاحبها، وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف عن أعيان المعاني في الجملة ، ثم عن حقائقها في التفسير»[3]

فللقرائن أهمية عظمى في الكشف عن مضمون الخطاب وما يدور حوله، انطلاقا من السياق الذي يحيط به ومرورا بأنواع القرائن الأخرى لفظية كانت أو معنوية أو حالية.

2.أنواع القرائن ودورها في فهم النص القرآني:

أ. قرينة السياق: عرف علماء العربية السّياق وأثره في فهم الخطاب منذ زمن بعيد، وقد اتّصلت معظم الدّراسات المتعلقة بقرينة السّياق بالقرآن الكريم، حيث كان للمفسرين والأصوليين والفقهاء باع عظيم في هذا الشأن، وحاولوا تقصي جميع العوامل التي تسهم في فهم النّص القرآني وتأصيل القواعد واستنباط الأحكام، حيث يُستعان بالسياق كونه قرينة كبرى لمعرفة قصد المتكلم والمخاطب لتحديد المعنى فقد «اهتم المفسّرون بالسّياق بصنفيه: اللّغوي وغير اللّغوي، واعتبروه من أهم القرائن في بيان مقاصد آي الذكر

[1] نادية رمضان النجار، القرائن بين اللّغويين والأصوليين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2015، ص14.

[2] عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين:، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، 1418هـ،1998ج1م، ص76.

[3] عمرو بن بحر الجاحظ، المصدر نفسه، ص76.

الحكيم، فالتفسير لديهم يقوم على كشف معاني القرآن، وبيان المراد منها سواء كانت معان لغوية أم شرعية، بالوضع أو بقرائن الأحوال ومعونة المقام» [1]

وذلك نحو قوله تعالى:﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾[النّحل:1]، «تعدّ جملة: (فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) قرينة لغوية سياقية تصرف الفعل"أتى "عن دلالته على المضي إلى دلالته على المستقبل، وصرف الفعل عن دلالته يصرف الفاعل(أمر الله) بدوره عن دلالته، لأنّ العناصر المكونّة للجملة لن تبقى بدون تغيير إذا صرف عنصر منها عن دلالته الأولى بقرينة ما...لقد فسّر) أمر الله (في أتى أمر الله) بأنّه قيام السّاعة، وقد أتى الفعل بصيغة الماضي لتحقّق وقوع الأمر وقربه» [2]

هنا أيضا نجد أنّ القرينة اللّفظية، والمتمثلة في الجملة الفعلية وضحت المعنى وفسرت دلالة الآية وصرفتها من الماضي إلى المستقبل، فزال الإبهام وفُهم المقصود، فلو حُملت الآية على ظاهرها لما استقام الحال، ولما وصلنا إلى مقصدية الخطاب القرآني، وهنا تكمن أهمية السياق في إبراز الفروق اللّغوية في النص القرآني فلو أُخذ النص على ظاهره لتغيّر المعنى ومن ثمّ ساء فهمه.

. قوله تعالى: ﴿**فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا**﴾[البقرة:60]، وقوله تعالى:﴿ **فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا**﴾[الأعراف:160]، السّياق يؤكد التّمايز بين الدّلالتين على النّحو الذي قال به بعض علماؤنا، إذ أنّ (الانبجاس) ورد في السّياق الذي يشير إلى طلب قوم موسى عليه السّلام السقيا، فانبجس الماء أولا على ضيق وقلة، في حين كان الانفجار في معرض طلب موسى السقيا لقومه، فتدفق الماء متفجّرا دفقة واحدة إكراما لهذا النبي أمام قومه وإعلاءً لمكانته، فعبّر بالانفجار لأنّه أبلغ في تصوير كثرة الماء، وعبّر في سورة الأعراف بالانبجاس، لأنّ المقام في تصوير العقوبات وإعلام الأمم بذنوبها.[3]

[1] جلال الدين السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم،وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، المملكة العربية السعودية، دت، ج2، ص175.

[2] مُحَمَّد عبد اللّطيف حماسة، النحو والدلالة، دار الشروق، ط1، 1420هـ، 2000م، ص118.

[3] جلال الدين السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص342.

اعتمادا على السياق الذي وردت فيه الآيات المتضمنة الانبجاس والانفجار، عُلم الفرق بين المفردتين وأنّهما وإن كانتا تحملان شحنة دلالية متقاربة إلاّ أنّهما تختلفان في دقة التّعبير، فلا يمكن لإحداهما أن تحل محل الأخرى وخاصة في لغة القرآن الكريم الذي يتميّز بالدّقة في انتقاء كلماته.

ب. القرائن العقلية: وهي القرائن التي تستنبط بالاستدلال العقلي بحيث لا يخالف فيه الواقع أي أنّها: « التي تتضح من المنطق العقلي نحو (أكل الكمثرى موسى) و(أرضعت الصغرى الكبرى) فإنّ العقل عيّن الآكل في الجملة الأولى والمرضعة في الجملة الثانية، ونحو قوله تعالى: ﴿**بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾[سبأ:33] وقولهم (بنو فلان يطؤهم الطريق) وقولهم (إذا ما نام ليل الهوجل) فإنّه لا يصح الإسناد إلى المذكور عقلا . وذلك نحو قوله تعالى: ﴿**وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ**﴾ [البقرة:93]، فإنّ العجل لا يُشرب في القلوب وإن المعنى، وأشربوا حب عبادة العجل ونحو قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى**﴾ [طه:56] ولا شك أن الله لم يُر فرعون كلّ آياته وإنّما أراه الآيات التي آتاها موسى، وقوله تعالى: ﴿**قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ**﴾ [الأنبياء: 63] ومعلوم عقلا أنّه لا يصح أن يحطم الصنم الكبير الأصنام الصغار فهو يريد بذلك تبكيتهم ونحو ذلك»[1]

فالقرينة العقلية هي التي أوضحت المعنى من (مكر الليل والنهار) فالعاقل لا ينسب المكر لا لليل ولا للنهار وإنّما يُفهم بمنطق العقل أنّه المكر الذي يحدث بالليل والنّهار وهذا من بلاغة القرآن الكريم، ومثل ذلك في (الإشراب) حيث خرج الكلام عن معناه الظاهري إلى معنى أعمق وهو المقصود، وكذا في الآية الثالثة التي عبرت مجازا عن كثرة التي أرسلت إلى موسى ومع ذلك لم يستسلم لأمر الله وزاده ذلك طغيانا وكفرا، أمّا التي تليها ساقت الغرض المقصود وهو التعجيز والتهكم، ولم يكن ذلك ليُفهم لولا منطق العقل وإعماله في استنباط فحوى الخطاب.

ج. القرائن اللّفظية:

«وهي اللّفظ الذي يدل على المعنى المقصود ولولاه لم يتضح المعنى وذلك نحو قوله تعالى: ﴿**فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[البقرة:91]، فقوله:(من قبل) وضح أن المقصود بقوله (تقتلون) هو

[1] فاضل السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1421هـ، 2000م ص63.

الزمن الماضي وليس الحال أو الاستقبال...ونحو قوله تعالى: ﴿**اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾[المائدة:08]، فالضمير(هو) يعود إلى العدل، والمعنى(العدل هو أقرب للتقوى)، والذي يوضّح الضمير هو تقدّم مادته في الاشتقاق، وهو قوله تعالى: اعْدِلُوا...»[1] في الآية الكريمة الفعل(تقتلون) جاء في زمن المضارع، ولكن القرينة اللّفظية (من قبل) أوضحت أن دلالته على زمن الماضي.

وأهم القرائن اللّفظية:

أولا:القرائن الصّوتية:

1.التنغيم: وهو الإطار الصوتي الذي تقال فيه الجملة في السياق، فالجمل العربية تقع في صيغ وموازين تنغيمية ذات أشكال محددة، فالهيكل التنغيمي الذي تأتي فيه الجملة الاستفهامية وجملة العرض غير الهيكل التنظيمي لجملة الإثبات، وهن يختلفن من حيث التنغيم عن الجملة المؤكدة.[2]

يوجد جمل في القرآن الكريم احتوت على قرينة استفهامية إلا أنّ التّنغيم يجرّدها منها عند قوله تعالى: ﴿ **هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا**﴾ [الإنسان الآية:1]، تظهر الآية بأسلوب الاستفهام لكن عند قراءتها قراءة صحيحة تأخذ معنى آخر، فهذا التلوين الصوتي يعبر عنها بمعنى والمتمثل في (قد) لأنّها دخلت على الجملة الفعلية.

2.النبر: النبر لا غنى عنه في دراسة المعنى فهو «قيمة غير مكتوبة، فللنبر أهمية دلالية كبرى في الجملة العربية عند المحدثين، فبه يشار إلى العنصر اللّغوي الذي وجهت العناية إليه سواء أكان الحدث، أم الفاعل، أم المفعول، وذلك بتركيز النبر عليه، وبه يعبّر المتكلّم عمّا يجول في صدره من عواطف، وأغراض ومقاصد، يسعى لتحقيقها...»[3]

[1] فاضل السامرائي، الجملة العربية والمعنى ،ص 60.

[2] يُنظر:تمام حسان، اللّغة العربية معناها ومبناها، ص221، 226.

[3] كوليزار كاكل عزيز، القرينة في اللّغة العربية، دار دجلة، الأردن، ط1، 2009م،ص45.

ومنه «قوله تعالى: ﴿ **فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾[الحديد:16] بغير نبر الفاء، فتكون من الفقس وليس من القسوة، وكذلك قوله تعالى: ﴿**عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا**﴾ [الإنسان: 18]، فتنطق بالنبر على اللام الأولى فتصير كلمتين هما (سل وسبيل) أي اسأل الطريق»[1]

3. الوقف: قد أولى القراء ظاهرة الوقف عناية فائقة، لما لها من أثر كبير في دلالة النّص القرآني، وما يترتّب على ذلك من أحكام نحوية وتركيبية، ومن ذلك قوله تعالى:﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[الفاتحة:1] فمن القراء من يقف على(الْحَمْدُ لِلَّهِ) ثم يصفها ب(رَبِّ الْعَالَمِينَ)، وهذا برفع(ربُّ)، أمّا جرّها فيلزم وصلها بالله، وكذلك إذا قلنا:(طريق المطار الجديد)، فإذا وقفنا على"طريق" كان "الجديد" صفة للمطار، أمّا إذا وقفنا على "المطار" كان "الجديد" صفة للطريق»[2]

ثانيا: القرائن الصّرفية:

1.المطابقة: تعدّ قرينة المطابقة من القرائن اللّفظية وتكون في العلامة الإعرابية، العدد (الإفراد التثنية والجمع)، الشخص (التكلم والخطاب والغيبية)، النوع (التذكير والتأنيث)، التعيين (التعريف والتنكير)«ويلزم المطابقة التّوافق بين الاسمين تعريفا وتنكيرا، إلاّ أنّ المعنى قد يختلف بينهما، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾ [الرحمن:60]، فالإحسان الأول عمل والثاني جزاء، وكذلك قوله تعالى: ﴿**النَّفْسَ بِالنَّفْسِ**﴾ [المائدة:45] يريد القاتلة بالمقتولة، وقد يختلف الاسمان تعريفا وتنكيرا، كما يختلفان في المعنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ**﴾[الروم:55]، فالساعة الأولى للقيامة، والثانية زمنية، وقد يحدث العكس، فيختلف الاسمان

[1] حلمي خليل، العربية والغموض، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 2013م، ص196، 197.

[2] أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللّغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1418هـ، 1997م، ص314.

تنكيرا وتعريفا، ويتفقان معنىً، كما في قوله تعالى: ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (15) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ**﴾ [المزمل:15. 16] فالرسول الثاني هو الأول (موسى عليه السلام)»[1]

2. مبنى الصيغة: فمعنى الصيغة الصرفية ينبأ عن علاقاتها السياقية، ومثال ذلك أن الفعل الثلاثي اللازم الذي يهمز أو يضعفّ يصير متعديا، ومن هنا تصير الصيغة ودلالتها ذواتى أثر نحوي يتمثل في علاقاتهما السياقية.[2] « ولشدة الارتباط بين الصيغة والدلالة أجمع أصحاب المعاني على أنّ كل زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا**﴾[نوح:10] ف(غفّار) تدل على كثرة المغفرة دون(غافر) التي لا توجد فيه هذه المبالغة»[3]

فالصيغة الصّرفية لها دلالتها في التّركيب، فتزيد في المعنى وتكسبه قوة، وتجلي صورته، فيتضح المقال وتُفهم ويفرّق بين الصيغ المتشابه والتي لها أصل اشتقاقي واحد.

ثالثا: القرائن النحوية:

1.العلامة الإعرابية: ذكر ابن فارس(ت.395هـ) رأيه في دلالة قرينة الإعراب حيث قال:«فأما الإعراب فبه تميّز ويوقف على أغراض المتكلّمين »المعاني كمعنى التّعجب والاستفهام» وأضاف قائلا: « فهم يفرّقون بالحركات وغيرها بين المعاني، فيقولون:(مِفتح) للآلة التي يفتح بها، و(مَفتَح) لموضع الفتح و(مِقص) لآلة القص، و(مَقَص) للموضع الذي يكون فيه القص، ومن ذلك قول العرب: «جاء الشتاءُ والحطبَ، لم يرد أن الحطب جاء، إنّما أراد أداة الحاجة إليه، فإن أراد معنى مجيئها الحطب قال: (والحطبُ بالضم)»[4] فبالحركة الإعرابية أدركنا أنّ المعنى ليس مجيء الحطب وفُهم فحوى الخطاب من الحركة الإعرابية.

[1] نادية رمضان النجار، القرائن بين اللغويين والأصوليين، دار الكتب العلمية، بيروت(لبنان)، 2015م،ص117.

[2] ينظر:تمّام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص211.

[3] نادية رمضان النجار، القرائن بين اللغويين والأصوليين، ص125.

[4] أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، لبنان،ط1، 1418هـ، 1997م، ص161، 162.

عرّفه ابن جني (ت،392هـ) بقوله إنّ الإعراب :«هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ»[1]، إذ لولا الإعراب لاستبهم الكلام، ولما ميّزنا الفاعل من المفعول أو المضاف ولما جاز لنا التّقديم والتّأخير، ومثّل ابن جني هذه المسألة بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[فاطر:28]، فاللّبس مأمون لظهور الحركات الإعرابية ، وهو يدل على كون العلماء هم من يخشون الله، فتقدُّم لفظ الجلالة (الله) رغم كونه مفعولا من باب الإجلال والتعظيم، أمّا إذا كان اللّبس غير مأمون عند تعذّر ظهور الحركات الإعرابية كما في الأسماء المنقوصة، والمقصورة وجب في هذه الحالة، تقديم الفاعل وتأخير المفعول بحسب الأصل.[2]

2.الرتبة: هي من القرائن المتضافرة على تعيين المعنى، فهناك الرتبة المحفوظة وغير محفوظة، والرتبة المحفوظة لو اختلت اختل التركيب باختلالها... ومن الرتب المحفوظة في التركيب أن يتقدم الموصول على الصلة والموصوف على الصفة... ومن الرتب غير محفوظة في النحو رتبة المبتدأ والخبر ورتبة الفاعل والمفعول به.[3] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾[الحج:75] فبالرغم من أفضلية البشر عند الله فإنّه قدّم الملائكة هنا لسبقهم في الوجود.[4] وكثيرا ما تُقدّم عناصر كان حقها التأخير، كالمفعول مثلا، ويُستدل على تغيّر رتبته بالإعراب كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾[فاطر:28]، وهو يفيد الحصر، ومنه تقدّم الخبر، كما في قوله تعالى: ﴿**وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ [الأنبياء: 97] ولم يقل (فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة)، وكان يستغني عن الضمير، لأنّ هذا لا يفيد اختصاص الذين كفروا بالشخوص.[5]

فالتقديم والتأخير يأتي لأغراض بلاغية من شأنها أن تزيد من قوة الخطاب، والذي يدل على تغيّر الرتبة هو الحركة الإعرابية، فالقرائن متضافرة فيما بينها لتوضيح المعنى وتوجيهه.

---

[1] عثمان أبو الفتح بن جني، الخصائص، المكتبة العلمية، دط، ج1،ص26.

[2] يُنظر: عثمان أبو الفتح بن جني، الخصائص، ج3، ص258.

[3] تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، دار الثقافة ، المغرب، د.ط، 1994م.

[4] بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3، 1404هـ، 1984م ج3، ص233.

[5] بدر الدين الزركشي، المرجع نفسه، ج3، ص276.

3.الذكر والحذف: الذكر قرينة من القرائن والتي تُساعد على فهم المعنى، وتوضيح الكلام، والحذف إنما يكون بقرينة لفظية ولا يتم تقدير المحذوف إلا بمعونة هذه القرينة، ومن أمثلة الخطاب الذي يعمل فيه السّياق اللّفظي ما ورد عن الشّافعي في الرّسالة ما يقتضي التّخصيص بالسّياق، فإنّه بوّب على ذلك، فقال:"باب الذي يبيّن السّياق معناه"، وأورد قوله تعالى: ﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ**﴾، فإنّ السياق أرشد إلى أنّ المراد أهلها، وهو قوله تعالى:﴿ **إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ**﴾ [الأعراف163]، وما ذهب إليه قوي، لأنّ السياق نوع من القرائن، ولا ريب في أنّ النّاس في مخاطباتهم يتركون العام لأجل القرينة الدّالة على إرادة الخصوص، والشّرع يُخاطب الإنّس بحسب تعارفهم »[1]

4.التضام: وهو أن يستلزم أحد العنصرين التحليلين النحويين عنصرا آخرا، ويسمى التضام هنا (التلازم)، وعندما يستلزم أحد العنصرين الآخر، قد يدل عليه بمبنى وجودي على سبيل الذكر أو يدل عليه بمبنى عدمي على سبيل التقدير بسبب الاستتار أو الحذف.[2]

إن من أشكال التضام: الربط وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ **لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ**﴾ [البيّنة:1]«فالواو هنا أفادت الجمع والتشريك في اللفظ والمعنى، فاللفظ في ربط أهل الكتب والمشركين، والمعنى في إثبات الحكم لهم جميعا وهو الاختلاف والضلال حتى تأتي رسالة جديدة»، والربط هو من أنواع التضام النحوي وهنا التضام المعجمي ومنه التكرار كما في قوله تعالى: « ﴿**كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4)** ﴾[التكاثر:3. 4]، فنلاحظ تكرار الحرف(كلا) وهو حرف ردع وزجر عن التشاغل عن الطاعات ، وفي تكراره تأكيد المصير وهو العذاب، ونلاحظ كذلك تكرار جملة(سوف تعلمون) وفي تكرارها دلالة على أنّ الإنذار الثاني أبلغ من الإنذار الأول وأشد.

[1] عماد الدين محمّد الرشيد، أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، دار الشهاب، دط، 1420هـ،2000م، ص418.

[2] عماد الدين محمّد الرشيد، المرجع نفسه، ص 217.

5.الربط: «وظيفته إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائل اللّفظية التي تعين على الوصول إلى هذه الغاية يدل على اتصال أحد المترابطين بالآخر »[1] والربط يكون بين الموصول وصلته وبين المبتدأ وخبره، وبين الحال وصاحبه، وبين المنعوت ونعته، وبين الشرط وجوابه... وقد يكون بإعادة اللفظ، كما في قوله تعالى: ﴿**الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ**﴾ [الحاقة: 2.1] ويكون في مقام التفخيم والتعظيم والتهويل، والتخويف...[2]

ومن أمثلته كذلك قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67)**﴾[الأنبياء: 66،67] وقوله تعالى: ﴿**فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ**﴾ [الزمر:51].

6.**الأداة:** الأدوات في مجموعها من المبنيات فلا تظهر عليها العلامة الإعرابية، ومن ثم أصبحت كلها ذات رتبة شأنها في ذلك شأن المبنيات التي تعينها الرتبة على الاستغناء عن الإعراب.

و.القرائن المعنوية:

هي التي يحكم بدلالتها المعنى وصحته، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا** ﴾ [الكهف:79]، أي سفينة صالحة ولولا هذا التّقدير لم يصح هذا المعنى فإنّ عيبها لا يخرجها عن كونها سفينة...ونحو قوله تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [النساء:36]، فإنّه لا يصح عطف(الوالدين) على قوله(لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) لأنّ المعنى لا يصح فلابدّ من تقدير ما يقتضيه المعنى نحو (وأحسنوا بالوالدين) أو(أوصيكم بالوالدين) وما إلى ذلك... وقوله تعالى: ﴿**فَلَا تَقُلْ لَهُمَا**

[1] تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1413هـ،1993م، ص109.

[2] نادية رمضان النجار ، القرائن بين اللّغويين والأصوليين، ص23.

﴿أُفٍّ﴾ [الإسراء:23]، فما فوق هذا من الضرب والشتم هو أولى بالنهي، ولا يصح الوقوف عند ظاهر النص.[1]

تتجسد القرائن المعنوية في بعض العلاقات النحوية الآتية:

1.علاقة الإسناد: قرينة لتمييز بين المسند إليه من المسند في الجملة فهي العلاقة الرابطة بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والفاعل أو نائبه، «وعلاقة الإسناد نحو قوله تعالى: ﴿**وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ**﴾[ص: 19]، قرأ الجمهور(والطير محشورةً) بنصبهما عطفا على الجبال، وقرأ ابن أبي عبلة، والجحدري (والطير محشورةٌ) برفعهما مبتدأ وخبر، ونلاحظ أنّ الفراء قد أجاز قراءة (الطير محشورةٌ) بالرفع، لما لم يظهر الفعل معها كان صوابا، وتكون مثل قوله تعالى: ﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[البقرة:7] »[2]

2. قرينة التخصيص: هي قرينة كبرى تندرج تحتها عدة قرائن:قرينة التعدية: تخصص المفعول به، قرينة الغائية: تخصص المفعول لأجله، قرينة المعية: تخصص المفعول معه ،قرينة الظرفية: تخصص المفعول فيه، قرينة التحديد والتوكيد: تخصص المفعول المطلق، قرينة الملابسة: تخصص الحال والاستثناء، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا** ﴾[النساء من الآية:79] فرسولا هنا جاءت لتوكيد المعنى وترسيخه،كما في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ**﴾[البقرة: 243] فجملة (وهم ألوف) هي جملة حالية ارتبطت بالجملة التي قبلها بالواو والضمير وذلك لتقوية العلاقة بينهما.[3]

[1] فاضل السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم،لبنان، ط1، 1431هـ، 2000م،ص62.

[2] علي محمّد سالم الصرايرة، العلاقات الإسنادية وتحولاتها في القراءات القرآنية، جامعة مؤتة، الأردن، 2011م، ص39

[3] ينظر: نادية رمضان النّجار ، القرائن بين اللغويين والأصوليين، ص330.

3.قرينة الإخراج: هي من القرائن التي تخصص الاستثناء.

4. قرينة التفسير: تخصص التمييز وذلك نحو قوله تعالى: ﴿**وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا**﴾[القمر:12] فتدل على أن التفجير من جميعها، فلو قلنا(فجرنا عيون الأرض) لدلّ على أنّها كانت عيونا متفرقة.[1]

5. قرينة النسبة: وهي أيضا قرينة تندرج تحتها قرائن فرعية وهي معاني حروف الجر، ومعها معنى الإضافة، والنسبة في حروف الجر، لها العديد من المعاني المتعددة كابتداء الغاية والبعضية والتعليل والمعية والظرفية والملكية.

6. قرينة التبعية: قرينة معنوية كبرى تندرج تحتها أربع قرائن: النعت، العطف، التوكيد والبدل.[2]

وسنأتي على تفصيل هذه القرائن على حسب فروع اللّغة كلّ على حدا.

المبحث الثاني: الفروق اللّغوية في الدّراسات اللّغوية والقرآنية.

1.الإعجاز اللّغوي في القرآن الكريم:

كان لنزول القرآن العظيم أثر ملموس في حياة الناس عامة والعرب خاصة، فقد هذّب النفوس وأثرى العقول وأنار الألباب، ولم يترك لنا بابا من أبواب العلم إلاّ فتحه، ولا طريقًا من طرق الخير إلاّ وجّهنا إليه، ونزوله باللّغة العربية بنا لنا صرحا لحضارة عريقة يُشهد لها.

لقد حظيت الكلمة القرآنية بقدر كبير من العناية في دقة اختيارها، وجودة انتقائها وروعة بيانها، وهذا ما يعكس وجها من وجوه الإعجاز الذي تفردت به لغة القرآن، وأضفى عليها جمالية وخصوصية لا يمكن أن تكون في غيرها من كلام الإنس والجان ولو اجتمعوا له ، وهذا ما يجسد بديع بيانه، وسر إحكامه:«إن

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، القاهرة، دت، ص79 .80

[2] ينظر: أحمد كشك، النحو والسياق الصوتي، دار غريب، القاهرة، ط1، 2006، ص 41-42.

للكلمة القرآنية مزية لا تجدها في الكلمات التي يتكون منها كلام النّاس وتعابيرهم، مهما سمت إلى مدارج البلاغة والبيان، فهي:

أ. تتناول من المعنى سطحه وأعماقه وسائر صوره وخصائصه، حيث لا تقف عند العموميات التي تقف عند حدودها تعبيراتنا البشرية.

ب. تمتاز عن سائر مرادفاتها اللّغوية بتطابق مع المعنى المراد ، فمهما استبدلت بها غيرها ،لم يسدّ مسدّها، ولم يغن غناها، ولم يؤد الصورة التي تؤديها».[1]

اهتم القرآن بهذه القضية، وخير دليل على حرص القرآن لاستعمال الألفاظ في أماكنها الخاصة بها، والتّقيد بالدّقة الشديدة في ذلك، ما نبّه له من وجوب التّفريق بين لفظتي الإيمان والإسلام في دعوى الأعراب في هذا، فلم يرض دعواهم الإيمان، وإن سلّم لهم بالإسلام، قال تعالى: ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ [الحجرات من الآية14] .

الاهتمام بتحري الدّقة كان أيضا من هدي النبي صلى الله عليه وسلّم ، أخرج البخاري في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن سعد ﷺ ، أنّه قال:" أعطى رسول الله صلى الله عليه رهطا- وأنا جالس فيهم، قال: فترك رسول الله صلى الله عليه وسلّم رجلا لم يعطه- هو أعجبهم إليّ- فقمت إلى رسول الله فساررته، فقلت: مالك عن فلان؟ و الله إنّي لأراه مؤمنا ، فقال:أو مسلما، فسكتّ قليلاً ثم غلبني ما أعلم فيه، فقلت:يا رسول الله مالك عن فلان؟و الله إنّي لأراه مؤمنا ، فقال:أو مسلما،قال: فسكتّ قليلا ثم غلبني ما أعلم فيه ،فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان والله إنّي لأراه مؤمنا، قال: أو مسلما، إنّي لأعطي الرّجل وغيره أحبّ إليّ منه، خشية أن يُكبّ في النّار على وجهه.»[2]

فهذا الحديث وإن لم يُصرّح فيه بوجود الفروق بين المفردات المتقاربة في ظاهرها، إلاّ أنّه يوحي إلينا بذلك من خلال ما ورد من وجوب التّفريق بين الإسلام والإيمان، اللتان أصبحتا بمفهوم واحد عند عامة الناس.

[1] مُحَمَّد مُحَمَّد داوود، كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم، دار المنار، القاهرة، دط، دت، ص205.

[2] أحمد بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المكتبة السّلفية، الرّياض،ج3،دط، دت، رقم الحديث:1478، ص340.

2. **تعريف الفروق:**

أ.لغة: الفروق (ج) فرق، والفرق في اللغة يدور في أكثر تصاريفه حول معنى الفصل بين الشيئين، جاء في لسان العرب: الفرق تفريق ما بين الشيئين حين يتفرّقان ، والفرق : الفصل بين الشيئين...قال تعالى:﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا**﴾ [المرسلات الآية:04]، قال ثعلب هي الملائكة تزيّل بين الحلال والحرام،... والفاروق : ما فرّق بين شيئين، ورجل فاروق: يفرّق ما بين الحقّ والباطل...والفرق ما انفلق من عمود الصّبح لأنّه فارق سواد اللّيل.[1]

ذكر ابن فارس في معجم مقاييس اللّغة:« الفاء والرّاء والقاف أصيل صحيح يدلّ على تمييز وتزييل بين شيئين ، ومن ذلك الفرق، فرق الشعر، يقال فرقته فرقًا ...والفرِق : الفِلق من الشيء إذا انفلق ، قال تعالى: ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**﴾[الشعراء، الآية:63]... و(الفرقان): كتاب الله فرّق بين الحق والباطل، والفرقان: الصّبح، سمي بذلك لأنّه به يفرق بين اللّيل والنّهار...»[2]

فالفرق على المعنى اللغوي يأتي في القرآن الكريم ويراد به الفصل والتمييز، ومن ذلك أيضا قوله: ﴿**وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾ [البقرة:50]، وقال تعالى:﴿**فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾(المائدة: 25)، وقال أيضا:﴿**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾ [الدخان:04]

ب.اصطلاحا:عني العلماء في كلّ فن من الفنون وكلّ علم من العلوم بتعريف الفروق، وعلى الرّغم من تعدّدها إلاّ أنّها تتقارب في معانيها فـ«البحث في الفروق يعدّ من مكملات العلوم، إن لم يكن من ضروراتها، إذ به يقع التمييز بين المتشابهات، وإليه يستند التّفريق بين الأحكام، وعليه يعتمد العلماء في كثير من القضايا والواقعات، وقد استهوى البحث عن الفروق العلماء من كلّ صنف، فظهرت فيه المؤلفات المتنوعة، والأبحاث الكثيرة في العلوم الشرعية والعلوم اللّغوية ، والعلوم الأخرى»[3].

[1] يُنظر:جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج10، ص299. 303.

[2]أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص493، 494.

[3]يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين، الفروق الفقهية و الأصولية، مكتبة الرّشد ، الرياض، ط1، 1419هـ، 1998م، ص05.

فاللّغويون يعرّفون الفروق على أنّها: « الألفاظ التي تقاربت في معانيها، وأشكل الفرق بينها، والوقوف على حقائق معانيها وأغراضها»[1]

وجاء في الكليات للكفوي:« الفرق قد يكون في الأجسام ، وقد يكون في المعاني، والفرقان أبلغ من الفرق لأنه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل، والفرق يستعمل في ذلك و في غيره. والتّفريق في الأعيان، يُقال: فرقت بين الحكمين مخففا، وفرّقت بين الشخصين مشددا...فالمعاني لطيفة والأجسام والأعيان كثيفة، فأعطوا الخفيف اللّطيف، والشديد للكثيف»[2]

انطلاقا من هذه التعريفات للفروق يتضّح لنا أيضا أنّ الفرق في اللّغة يتقارب مع تعريفه الاصطلاحي، ومبحث الفروق قد تناوله القدامى والمحدثون بالدّراسة والتأليف سواء في اللّغة أو أصول الفقه أو غيرهما من العلوم.

3.أهمية دراسة الفروق في لغة القرآن الكريم:

إنّ الدعوة للتأمل في الفروق القائمة بين المفردات والتراكيب التي تؤدي معاني متقاربة والتباين الدلالي بينها، أمر حتمي لفهم الوحي القرآني، وفقه الكلام الرباني، ولذلك لم يبتعد المفسرون والمشتغلون بالدّراسات القرآنية عن هذا الدّرس اللّغوي، ففهم المعاني طريق لاستنباط الأحكام وتأصيل القواعد.

يؤيد هذه الحقيقة مصطفى صادق الرافعي حين قال:« ولقد صارت ألفاظ القرآن بطريقة استعمالها ووجه تراكيبها، كأنها فوق اللّغة، فإن أحدا من البلغاء لا يمتنع عليه فصح هذه اللّغة العربية متى أرادها، وهي بعد في الدواوين والكتب ، ولكن لا تقع له مثل ألفاظ القرآن في كلامه، وإن اتفقت له نفس هذه الألفاظ بحروفها ومعانيها ، لأنّها في القرآن تظهر في تركيب ممتنع...ولهذا ترتفع إلى أنواع أسمى من الدلالة اللّغوية أو البيانية التي هي طبيعية فيها، فتخرج من لغة الاستعمال إلى لغة الفهم ، وتكون بتركيبها المعجز طبقة عقلية في اللّغة»[3]

---

[1] الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط5، 2018م، ص21.

[2] أيوب بن موسى أبو البقاء الكفوي، الكليات(معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية)،مؤسسة الرّسالة، لبنان، ط2،1998م، ص695.

[3] مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي، لبنان، ط9، 1393هـ، 1973م، ص226.

وهذا أمر طبيعي –لا يختلف فيه اثنان– في لغة القرآن الكريم الذي أعجز أهلها بنظمه، فتحداهم في أسمى ما يتقنون ويتبارون فيه ويتباهون، غير أنّ القضية التي تشغلنا في هذا الموضوع وسنحاول إثارتها في ثنايا البحث، لا تتعلق بالمفردة القرآنية في حدّ ذاتها ، ولكن في انتقائها وحسن اختيارها في موضع معيّن دون غيرها، وهي القضية التي يجهلها الكثيرون ويتغافل عنها آخرون ، وتتجلى في معرفة الدلالة الدقيقة للمفردة في كلّ موضع وُجدت فيه وإدراك ما تميزت به عن غيرها، حيث:«يتأنق أسلوب القرآن في اختيار ألفاظه، ولما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها، يستخدم كلام، حيث يؤدي معناه بدقة فائقة، تكاد بها تؤمن بأنّ هذا المكان كأنّما خلقت له* تلك الكلمة بعينها، وإنّ كلمة أخرى لا تستطيع توفية المعنى الذي وفت به أختها، فكلّ لفظة وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداءً، ولذلك لا تجد في القرآن ترادفاً، بل فيه كلّ كلمة تحمل معنى جديدا، ولما بين الكلمات من فروق، ولما يبعثه بعضها في نفس من إيحاءات خاصة ، دعا القرآن ألاّ يستخدم لفظ مكان آخر».[1]

لقد اعتبر الخطابي (ت.388هـ) اختيار اللفظ المناسب للموقع المناسب عمود البلاغة القرآنية، حيث يقول: «هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره، جاء منه إمّا تبدّل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإمّا ذهاب الرّونق الذي يكون معه سقوط البلاغة ، وذلك أنّ في الكلام ألفاظًا متقاربة في المعاني، يحسب أكثر النّاس أنّها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب كالعلم والمعرفة ...و الحمد والشكر...وبلى ونعم ، وذلك وذاك ، ومن وعن، ونحوها من الأسماء والأفعال والحروف والصّفات...لأنّ لكلّ لفظة منها خاصة تتميّز عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان في بعضها».[2]

يقول مُحَمَّد حسين الصّغير تعليقا على ما قاله الخطابي:« لقد كان الخطابي دقيقا فيما أورده من إفاضات في هذا المجال ، استند فيه إلى المتبادر في العرف العربي شعرا ومثلاً وكلمة وقولاً، مصدقا على ما يريد،

*الأولى أن يقول: وضعت له، وليس: خلقت له، حتى لا يتوهم أنّ القرآن مخلوق، وإنّما هو كلام الله باتّفاق من علماء أهل السنة والجماعة.

[1] أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، دط، 2005م، ص51.

[2] أبو سليمان مُحَمَّد بن عبد الكريم الخطابي، بيان إعجاز القرآن(ثلاث رسائل في الإعجاز)، تحقيق: مُحَمَّد خلف الله ومُحَمَّد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م، ص29.

وقلّب كل لفظ في وجوهه المحتملة ، فضلاً عن استنارته بآراء علماء العربية، وأهل اللغة وأئمة البيان، مستوفياً بذلك موقع اللّفظ في دلالته على المعنى، وصحة اختياره في استيفاء المؤشر الدّلالي، مؤكدا على الفرق العربي والاستعمال البياني، والأصالة اللّغوية في كشف الدلالات التي ينطوي عليها اللفظ المختار في الآيات المشار إليها اللّفظ ذاته دون ما سواه، ومعلّلا بفطرة نافذة دقة التراكيب من خلال وضع الألفاظ بأماكنها المحدّدة لها، بحيث لو استبدلت بالمرادف أو المساوي لفقدت مميّزات لا تتوافر باللّفظ البديل».[1]

هذا التعقيب على ما جاء به الخطابي جامع وملّم، حيث دلّ وبوضوح على رأيه إزاء القول بالتّرادف، وإشارته إلى وجوب التّفريق بين الألفاظ التي ظاهرها التشابه والتّطابق وباطنها الاختلاف والتّباين، وهذا يدلّ على إعجاز الكلمة القرآنية وتميّزها عن غيرها، ممّا جعلها تلازم موقعها ولا تكاد تنفك عنه، وفيه دعوة للتأمل في روعة البيان القرآني.

والحقيقة فإنّ القول بالفروق لا يتعلّق بالكلمة مفردة فحسب، وإنّما يتجاوز ذلك إلى الظواهر الصّوتية والمظاهر الصّرفية والتّراكيب النّحوية ويُساهم في معرفة ذلك كلّه السياق المحيط بالنّص والمعرفة العقلية فكلّ هذه القرائن المتضافرة كفيلة بإظهار الفروق اللّغوية وإبرازها، وبناء على ذلك فإن معرفة الفروق الدلالية بين الكلمات والتراكيب القرآنية مبحث هام لا يجب إغفاله، فهو يجسد لنا وجها من وجوه إعجاز القرآن الكريم لا يمكن أن يكون في غيره من كلام أفصح العرب وأبلغهم، وبالتالي وجب علينا التمييز بين مختلف التراكيب والكلمات القرآنية، ومقاربة بنيتها لمعرفة مبانيها وتذوق معانيها وفهم دلالتها على الوجه الذي نزلت به والمقصد الذي صيغت لأجله.

[1] محمّد حسين الصّغير، تطور البحث الدلالي(دراسة تطبيقية في القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، لبنان، ط1، 1999م، ص64.

البـــــــاب الأول:

الفصـــــل الأول:

القرائن السياقية، الدلالية والعقلية ودورها في تحديد الفروق اللّغوية القرآنية

الفصـــــل الثاني:

القرائن الصوتية ودورها في تحديد الفروق اللّغوية القرآنية

الفصـــــل الأول:

القرائن السياقية، الدلالية والعقلية ودورها في تحديد الفروق اللّغوية القرآنية

المبحث الأول: القرائن السياقية ودورها في تحديد الفروق اللّغوية القرآنية.

- **السياق: تعريفه، أنواعه وأهميته.**
- **دلالة السّياق في بيان مقاصد الخطاب القرآني.**
- **السياق في الدراسات القرآنية.**

ثانيا:السياق وانعكاسه على فهم المعاني اللّغوية وتمييز الفروق اللّغوية القرآنية.

- **السياق اللّغوي ودوره في فهم مقصدية الخطاب القرآني.**
- **السّياق غير اللّغوي ودوره في فهم مقصدية الخطاب القرآني.**

المبحث الثاني: الدلالة وأهميتها في الدراسات اللّغوية وعلاقتها بدراسة النص القرآني.

- **تعريف الدلالة، علم الدلالة في الدراسات اللّسانية ومكانته بين الفروع اللّغوية.**
- **الدلالة في التراث وأنواعها.**
- **مباحث من علم الدلالة (المشترك اللّفظي، التّضاد، التّرادف).**
- **دور السياق في فهم الدلالة المعجمية وتحديد الفروق اللّغوية القرآنية.**

المبحث الثالث: القرائن العقلية ودورها في تمييز الفروق اللغوية القرآنية.

- **القرائن العقلية وأهميتها في فهم الخطاب.**
- **دور القرائن العقلية في معرفة المعاني وإدراك الفروق اللّغوية القرآنية**

المبحث الأول: القرائن السياقية ودورها في تحديد الفروق اللّغوية القرآنية.

أولا: القرائن السياقية في الدراسات اللّغوية والقرآنية.

اكتسبت العناصر السياقية أهمية بالغة في تحديد دلالة النصوص وفهم الخطاب، بل أضفت الحركية عليها وأخرجتها من الجمود الذي طوقها به بعض اللغويين بعد تجريدها من الظروف المحيطة ودراستها كبنية مستقلة عمّا حولها، وهذا الأمر يتنافى والتحليل الصحيح والفهم السليم، وقد تفطن له دارسو القرآن الكريم منذ عهد مبكر، وسعوا إلى فهم النص القرآني مراعين كلّ ما يحيط به من سياق لغوي وغير لغوي، وأولهم الأصوليون وأهل التفسير.

1.**تعريف السّياق:**

أ. **لغة:**من الجذر اللّغوي :سوق، والكلمة :مصدر(ساق يسوق سوقا وسياقا)، فالمعنى اللّغوي يشير إلى دلالة الحدث، وهو التتابع .

يقول ابن منظور:«انساقت وتساوقت الإبل تساوقا :إذا تتابعت...وفي حديث أم معبد" :فجاء زوجها يسوق أعنزا ما تساوق"، أي ما تتابع، والمساوقة : المتابعة... »[1].

قال ابن فارس:« السين والواو والقاف أصل واحد، وهو :حدو الشيء، يُقال :ساقه يسوقه سوقا، والسَّيِّقة :ما استيق من الدّواب، ويُقال :سقت إلى امرأتي صداقها، وأسقته، والسّوق مشتق من هذا، لما يُساق إليها من كلّ شيء ...والسّاق للإنسان وغيره، والجمع سوق، وإنّما سميّت بذلك أنّ الإنسان ينساق إليها...»[2]

فجميع التعريفات السّابقة تشترك في كون السياق يدّل على التّعاقب والتّوالي والتّتابع.

ب. **اصطلاحا:**

يقول تمام حسّان:« المقصود بالسّياق (التوالي)، ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين أولاهما :توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك، والسّياق من هذه الزاوية يسمّى(سياق النص)، والثانية :توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللّغوي، وكانت ذات علاقة بالاتّصال ، ومن هذه النّاحية يسمّى السّياق سياق الموقف»[3]

---

[1] جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت،ج7، ط3، 1414هـ،ص304.

[2] ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، ج3، ص117.

[3] تمام حسان بحث قُدِّم في (الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم)، مطبعة عبير للكتاب، 1413هـ،1993م، نقلا عن: محمد سالم صالح، أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة السعودية، ص1.

كما ذهب هادي نهر إلى أنّ: «البحث عن دلالة الكلمة لا بدّ أن يجري من خلال التّركيب والسّياق الذي ترد فيه، حيث ترتبط الكلمة بغيرها من الكلمات ، ممّا يمنح كلاً منها قيمة تعبيرية جديدة ، ويفرض قيمًا دلالية ، بحيث يتحدّد كلاً منها بدلالة قارّة دون سائر الدّلالات التي يمكن لهذه الكلمة ، أو تلك أن تحملها أو تؤديها»[1]

ويقول في موضع آخر: «السّياق يحدّد دلالة الكلمة على وجه الدّقة، وبواسطته تتجاوز كلمات اللّغة حدودها الدّلالية المعجمية المألوفة لتفرز دلالات جديدة، قد تكون مجازية، أو إضافية أو نفسية أو إيحائية أو اجتماعية، أو غير ذلك من الدّلالات ...»[2]

إذن فالسّياق هو الذي يحدّد دلالة الخطاب برمّته باعتباره بنية متلاحمة ومتماسكة ومتكاملة.

2.أنواع السّياق:

ينقسم السّياق إلى قسمين رئيسين: سياق لغوي أو ما يُعرف بالسياق الداخلي أو المقال، وسياق غير لغوي وهو ما يُعرف بالسياق الخارجي أو المقام.

أ.السياق اللّغوي :

يُعرّف بأنّه« الاعتماد على الوحدات الدّلالية وتجاورها في تركيب ما بحيث لا يحدد معنى وحدة دلالية معينة، ما لم يتمكن من النّظر إلى صاحبتها في التّركيب، لأنّ الكلمات حين تدخل في تركيب ما تشكلّ نسيجا لغويا يعتمد كل جزء فيه على الآخر».[3]

أمّا محمد حماسة فيقول عن السّياق اللّغوي أنّه:« يعتمد على عناصر لغوية في النّص من ذكر جملة سابقة أو لاحقة،أو عنصر في جملة سابقة أو لاحقة، أو في الجملة نفسها يحوّل مدلول عنصر آخر إلى دلالة غير معروفة له»[4]

فتسلسل الجمل وطبيعة تركيبها هو الذي بيّن المقصود من النّص، وبالتالي فإنّ النّص وخصوصا القرآني هو وحدة متلاحمة يفسّر بعضها بعضا، ولا يمكن معرفة دلالة إحداها بمعزل عن الأخرى ويتم ذلك في السياق اللّغوي عن طريق مجموعة من القرائن التي توجّه المعنى.

[1] هادي نهر، علم الدّلالة التّطبيقي في التراث العربي،عالم الكتب الحديث، الأردن، دط، 2011م، ص193.

[2] هادي نهر، المرجع نفسه ، ص192.

[3] أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص71.

[4] محمد حماسة عبد اللّطيف، النّحو والدّلالة (مدخل لدراسة المعنى النّحوي الدّلالي)، دار الشّروق، القاهرة، ط1،1430 هـ،2000 م، ص 117

يتضمن السياق اللّغوي مجموعة من القرائن التي تسهم في فهم الخطاب وإدراك حيثياته وتعين المتلقي للوصول إلى مقصدية الباث، ويُقصد بها « القرائن التي يتضمنها الكلام، أي تؤخذ من مبنى الخطاب والعلاقات بين ألفاظه، ويمكن أن تكون قرائن داخلية أي متضمَّنة في نفس الخطاب، أو تكون خارجية، أي تكون في نص آخر مستقل، والقرائن التي يتضمنها مبنى النّص نفسه على نوعين :معنوية ولفظية.

– **القرائن المعنوية:** هي العلاقات السياقية بين كلمات الجملة سواء منها الجملة الاسمية أو الجملة الفعلية، مثل :الإسناد، والتّخصيص، والنسبة، والتّبعية، والمخالفة.

– **القرائن اللّفظية:** هي المتعلّقة بحالة اللّفظ نفسه، مثل :العلامة الإعرابية، والرّتبة، والصّيغة، والمطابقة، والربط، وهذه القرائن كلّها بتضامّها مع القرائن المعنوية تسهم في تحديد معنى المقال للنّص»[1]

ب. السّياق غير اللّغوي:

يتنّوع السّياق غير اللّغوي وتتعدّد أشكاله بحسب اختلاف الظروف المحيطة بإنتاج الخطاب، وأهم العوامل المؤثرة في تحديد ماهية السّياق غير اللّغوي هي: الظروف النّفسية، الثقافية، الاجتماعية، وجميع ما يمكن إدراجه ضمن البيئة المحيطة بالحدث الكلامي.

– **السّياق العاطفي** : يحدّد درجة القوة والضّعف في الانفعال مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا فكلمة الكره غير كلمة البغض، بالرّغم من اشتراكهما في أصل المعنى.

– **سياق الموقف** :يسمونه أيضا سياق الحال، ويعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة يدخل فيه كلّ ماله علاقة بالكلام من ظروف اجتماعية ونفسية وثقافية للمتخاطبين.

– **السياق الثقافي**:هو سياق يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة[2].

– **السياق الاجتماعي**: هو الذي يسمّى بالمقام، وتدخل فيه أسباب النّزول، وأسباب ورود الحديث، والظروف النّفسية والاجتماعية السائدة وقت ورود النّص الشّرعي.[3]

[1] نعمان جغيم، طرق الكشف عن مقاصد الشّارع، دار النّفائس، الأردن،ط 1، 1435هـ،2014 م، ص94.

[2] أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص72 .

[3] نعمان الجغيم، طرق الكشف عن مقاصد الشارع، ص.92.

معنى ذلك أنّ السّياق غير اللّغوي:« ليست له عناصر لغوية (صوتية، أو صرفية أو نحوية أو دلالية في الجملة، فهو ما يُعرف بقرينة (المقام أو الحال)، والمراد بالسّياق المقامي هو: كلّ ما يعين على فهم مقصد المتكلّم لدى المتلقي، من خلال الرّسالة مستعينا في ذلك بكلّ ما يرد له ذكر من عناصر منطوقة في سياق الكلام»[1]

3. أهمية السّياق ودوره في القراءة:

يشير محمد حماسة إلى أهمية السياق في الوصول إلى المعنى النحوي الدّلالي ويلخص أهم الوظائف للسياق إذ يقول: «ولا تكون للعلاقة النّحوية ميزة في ذاتها، ولا للكلمات المختارة ميزة في ذاتها، ولا لوضع الكلمات المختارة ميزة في ذاتها، ولا لوضع الكلمات المختارة في موضعها الصّحيح ميزة في ذاتها ما لم يكن ذلك في سياق ملائم» [2]

أهم وظائف السياق يمكن إجمالها فيما يلي:

-يقوم السياق في أحيان كثيرة بتحديد الدّلالة المقصودة من الكلمة في جملتها، ومن قديم أشار العلماء إلى أهمية السّياق أو المقام وتطلّبه مقالا مخصوصا يتلاءم معه، وقالوا عباراتهم الموجزة الدّالة(لكلّ مقام مقال).

-كما أنّ الكلمة لا معنى لها خارج السّياق الذي ترد فيه، وربّما اتّحد المدلول واختلف المعنى طبقا للسياق الذي قيلت فيه العبارة أو طبقا لأحوال المتكلمين، والزمان والمكان الذي قيلت فيه.

-وللسياق أهمية في التفريق بين معاني المشترك اللّفظي، فالتّحديد الدّقيق لدلالة هذه الألفاظ إنّما يرجع إلى السّياق .

-كما تتركز أهمية سياق الحال أو المقام في الدّرس الدّلالي في فوائد منها :الوقوف على المعنى، وتحديد دلالة الكلمات، وإفادة التّخصيص، ودفع توهم الحصر، وردّ المفهوم الخاطئ... وغيرها.

-يضاف إلى ما تقدّم أنّ السّياق يساعد على تعيين دلالة الصّيغة، فربّما جاءت بعض الأبنية متّحدة في الوزن، ولكنّها تختلف في دلالتها على المعنى المراد، والذي يحدّد هذه الدّلالة إنّما هو سياق الكلام[3] .

---

[1] نادية رمضان النّجار، القرائن بين اللّغويين والأصوليين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2015، ص400.

[2] محمد حماسة عبد اللّطيف، النّحو والدّلالة(مدخل لدراسة المعنى النّحوي الدّلالي)، ص8.

[3] يُنظر :محمد سالم صالح، أصول النظرية السّياقية عند علماء العربية ودور هذهالنظرية في التّوصل إلى المعنى، كلية المعلمين بمحافظة جدة، جامعة الملك عبد العزيز، دت، ص02،03.

إنّ للسياق دور عظيم في القراءة وفهم مختلف دلالات الخطاب، فقد عرف علماء العربية السّياق وأثره في فهم الخطاب منذ زمن بعيد، وقد اتّصلت معظم الدّراسات المتعلقة بآلية السّياق بالقرآن الكريم، حيث كان للمفسرين والأصوليين والفقهاء باع عظيم في هذا الشأن، وحاولوا تقصي جميع العوامل التي تسهم في فهم النّص القرآني وتأصيل القواعد واستنباط الأحكام، حيث انبرى علماء اللّغة وعلماء التّفسير وعلماء أصول الفقه المسلمون لوضع قواعد لتفسير القرآن الكريم وفهمه، وكان للسياق اللّغوي الدّاخلي عندهم أهمية بالغة، فالسياق يحدّد الدّلالة المقصودة من الكلمة في جملتها، كما يفرّق بين معاني "المشترك اللّفظي"، حيث يقوم السّياق بتحديد المعنى الدّقيق للدّلالة، ومع ذلك أيضا الوقوف على المعنى، وتحديد دلالة الكلمات، وإفادة التّخصص، ومن ذلك أيضا الوقوف على المعنى، وتحديد دلالة الكلمات، وإفادة التّخصص، ورفع التّوهم، وردّ المفهوم الخاطئ[1]

هذا ما يُظهر لنا جليا أنّه :«لم يكن علماؤنا المسلمون بعيدين عن فهم موضوع السّياق، إذ قسّم الأصوليون السّياق إلى قسمين أولاهما :سياق النّص، وهو" النّظر في الآية القرآنية، أو مجموعة من الآيات على أنّها جزء من نص متكامل، وهو القرآن الكريم، ومعنى ذلك أنّهم لم يعتمدوا على السّياق اللّغوي الجزئي المتمثل في الآية الواحدة، أو مجموعة الآيات منعزلة عن سياقها الكلّي»[2] والثاني سياق الموقف المتمثل فيما عُرف عندهم بأسباب النزول.

إنّ العلاقة بين فهم الخطاب والسّياق الذي ورد فيه متلازمة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهل هذا الأخير في فهم دلالات النص والوصول إلى أبعاده وإدراك مقاصده، وهذا ما يبطل قول القائلين بموت المؤلف، ودراسة النّص كبنية جامدة خالية من جميع المؤثرات الخارجية والداخلية، أو إهمال الظروف المحيطة بهذه البنية المتماسكة والمتناسقة فيما بينها، إذ أنّ «المقصود من الخطاب هو حصول الفهم، ولا يتيسر هذا إلاّ بمراعاة السّياق، ولهذا قدّم بعض العلماء السّياق على قرائن متمكنة... يتأكدّ هذا إن أدّى الحمل على العموم إلى إشكالات في الفهم وقصور في الدّلالة على الحكم»[3]

[1] يُنظر:حيدر فريد عوض، سياق الحال في الدّرس الدّلالي(تحليل وتطبيق)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دت، ص 30،52.

[2] صالح محمد سالم، أصول النّظرية السّياقية الحديثة عند علماء، مجلة البحوث والدّراسات، العدد7 :،1428 م،2007 م، ص7.

[3] عمر عبد الله، السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد15:، العلوم التربوية والدّراسات الإسلامية، 1423هـ،2003 م، ص867.

4. دلالة السّياق في بيان مقاصد الخطاب القرآني:

لا يكاد يخلو أي فهم للنص القرآني من قرينة السياق « دلالة السّياق معتبرة في الشريعة الإسلامية، فهي ليست وليدة هذه الأزمان المتأخرة، وإنّما هي مرتبطة باللّغة العربية ارتباطا وثيقا منذ القدم، فلا يُفهم الكلام عند العرب إلاّ ضمن سياقه، والقرآن الكريم نزل بلغة العرب، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193)** ﴾ [الشعراء192، 193] والنبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب، وأعلمهم بدلالات ألفاظ العربية...وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم اعتبار هذه الدّلالة- أي السّياق -واستخدامه لها ممّا يدلّ على أهميتها وأصالتها» [1]

ذكر محمد أحمد خيضر أنّ :« النّص القرآني لا تُفسّر الجملة منه، أو اللّفظة منفردة ، وإنّما يُفسّرها ما حولها من ألفاظ، وجمل وآيات، قد تمتد إلى النّص القرآني كلّه، وهو ما نسميه بالسّياق اللّغوي ، وقد يُفسّرها ما هو خارج النّص من مثل السّنة المطهّرة ، وأسباب النّزول ، وكلّ ما يعرف به ظروف الخطاب القرآني من متكلّم ومخاطب ومكان وزمان وعموم وخصوص.» [2]

فمعرفة دلالة النّصوص القرآنية تتفاعل فيه مجموعة من العوامل اللّغوية وغير اللّغوية، والمسمّاة بالسّياق الذي يعدّ من الظّواهر الدّلالية المهمّة ، يقول عبد الجليل غزالة:« يمثل السّياق ظاهرة مهمة في تحديد معنى النّص القرآني ، أو أي نص آخر علاوة على أنّها أصبحت مسألة معروفة جدًّا في مجال اللّسانيات الحديثة ... حيث يحدّد الأسلوب القرآني المقدّس أهمية التّفاعلات النّصية في فهم الخطاب الإلهي ، فلا يجب القفز عليها ، أو تجاهلها، إنّ السّياق القرآني يقوم على تعابير وألفاظ معيّنة ، تجرّ وراءها تفاعلات نصية.» [3]

لهذا السبب وجب على المفسّر أن يكون على معرفة واسعة بالسّياق على نوعيه، والتي تحدّد له ظروف الخطاب التي تعينه على تفسير آي الذكر الحكيم، والسّياق هو الكفيل بتوجيه المعنى في النّصوص القرآنية.

باعتبار أنّ منشأ الخطأ في فهم القرآن يعود إلى إهمال السّياق وما يتّصل به، وبناءً على ذلك فقد أولى العلماء المختصون في الدّراسات القرآنية عناية شديدة بهذا المبحث، ونذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر: المفسرين والأصوليين.

---

[1] عبد الرحمن عبد الله المطيري، السياق وأثره في التّفسير)دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير،جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدّين، المملكة العربية السعودية،1429 هـ،2008 م، ص79.

[2] محمد أحمد خيضر، التّركيب والدّلالة والسّياق(دراسة تطبيقية)،مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، دط، 2005م، ص114.

[3] عبد الجليل غزالة، اللسانيات والإسلام والثقافة الإفريقية، دار الكتب الوطنية، بنغازي(ليبيا)، 2009م، ص102.

5. السياق في الدراسات القرآنية:

أ. السّياق عند المفسرين:

راعى المفسّرون ضرورة فهم المفسّر للظروف المحيطة بالنّص عند تفسيره، لما لهذه الظروف من أثر في تعميم الدّلالة أو الحكم الشرعي أو تخصيصهما، فبيان سبب النّزول مثلا طريقه إلى فهم معاني الكتاب العزيز ...وكذلك يعدّ علم المناسبة من العلوم الضّرورية للمفسّر، ويجمع كلّ ذلك معرفة السّياق ... وقد ألحّ المفسّرون إلى اللّجوء للسّياق لفهم المعاني الملبسة في الآيات القرآنية، وقد يتمثّل هذا السّياق عندهم في معرفة أسباب النّزول، الذي قد يفيد التّخصيص أو قد يزيل الإشكال، وقد يعني التّعالق والتّرابط بين الآيات، وقد يتمثّل السّياق لدى المفسّر في نسق الآيات، وما يصل بينهما من روابط كالعطف والمضادّة التي تظهر في ذكر الرّحمة بعد العذاب، أو الرّغبة بعد الرّهبة، أو حسن التّخلص، وهو الانتقال من من مقام إلى آخر من غير شعور بالانقطاع، وترتيب الآيات ." [1]

«اهتم المفسّرون بالسّياق بصنفيه: اللّغوي وغير اللّغوي، واعتبروه من أهم القرائن في بيان مقاصد آي الذكر الحكيم، فالتفسير لديهم يقوم على كشف معاني القرآن، وبيان المراد منها سواء كانت معان لغوية أم شرعية، بالوضع أو بقرائن الأحوال ومعونة المقام» [2]

يقول الزركشي:« من المعلوم أنّ تفسيره، أي القرآن الكريم يكون بعضه من قِبل بسط الألفاظ الوجيزة، وكشف معانيها، وبعضه من قِبل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض، ببلاغة ولطف معانيها، لهذا يُستغنى عن قانون عام يعوّل في تفسيره عليه، ويرجع في تفسيره إليه، من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها، وسياقه وظاهره وباطنه، وغير ذلك ممّا لا يدخل تحت الوهم ويدق عنه الفهم» [3]

يذكر الذهبي في كتابه التفسير والمفسرين بعض الضوابط التي يجب على المفسّر انتهاجها ومنها:

«**أولا** : مطابقة التّفسير للمفسّر، من غير نقص لما يحتاج إليه في إيضاح المعنى، ولا زيادة لا تليق بالغرض ولا تناسب المقام، مع الاحتراز من كون التّفسير فيه زيغ عن المعنى وعدول عن المراد.

ثانيا : مراعاة المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، فيحمل الكلام على الحقيقة أو العكس.

---

[1] خلود العموش، الخطاب القرآني(دراسة في العلاقة بين النص والسّياق)، عالم الكتب الحديث، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1429هـ، 2008م، ص192.

[2] عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص175..

[3] بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1376هـ، 1957م، ج1، ص15.

ثالثا : مراعاة التأليف والغرض الذي سيق له الكلام، والمؤاخاة بين المفردات.

رابعا : مراعاة التّناسب بين الآيات، فيبيّن وجه المناسبة، ويربط بين السّباق واللاّحق من آيات القرآن، حتى يوضّح أنّ القرآن لا تفكك فيه، وإنّما هو آيات متناسبة يأخذ بعضها بحجز بعض.

خامسا : ملاحظة أسباب النّزول، فكلّ آية نزلت على سبب فلا بدّ من ذكره بعد بيان المناسبة وقبل الدخول في شرح الآية...»[1]

ب. **السّياق عند الأصوليين:**

تنبئ بحوث الأصوليين عن وعي كبير بحقيقة انسجام الخطاب القرآني مع واقعه الخارجي واتّساقه في بنائه الدّاخلي، فبالرغم من أنّ نزول القرآن كان منجما إلاّ أنّه يشكلّ نصا واحدا « ويبقى لسياق الحال المرافق للنّص دوره الخاص في الكشف عن طبيعة تفاعل النّص مع الظرف الذي نزل فيه وبسببه ويكشف عن تفاعل النّص مع المخاطبين بشكل خاص، وما ضمن هذا التّفاعل الخاص هو مخاطبة النّاس على قدر عقولهم، وبما يفهمونه بالرّغم من أنّهم لم يكونوا على مستوى واحد من الفهم والإدراك...ولم يكونوا على درجة واحدة في اتّصالهم بصاحب الرّسالة، فالمقرّبون يفهمون مضمون الرّسالة ومغزاها بالإيحاء والتلميح لأنّ أطرهم المعرفية مشتركة، أمّا من كانوا أبعد ثقافيا وحضاريا فإنّهم كانوا محتاجين إلى الإطناب» [2]

اهتم علماء الأصول بالخطاب، والخطاب الشرعي عندهم إمّا خطاب الله، وإمّا خطاب الرسول- صلى الله عليه وسلم -لاستنباط الأحكام الشرعية، وقد اهتموا بالسّامع أو القارئ في عملية دراسة الخطاب الشرعي واهتموا بالعناصر السّياقية والمقامية في الخطاب لأن الألفاظ لا تثبت على معانيها التي وضعت لها، إذ للمتكلّم الحق في أن يستعمل هذه الألفاظ فيما وضعت له، وأن يستعملها وفق أساليب اللّغة وقوانينها المعروفة للسّامع والمتكلّم، إذ في ظلّها يتم التّواصل وهنا يكون للعناصر السّياقية والمقامية دورها الواضح.[3]

ثانيا:السياق وانعكاسه على فهم المعاني اللغوية وتمييز الفروق اللّغوية القرآنية.

1.السياق اللّغوي ودوره في فهم مقصدية الخطاب القرآني:

. من أمثلة الخطاب الذي يعمل فيه السّياق اللّفظي ما ورد عن الشّافعي في الرّسالة ما يقتضي التّخصيص بالسّياق، فإنّه بوّب على ذلك، فقال:«باب الذي يبيّن السّياق معناه"، وأورد قوله تعالى:

[1] محمد حسين الذهبي،التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة،ج1، دت، دط، ص198.

[2] خلود العموش، الخطاب القرآني(دراسة في العلاقة بين النص والسّياق)، ص85.

[3] يُنظر :خلود العموش، المرجع نفسه ،ص113، 115.

﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ** ﴾، فإنّ السياق أرشد إلى أنّ المراد أهلها، وهو قوله تعالى:﴿**إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ**﴾ [الأعراف163]، وما ذهب إليه قوي، لأنّ السياق نوع من القرائن، ولا ريب في أنّ النّاس في مخاطباتهم يتركون العام لأجل القرينة الدّالة على إرادة الخصوص، والشّرع يُخاطب الإنّس بحسب تعارفهم).»[1] فالقرينة اللّفظية هي التي أوضحت المحذوف و أنّ السؤال هو عن أهل القرية لا القرية في ذاتها لأنّ ضمير الجمع صرف الحديث عن القرية إلى أهل القرية.

. فمن القرينة المبنوية (أي المتعلقة بالمبنى اللّفظي) ما في قوله تعالى:﴿ **وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ**﴾ [القلم:51] «فالدّليل على أنّ "إنْ" مخففّة من الثقيلة وأنّ معنى السّياق هو التأكيد وليس الشّرط، كون الفعل "يكاد" مرفوعا غير مجزوم، ثم وجود اللام في خبر "إنّ" المخفّفة وعدم وجود ما يصلح للشرط، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**﴾(هود:80)، إذ يقوم عدم الجواب قرينة سياقية على أنّ "لو" للتّمني وليست للشّرط، ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ **لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي**﴾(الكهف:38)إذ المعروف أنّ (هو)التي هي ضمير فصل إنّما تتوسّط بين اسم لكن وخبرها ولا تلي، ولكن مقدمة عليهما معا فدلّ ذلك على إرادة التّأكيد بقرينة مبنوية إمّا على أنّ السّياق المقصود " لكنّ ربي هو اللّه"، أو على أنّ الضّمير للشأن ، أي "لكنّه الله ربي" وانفصل الضّمير لزيادة التّأكيد»[2]

2.السّياق غير اللّغوي ودوره في فهم مقصدية الخطاب القرآني:

أ. دور السّياق غير اللّغوي في توجيه القراءة:

. قوله تعالى :﴿**فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا**﴾[البقرة:61]، «فمن العلماء من قال: إنّه (الثوم) لمناسبة البقل والعدس والبصل، وقيل إنّ الفوم: الحنطة،أو الخبز، أو الحمص، أو السنبلة، والفوم هو الثوم في بعض اللّهجات العربية بإبدال الثاء فاءً كما في: جدث وجدف للقبر، ويُقال: فوّموا لنا: أي اختبزوا وهي لهجة قديمة، وسياق الآية لا يسعف رأي من قال إنّ الفوم: الحنطة، يقول تعالى: ﴿ **أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**﴾، والحنطة من أشرف

[1] عماد الدين محمد الرشيد، أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، ص418.

[2] تمام حسّان، البيان في روائع القرآن(دراسة لغوية وأسلوبية للنّص القرآني)، عالم الكتب، القاهرة،ط1، 1413هـ، 1993م، ص212،213

الطّعام، ولا يُطلب طعام لا بُرّ فيه، إذن الأوفق أن يكون الفوم هو الثوم، فهو أوفق لما ورد معه من ألفاظ من الحنطة»[1]

إنّ معنى كلمة (فوم) تحدّدت من خلال بعض القرائن العقلية التي نفت أن يكون (الفوم) بمعنى الحنطة لأفضليتها وكونها أشرف الطعام قلا تقع صفة الدّناءة والنّقص ولا يصدق عليها الحال المقصود في الآية.

ب. أسباب النّزول وأثرها في تحديد مقصدية الخطاب القرآني:

.في قوله تعالى:﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ [البقرة:186] «لا يستقيم أن يُحمل قوله تعالى(قريب) على ظاهره بحال، ولابدّ من صرفه عن ظاهره الذي يقتضي القرب المكاني لله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، نجد في أسباب النزول ما يؤيد ذلك، فقد روى ابن عساكر عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه:« لا تعجزوا عن الدعاء، فإنّ الله أنزل علي ﴿ **ادْعُوني استَجِبْ لَكُم** ﴾، فقال رجل: يارسول الله، ربّنا يسمع الدّعاء أم كيف ذلك؟ فأنزل الله : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ** ﴾الآية»، يدل سبب النزول على معنى آخر للقرب، وهو القرب بالعلم، فإنّ الرّجل قد استفهم من النبي صلى الله عليه وسلّم عن سماع الله للدّعاء وعلمه به، فأجابت الآية بأنّه قريب، وحتّى يتطابق الجواب السؤال لابدّ من أن يكون المقصود بالقرب أنه قريب بعلمه، فهو سميع الدعاء»[2]

ما أخرجه البخاري في تفسير قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ** ﴾ [الأنعام82] لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا:أيّنا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّه ليس بذلك، ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه :﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ (لقمان: 13)» أخرجه البخاري21 /1 :برقم32 ، ومسلم144 /1 برقم 124، فالنبي صلى الله عليه وسلّم بيّن لأصحابه أنّ الآية ليست على عمومها بل هي مخصوصة بالشّرك، وهذا موافق للتّخصيص بالسّياق، لأنّ السّياق ظاهر في الشّرك، إذ الآية واردة في سياق محاجة إبراهيم لقومه في عبادة غير الله تعالى، ومجادلتهم في إبطال شركهم بالحجة العقلية»[3] .

[1] هادي نهر، علم الدّلالة التّطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2011م، ص 320، نقلا عن التّفسير الكبير، ص 108.

[2] عماد الدين محمد الرشيد، أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، دار الشّهاب، ص.515

[3] عماد الدين محمد الرشيد، المرجع نفسه ، ص417.

فسياق الموقف هو الذي حدّد لنا المراد من الشرك في الآية الكريمة، وقد فسّرها النبي صلى الله عليه وسلم بآية أخرى ومن سورة أخرى ولكنّها تناسبت معها في المقام والمناسبة فشابهتها في المعنى.

ويؤدي السياق وظائف دلالية كثيرة، فهو يسهم في الوصول إلى معاني بنية النص سواء من جهة المفردات أم من جهة التّراكيب، وهو ما أشرنا إليه بالعناصر اللّغوية وغير اللّغوية التي تحيط بالخطاب، والتي تعين على فهم مقصدية الباث أو المرسل، وبالتالي فلا يمكننا فصله عن بقية القرائن أو الفروع اللّغوية الأخرى، وهو ما يعبّر عنه بالتضافر أو التكامل أو التّلاقح بين المستويات اللّغوية، فلا نكاد ندرس أي ظاهرة لغوية إلا وعنصر السياق حاضر فيها، وخير ما يمكّننا من إثبات هذه العلاقة هو دراسة المستوى الدلالي المعجمي، حيث يتجسد فيها عمل السياق إلى أبعد الحدود...

المبحث الثاني: الدلالة وأهميتها في الدراسات اللّغوية وعلاقتها بدراسة النص القرآني.

إنّه لمن الصّعوبة بمكان فصل المستوى الدّلالي في مبحث خاص عن المستويات الأخرى، لأنّه لا يمكننا تصور أي فرع من فروع اللّغة بمنأى عن معنى أو دلالة، فكلّ تغيّر يحدث على مستوى : صوت أو بناء أو تركيب الكلمة، إلاّ وله دلالة معيّنة ، تختلف كلّ الاختلاف عن غيرها ، وبخاصة في القرآن الكريم ، لأنّ كلّ لفظة فيه، إلاّ وقد خصّصت في مكانها الذي لا يمكن أن تخلفها فيه أخرى، وكلّ ذلك لحكمة معيّنة ، قد نعلمها ، وقد نجهلها، لكنّنا نؤمن بها ونوقن بإعجازها، وقد سعى أهل التّفسير إلى ربط نصوص الذكر الحكيم بمقاصدها، وذلك بالتّطرق لدلالاتها، ذكر علي مهدي زيتون: «ارتبطت التجربة العربية في عملية استكناه دلالة النّص بنزول الوحي: كلام الله ، فقد احتاج المسلمون إلى معرفة دلالة النّص القرآني منذ أول عهدهم بالإسلام لكي يكونوا على بيّنة من أمر عقيدتهم وسلوكهم ومعاملاتهم ... والتّفسير مرتكز حسب لغة العصر إلى علمين مستقلين: الأول: علم الدّلالة (السيمانتيك)، حيث يتحكّم النّظام اللّغوي معجماً وتصريفًا بتحديد الدلالة الواحدة التي يحتملها النّص، والثاني: علم العلامات (السيمولوجيا أو العلامية) ... والدّلالة التي نبحث عنها في النّص القرآني، سواءً احتجنا إلى التّفسير أم إلى التّأويل هي الدّلالة التي أودعها الله في نصّه»[1]

فالدّلالة في التراث العربي اتّصلت اتّصالاً وثيقًا بتفسير القرآن الكريم لمعرفة معانيه والوصول إلى مقاصده.

[1] علي مهدي زيتون ، الإعجاز وآلية التّفكير النّقدي عند العرب، ص213.

1. **تعريف الدّلالة :**

أ. لغة: جاء في لسان العرب:« الدّلالة والدُّلالة: اسم مصدر من دلّ ...الدّال والدّليل: المرشد، والكّاشف ، وقد دلّه على الطّريق ، يدلّه دَلالة ودِلالة ودُلالة.»[1]

عرّفها الزّمخشري بقوله:« دلّه على الطّريق ،... وأدللت الطريق اهتديت إليه... ، والدّال على الخير كفاعله ، وأدلة على الصّراط المستقيم ، وتناصرت أدلة العقل ، وأدلة السّمع ، واستدل به وعليه.»[2]

فالمعنى اللّغوي للفظة(دلالة) يُحيلنا إلى الطّريق ، والنهج ، والمنهج المتّبع ، والسبيل للوصول.

ب. اصطلاحا: يعرّفها السيّد الشّريف الجرجاني(ت، 816 هـ):« الدّلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ، والشيء الأول : هو الدّال ، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللّفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصور في عبارة النّص واقتضاء النّص...»[3]

ربطها السيّد الشّريف الجرجاني بدلالة اللّفظ على معنى محدّدة، بالإضافة إلى إشارته الواضحة إلى عناصر الدّلالة: الدّال والمدلول، وتعريفه هذا قريب جدّا إلى ما ذهب إليه (دي سوسير) في دراسته للدّلالة.

2. **علم الدّلالة في الدّراسات اللّسانية الحديثة:**

عرّف علم الدّلالة أنّه:« اللّفظة التّقنية المستعملة للإشارة إلى دراسة المعنى، وبما أنّ المعنى جزءٌ من اللّغة، فإنّ علم الدّلالة جزءٌ من علم اللّسانيات، ولسوء الحظّ ، فإنّ المعنى يغطي جوانب عديدة للّغة ، وليس هناك اتّفاق عام حول طبيعة المعنى، وجوانبه التي يمكن أن يشملها علم الدّلالة أو الطّر يقة التي يمكن أن يوصف بها المعنى»[4]

رغم أنّ علم الدّلالة قد أطلق عليه عدّ تسميات، بعضها من صميم اللغة العربية، وآخر معرب عن لغات أخرى، إلاّ أنّها في جوهرها تتناول قضية المعنى، وما يتعلّق به، وتحاول الوصول إلى مقصدية المتكلّم ودلالات النّصوص، ولهذا شدّد أحمد مختار عمر على وجوب التّمييز بين علمي : المعنى، والمعاني، تحرزّا من الوقوع في خلط بين الفرعين، وقد قال في هذا الصّدد:« علم الدّلالة أطلقت عليه عدّة أسماء في اللّغة الإنجليزية، أشهرها الآن كلمة (Semantics) ، أمّا في اللّغة العربية فبعضهم يسمّيه (علم الدّلالة)،

[1] جمال الدين بن منظور، لسان العرب، ج11، ص249.

[2] جار الله أبو القاسم، الزّمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، لبنان،ج1، ط1، 1998م، ص295.

[3] محمد السيّد الشريف الجرجاني، معجم التّعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط، د.ت، ص91.

[4] أف آر بالمر، علم الدّلالة، ترجمة: مجيد الماشطة، مكتبة الجامعة، بغداد، د.ط، 1985م، ص03.

وتضبط بفتح الدّال وكسرها، وبعضهم يسّميه (علم المعنى) ، ولكن حذار من استخدام صيغ الجمع، والقول (علم المعاني)، لأنّ هذا الأخير فرع من فروع البلاغة، وبعضهم يطلق عليه اسم (سيمانتيك) أخذا من الكلمة الإنجليزية أو الفرنسية.»[1]

3. مكانة علم الدّلالة بين الفروع اللّغوية:

ذكرنا سابقًا أنّ دراسة الجانب الدّلالي، لا يمكن فصله عن باقي الفروع اللّسانية الأخرى ، ذلك أنّ هذا المستوى من أهمها على الإطلاق ، يقول فتح الله أحمد سليمان:«يعدّ المبحث الدّلالي في المفردات ودلالتها من أهم الفروع التي يبحثها علم اللّغة(linguistics) ، وإذا كان علم اللّغة يدرس الكلمة من جوانب أربعة، هي: بناء الكلمة، بناء الجملة ، والأصوات، والدّلالة، فإنّ هذا الجانب الرّابع هو الأكثر أهمية ،من حيث أنّه يجمع الجوانب الثلاثة الأخرى في إطار واحد، كي تكون خادمة له، من أجل إفراز معنى ما يتمخّض عن تحليل البنية اللّغوية للجملة »[2]

4. الدّلالة في التراث العربي:

إنّ حديثنا عن المستوى الدّلالي في التراث العربي، يرتبط ارتباطًا تلقائيًا بالعلوم القرآنية، فقد كانت الدّراسات اللّغوية تتمحور أساسًا حول القرآن الكريم، وكان المركز الذي ينطلق منه البحث اللّغوي على اختلاف فروعه، وإلى ذلك أشار أحمد حساني بقوله: « من مميّزات التراث العربي أنّه يتمركز حول الوحي(القرآن الكريم) بأبعاده الرّوحية والاجتماعية والعلمية واللّسانية، إذ منذ نزول القرآن الكريم ،كان التّأمل في العلامة واعتبار دلالتها بالنّظر والتّدبر والتّفكير في بدئها ومآلها ، وقد يتّضح ذلك من خلال التوجيهات القرآنية الآتية ، في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ**﴾ [الحجر:75]، وقوله تعالى:﴿**وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ (**النحل: 16**)، **وقوله تعال ى:﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾[الحشر من الآية:02]، في رحاب هذا التّوجيه القرآني ،كان التّعامل مع العلامة من أجل تفسير دلالتها الكونية والاستدلال بحاضرها على غائبها»[3]

---

[1] أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، عالم الكتب الحديث، القاهرة، ط5، 1998م، ص14.

[2] فتح الله أحمد سليمان، مدخل إلى علم الدّلالة ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1412هـ، 1991م، ص05.

1 أحمد حساني، مباحث في اللّسانيات(الصّوتي، الدّلالي، التّركيبي)، منشورات كلية الدّراسات الإسلامية والعربية ، الإمارات العربية المتّحدة، ط2، 1434هـ، 2013م، ص252 .253.

هذه العلاقة الوثيقة بين علوم اللغة والنّص القرآني، كانت أساسًا لفهم مقاصده، وبيان مراميه في سبيل وضع القواعد، لاستنباط الأحكام الشرعية، وفي ذلك يقول عادل فاخوري:« لما كانت علوم الدّين تهدف إلى استنباط الأحكام الفقهية ووضع القواعد الأصولية، اهتم العلماء بدلالة الألفاظ، والتّراكيب، وتوسّعوا في فهم معاني نصوص القرآن والحديث، واحتاج ذلك منهم إلى وضع أسس نظرية، فيها من مبادئ الفلسفة والمنطق، ما يدلّ على تأثر العرب بالمفاهيم اليونانية.»[1]

أضاف أيضًا بقوله: « فالأبحاث الدّلالية في الفكر العربي التراثي، لا يمكن حصرها في حقل معيّن من الإنتاج الفكري، بل هي تتوزّع لتشمل مساحة شاسعة من العلوم، لأنّها مدينة للتّحاور بين المنطق وعلوم المناظرة وأصول الفقه ، والتّفسير والنّقد الأدبي ، والبيان» [2] ، فهو يرى أنّ دراسة دلالة النّصوص عموماً والقرآنية على وجه الخُصوص، تفاعلت فيه علوم مختلفة، أسهمت للوصول إلى المعنى، وإلى هذا أشار فايز الدّاية في أنّ التّلاقح بين هذه العلوم النّظرية واللّغوية، هو الذي أنتج ذلك الفكر الدّلالي العربي، الذي أرسى قواعد تعدّ الآن المنطلقات الأساسية لعلم الدّلالة، وعلم السيمياء على السّواء، بل إنّك لا تجد كبير فرق بين علماء الدّلالة في العصر الحديث، وبين علماء العرب القُدامى الذين ساهموا في تأسيس وعي دلالي، يمكن رصده في نتاج الفلاسفة واللغويين، وعلماء الأصول والفقهاء والأدباء، فالبحوث الدّلالية العربية تمتد من القرون: الثالث والرّابع والخامس هجرية إلى سائر القرون التّالية لها، وهذا التّاريخ المبكّر ، إنّما يعني نُضجًا أحرزته العربية، وأصّله الدّارسون في جوانبها.[3]

فالأبحاث والدّراسات الدّلالية عند العرب امتدت جذورها إلى قرون خلت، محرزة بذلك تقدّمًا كبيرًا في الدّراسات العربية ممّا أدّى إلى بروز وعي ونُضج في جميع الفروع المتّصلة بعلم اللّغة، ومنها: علم التّفسير، فقد كان تأثره واضحًا بهذا المستوى اللّغوي.

5. أنواع الدّلالة:

هناك عدّة أنواع من الدّلالات تختلف باختلاف العلم الذي تُدرّس من خلاله، وعلى كلٍّ فهناك أنواع تتعلّق باللّفظ ذاته، وأخرى تخرج عن إطار الملفوظ، وتتجاوزه إلى ما يُحيط به، فأمّا ما تتصل باللّفظ فهي دلالة المنطوق، وتنقسم إلى:

---

[1] عادل فاخوري، علم الدّلالة عند العرب، دار الطّليعة، بيروت، ط2، 1994م، ص15.

[2] عادل فاخوري، المرجع نفسه، ص15.

[3] ينظر: فايز الدّاية، علم الدّلالة العربي(النظرية والتّطبيق)، دار الفكر ، دمشق، ط2، 1996م، ص06.

-**دلالة المطابقة:** وهي دلالة اللّفظ على تمام معناه الموضوع له ، ومثالها قوله تعالى:﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴾ [النساء:03]، فهي تفيد المعنى المطابقي فقط، وهو وجوب الاقتصار على زوجة واحدة عند خوف الجور.

-**دلالة التّضمن:** هي دلالة اللّفظ على جزء من المعنى ، الموضوع له، ومثاله قوله تعالى: ﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ [البقرة من الآية: 233]، المراد: وجوب نفقة الأب على الأم المرضع ...(وعلى المولود له): أفادت معنى آخر، هو اختصاص الابن بأبيه.

-**دلالة الالتزام:** هي دلالة اللّفظ على لازم معناه ،كقوله تعالى :﴿ **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[البقرة:275]، فالنّص مسوق للتّفريق بين حلّ البيع وحرمة الرّبا، وهو معنى التزامي.[1]

أمّا من جهة العوامل غير اللّغوية المحيطة بالنّص، فقد قسّمت الدّلالة إلى:

-**دلالة الإشارة:** هي الدّلالة على معنى ليس مقصودًا من إيراد العبارة ،كقوله تعالى :﴿ **وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا** ﴾ [الأحقاف:15]، بيان أصلي لمدة الحمل والفصال ، وقوله تعالى: ﴿**ووَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ** ﴾ [لقمان: 14]، بيان أصلي لمدّة الفصال فقط، ويلزم من الاثنين معًا أنّ أقل مدّة للحمل ستة أشهر، من إشارة التّضمين، وبه انعقد إجماع العلماء .

-**دلالة الاقتضاء:** هي دلالة العبارة على شيء لم ينطق به، وتتوقف صحة الكلام عليه ، وصدقه حقيقة وشرعًا، ومثله قوله سبحانه :﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[النساء:23]، أي التّزوج بهن، وقوله تعالى :﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ

[1] يُنظر: عبد الغفار حامد هلال، العربية خصائصها وسماتها، ص369.

عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ [المائدة من الآية:03]، فلا تكون الحرمة في أجسامها أو ذواتها، وإنّما في أكلها والانتفاع بها.[1]

هذه الأنواع من الدّلالات هي أكثر ما يعتمد عليه الفقهاء والمفسّرون والأصوليون، وهي المتّصلة بالدّراسات الشّرعية.

6. مباحث لغوية من المستوى الدّلالي:

عندما نتناول المستوى الدّلالي بالدّراسة، فإنّنا نربطه من جهة بدلالة المفردات في حدّ ذاتها- ونعني به المعنى المعجمي لتلك المفردات- ومن جهة أخرى فهو يتلّق بدلالة هذه المفردات داخل تركيب معيّن والظّروف التي تُحيط به، وهو ما نسميه بالسّياق، و تعدّ المعاجم ، من أهم الفّروع التي لا يجب علينا إغفالها أثناء دراستنا للمستوى الدّلالي ، بل قد عُدّ المستوى المعجمي من مستويات التّحليل اللّساني ، فهو منطلق المفردة، والمعبّر عن كُنهها ووظيفتها واستعمالاتها، والمحدّد لمعناها، ولذلك ذكرت نور الهدى لوشن: « المعاجم أحد الأقسام الرئيسة في المستويات اللّغوية، أو هو المفتاح المبدئي، ولو لم توجد ألفاظ أو كلمات ما صيغت اللّغة، والمعنى المعجمي هو المعنى الأولي للكلمة أو المعنى التي تدلّ علي الكلمة المفردة كما في المعاجم، وعن طريقها نتوصل إلى معرفة مفاتيح الكلمات المرتبة ضمن قوائم المفردات في النّظام المتّبع»[2]

إنّ المعاجم أو المستوى المعجمي هو الذي يحدّد معاني المفردات كما ذكرنا، ويمكننا تحديد أهم المباحث التي يدور حولها المعنى المعجمي للمفردة في: التّرادف، المشترك اللّفظي، التّضاد...الخ، وإنّ معرفة مختلف العلاقات بين المفردات ترتكز أساسًا على معرفة هذه المحاور، ليكون المتكلّم واعيًا بالفروق الكامنة بين الألفاظ، قال فتح الله سليمان:«إذا كان الإنسان يهدف من خلال اللّغة إلى الإبانة والإيضاح ، ويسعى عن طريقها إلى إظهار مشاعره وانفعالاته ، فإنّه عندما يفعل ذلك يكون واعيًا بمدلولات الألفاظ ، وقد يُدرك بدرجة ما الفروق الدّلالية بين الألفاظ ، ويستطيع المرء بأدائه اللغوي الذي تمرّس عليه أن يُتيح جُملاً عديدة لم يكن قد سمعها ، أو قرأها ، أو تعلّمها من قبل، ممّا يؤدي إلى أن يستقرّ في وعيه ، أو لا وعيه دلالة اللّفظ.»[3]

---

[1] يُنظر :عبد الغفار حامد هلال، العربية خصائصها وسماتها، ص370.

[2] نور الهدى لوشن، علم الدّلالة (دراسة وتطبيق)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2006م، ص83.

[3] فتح الله أحمد سليمان، مدخل إلى علم الدّلالة، ص31.

أ.**المشترك اللّفظي:**

يعدّ المشترك اللّفظي بدوره مظهر ا من مظاهر التّطور اللّغوي، وهو من الخاصيات التي تميّزت بها اللّغة العربية: أن يحمل مبنى واحد عدة معاني، ولا يمكن أن يؤتى هذا التّميز لجميع اللّغات، ومن ثمّة يجب أن تعتبر اللّغة العربية لُغة حيّة لتطورّها المستمر، قال إبراهيم أنيس:« المشترك اللّفظي صورة بارزة من صور التّطور اللّغوي، فإنّه لا يقل أن يكون لفظٌ واحدٌ قد وضع لعدّة معاني ابتداءً، ولكنّ الواقع أنّه نتيجة لعدّة عوامل تسهم في وقوعه من ناحية نظرية: منها اختلاف اللّهجات القديمة، وتأثر بعضها ببعض، ومنها ما يقع من تطور صوتي في بعض الألفاظ... وربّما نشأ المشترك اللّفظي من استعارة اللّغة كلمة تماثل صورتها كلمة أخرى.»[1]

فجميع هذه العوامل التي تضافرت في ظهور المشترك اللّفظي في اللّغة العربية، –وان اختلفت– فإنّها أسهمت في تنمية الرّصيد اللّغوي في العربية وإثراء معاجمها بمعني جديدة في سياقات مختلفة.

1.**مفهوم المشترك اللفظي:** يقول ابن فارس في معنى المشترك :« الاشتراك: أن تكون اللّفظة محتملة لمعنيين أو أكثر، كقوله جلّ ثناؤه: ﴿ **أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ**﴾[طه من الآية:29] ، فقوله: (يُلْقه)، مشترك بين الخبر وبين الأمر، فاقذفيه في اليّم ، ومحتمل أن يكون اليمّ أُمر بإلقائه.»[2]

يقول طالب محمد إسماعيل :« إنّ علماء اللّغة العربية يشترطون في إطلاق اسم المشترك على اللّفظ الذي له أكثر من معنى وأنّ يتعدّد فيه الوضع تبعًا لتعدّد المعنى ، أي أنّ الكلمة إذا تضمنت معاني جديدة لها صلة بالمعنى الأصلي ، فلا تعدّ من قُبيل المشترك اللّفظي»[3]

فحدّ المشترك اللّفظي هو اشتراك معنيين في لفظ واحد، أمّا إذا كانت ثمة معاني تشترك في لفظ واحد، وتلمح لمعناها الأول من مثل المشتقات وغيرها، فلا تدخل في باب المشترك اللّفظي المقصود.

---

[1] إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط3.،2003م،ص 09.

[2] أبو الحسن أحمد ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993م، ص261.

3 طالب محمد إسماعيل، مقدمة لدراسة علم الدّلالة في ضوء التّطبيق القرآني والنّص الشّعري، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط 1، 1432هـ، 2011م، ص183

2. أسباب الاشتراك في اللّغة :

إنّ من أهم الأسباب لوجود المشترك اللّفظي في اللّغة لخصتها نور الهدى لوشن فيما يلي:

– اختلاف اللّهجات: فكلّ لهجة تنشئ لفظًا يُنتج عنه اتّفاق اللّفظ واختلاف المعنى.

– التّغير الدّلالي: حيث يستعمل اللّفظ لمعنى حقيقي كما يستعمل لمعنى مجازي.

– المستجدات النّاتجة عن التّغير الدّلالي، كما حدث ذلك في الألفاظ الشرعية مثلاً، والمصطلحات العلمية.

– التّغير الصّوتي، وذلك ما يحدث بين الكلمات المتشابهة صوتيًا لما في كلمة (الفروة)، التي تطلق على جلد الرّأس والغنى، وأصل الكلمة بالمعنى الثاني (الثروة).

–وقد يكون سبب المشترك التّشابه في الصّيغ الصّرفية»[1]

3. أمثلة عن المشترك اللّفظي:

ساق فايز الداية بعض الأمثلة عن المشترك اللّفظي نقلاً عن كتاب(مختصر وجوه اللّغة) للخوارزمي ذكر فيه: « الأم : الوالدة ، وأصل كلّ شيء ، والملجأ في النّوائب ، وأم الكتاب فاتحته، وأم الرّأس موضع الدّماغ، الجارية: إحدى الجواري، السّفينة، عين كلّ حيوان، وعين الماء، ونعمة الله عزّ وجلّ، والشّمس، الحرّ: نقيض العبد ، والكريم حسن الخلق، وفرخ الحمام ، والفرس العتيق...»[2]

فكلّ لفظة من هذه الألفاظ تشترك فيها معاني متعدّدة تختلف تمام الاختلاف عن بعضها البعض، ولا يمكن معرفة معناها إلاّ بالنّظر في دلالتها داخل التركيب أو السّياق الذي وُظفت فيه، ولأجل هذه القضية اعتنى المفسّرون بجانب المفردات من جهة الاشتراك في اللّفظة لمعرفة معناها الحقيقي الذي وضعت له.

.**تفسير (الحميم) على وجهين** : فوجه منهما يعني القريب، ذا الرحم، فذلك قوله تعالى :﴿ **وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا** ﴾[المعارج:10] يعني قريبا قرابته الكافر، وقوله تعالى في الشعراء :﴿ **وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ** ﴾ [الشعراء:101] يعني قريب، وقوله تعالى:﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾[فصلت من الآية:34] يعني القرابة.

والوجه الثاني: حميم: الحار، فذلك قوله تعالى :﴿ **وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ** ﴾[محمد من الآية:15] يعني (حارا)، وقوله تعالى :﴿ **قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ**

[1] نور الهدى لوشن، علم الدّلالة(دراسة وتطبيق) ،ص106.

[2] فايز الدّاية ، علم الدّلالة العربي(النظرية والتّطبيق)، ص81.

الْحَمِيمُ﴾[الحج من الآية: 19] يعني الحار من الماء، وقال تعالى :﴿ **ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ**﴾[الصافات:67]، يعني الحار، وقال أيضا:﴿ **يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ** ﴾[الرحمن:44] يعني حار قد انتهى حرّه. [1]

فلفظة (حميم) وإن كانت على هيئة واحدة إلا أنها تحمل شحنات دلالية مختلفة، وتؤدي فروقا لغوية في النص استنادا على السياق الذي وردت فيه، فقد تكون بمعنى (القريب)، وقد تكون بمعنى (الحار)، فمعرفة دلالة الكلمة كفيل بفهم مقصدية المخاطِب سبحانه.

.تفسير (اليد) على ثلاثة وجوه :

فوجه منها: اليد بعينها، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ [ص من الآية: 75]، يعني بيدي الرحمن تبارك وتعالى- خلق آدم بيده، وقوله تعالى :﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾[المائدة من الآية:64]، وقوله تعالى:﴿ **وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ** ﴾[الأعراف:108].

الوجه الثاني: (يدٌ)، فهو مثلٌ ضربه لليد في أمر النّفقة فذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ** ﴾[الإسراء من الآية: 29]، أي لا تمسك يدك من النفقة بمنزلة المغلولة يده إلى عنقه، فلا يستطيع بسطها، وقوله تعالى :﴿ **وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغلولَةٌ غُلَّت أَيۡدِيهِم**﴾، قالوا أمسك الله يده عن النفقة علينا، فلا يوسع في الرزق كما فعل لهم في زمن بني إسرائيل فهذا مثل ضربه الله تبارك وتعالى.

والوجه الثالث: يد: يعني فعل، فذلك قوله تعالى :﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ** ﴾[يس:75]...وقوله تعالى :﴿ **لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ**﴾[يس:35]، وقوله تعالى:﴿ **ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾[الحج:10] يعني بفعلك. [2]

اختلف أهل التفسير واللغة في معاني كلمة (يد) انطلاقا من موقعها في النص الذي وردت فيه فقد تكون بمعنى (اليد بعينها) غير أنها إذا تعلقت بذات الله فهي تختلف عن يد البشر، وقد يتصل معنى اليد

[1] يُنظر:عبد العال سالم مكرم، المشترك اللفظي في الحقل القرآني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417هـ، 1996م، ص65

[2] يُنظر: عبد العال سالم مكرم، المرجع نفسه، ص66.

بالإنفاق، كما أنها قد تكون بمعنى (الفعل) الذي يصدر من أي شخص، وأعاننا على فهم ذلك السياق الذي وردت فيه الكلمة.

. **تفسير (آية)**: ويأتي تفسيرها على وجهين، فوجه منها يعني: عبرة، لقوله تعالى :﴿ **وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ** ﴾[المؤمنون:50]، يعني لعبرة.

والوجه الثاني: آية يعني علامة، فذلك قوله تعالى:﴿ **وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ**﴾[يس:41] يعني وعلامة لهم، وقوله تعالى :﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ**﴾[الروم:20] ، أي من علاماته أنّه الرب ، وقوله تعالى :﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا** ﴾[الروم:21] ونحوه كثير.[1]

تأتي كلمة (آية) على معان مختلفة فقد تكون بمعنى (عبرة) في موضع، وقد تكون بمعنى (علامة) في موضع آخر ومرد هذا الاختلاف تعدد السياق الذي وردت فيه الكلمة.

. **تفسير (هلك)**: تأتي على أربعة وجوه:

هلك بمعنى مات لقوله تعالى :﴿ **يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ**﴾[النساء من الآية:176]، وقوله تعالى:﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** ﴾[القصص من الآية:88].

الوجه الثاني: هلك بمعنى: ضلّ كما في قوله تعالى :﴿ **هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ** ﴾[الحاقة:29]، يعني ضلت عني حجتي.

الوجه الثالث: الهلاك بمعنى (العذاب) لقوله تعالى :﴿ **وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ**﴾[الحجر:4]، وقوله تعالى:﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى** ﴾[القصص من الآية:59] أي معذب القرى ﴿ **حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا** ﴾ .

الوجه الرابع: الهلاك بمعنى الفساد لقوله تعالى:﴿ **وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ** ﴾**[**البقرة من الآية:205]، أي يفسد، وقوله تعالى:﴿ **يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا** ﴾**[**البلد:6] أي:أفسدت مالا كثيرا.[2]

[1] يُنظر: عبد العال سالم مكرم، المشترك اللفظي في الحقل القرآني، ص68.

[2] يُنظر: عبد العال سالم مكرم، المرجع نفسه، ص76. 77.

يأتي المتشابه اللّفظي في الأفعال أيضا ومثال ذلك الفعل (هلك) فقد ظهر في آيات عديدة على معان مختلفة تبعا للسياق الذي وردت فيه، فكانت بمعنى (مات)، كما يمكن أن تكون (هلك) بمعنى (ضلّ)، وقد يأتي الهلاك بمعنى (العذاب)، كما أنّه يكون بمعنى الفساد.

بناء على كلّ ذلك فإنّنا نلمس مدى فاعلية السياق في تحديد معاني الكلمات المتشابهة المختلفة معنى فلا يمكن الاستغناء عن قرينة السياق في فهم المعنى المعجمي للمفردة.

ب. **التّضاد:**

1. قضية التّضاد: تعدّ مسألة التّضاد من القضايا اللغوية التي حدث –في وقوعها– تضارب بين العلماء بين مثبت ومعارض لها، فَ« قضية الأضداد من القضايا اللّغوية التي لم تحسم بعد، والتي اختلف حولها القدماء والمحدثون مابين مؤيد لها ومنكر، ولكنّها ظاهرة محدودة في ألفاظ قليلة يمكن إحصاؤها، كما أنّ طبيعة التّطور اللّغوي جعلت كثيرًا من الألفاظ مهجورة ، مثل: الصّريم: للّيل والنّهار، والشّدقة : للضوء والظّلمة..».[1]

رغم إثبات مسألة التّضاد من قبل فئة من اللّغويين، إلاّ أنّها قليلة مقارنة بظاهرتي: التّرادف والمشترك اللّفظي، وهذا يرجع إلى قلة استعمال بعض الكلمات و هجرانها بل واضمحلالها ، وهذا ما جعل فريق آخر من اللّغويين ينكرون وجود هذه الظّاهرة ، غير أنّ التّضاد من المباحث الدّلالية الهامة ، وقد اعتبرها أغلب اللّغويين منبثقة عن المشترك اللّفظي، وفي هذا يقول فايز الدّاية: «التّضاد يعدّ جزءا من مفهوم المشترك، ذلك أنّ المشترك يقع على شيئين ضدّين ، وعلى مختلفين غير ضدّين ، فما يقع على ضّدين (كالجون: للأبيض والأسود)، والجلل (للعظيم والحقير)، وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين.»[2]

فالمشترك اللّفظي أعم من التّضاد يقع على اللّفظين المتّضادين أو المختلفين، أمّا التّضاد فلا يقع إلاّ على الضّدين، فالتّضاد إذن جزء من المشترك اللّفظ، يقول طالب محمد إسماعيل: «...ويُقصد بالأضداد، أو التّضاد في اصطلاح بعض علماء العربية القُدامى (الكلمات التي تؤدي دلالتين بلفظ واحد، يقول ابن الأنباري مقدّمة كتابه الأضداد :(هذا كتاب ذكر الحروف أي الكلمات التي توقعها العرب على المعاني

[1] فتح الله سليمان، مدخل إلى علم الدّلالة، ص44.

[2] فايز الدّاية ، علم الدّلالة العربي(النّظرية والتّطبيق)، ص78.

المتضّادة) ، فيكون الحرف فيها مؤديّا عن معنيين مختلفين، وذكر ابن فارس أنّ:(من سنن العرب في الأسماء أن يسمّوا المتضادين باسم واحد : سمّوا الجون للأسود، والجون للأبيض).»[1]

2.عوامل وقوع التّضاد:

استعمل العرب الألفاظ المتضّادة لأسباب مختلفة يرجع بعضها لأسباب نفسية وأخرى ثقافية، أو بسبب التّطور اللّغوي، وفي ذلك يقول علي عبد الواحد وافي ممثلاً لبعض النّماذج من التّضاد: «فيما يتعلّق بالتّضاد فإنّ أمثلته في اللّغة كثيرة تؤكدّ أنّه موجود في اللّغة، ذلك أنّ العوامل التي تؤدي إليه عوامل فعّالة في حياة النّاس، وهي في مجموعها لا تخرج عن العوامل السّابقة العاملة في التّطور اللّغوي، ففي بعض الأمثلة قد استعمل اللّفظ ضدّ ما وضع له لجرّد التّفاؤل : كالمفازة في المكان الذي تغلب فيه المهلكة، فقد سميّت بذلك تفاؤلاً بالسّلامة، وكالسّليم للملدوغ، وكالرّيان والنّاهل للعطشان ، وفي بعضها قد استعمل اللّفظ في ضدّه للتّهكم، أو لاتّقاء التّلفظ بما يكره التّلفظ به أو بما يمجّه الذوق، أو بما يؤلم المخاطب، وكذلك كإطلاق لفظ العاقل على المعتوه أو الأحمق ، والخفيف على الثقيل ، والأبيض على الأسود ، والملآن على الفارغ ،والمولى على العبد، والبّصير على الأعمى، وهلمّ جرّا...»[2]

3.التضاد في القرآن الكريم:

.أسرّ: تأتي الكلمة بمعنى (أظهر) وقد ترد بمعنى (أخفى) نحو قوله تعالى :﴿ **بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ**﴾[يونس من الآية:54]، قال أبو حيان: « وأسروا من الأضداد تأتي بمعنى أظهر. قال الفرزدق :

وَلَمَّا رَأَى الحَجَّاجُ جَرْدَ سَيْفَـــــــــهُ أَسَرَّ الحَرُورِي الذِي كَانَ أَظْهَرَا

وقال آخر : فَأَسْرَرْتُ النَّدَامَةَ يَـوْمَ نَادَى بَرْدُ جَمَالِ غَاضِرَةٍ المِنَـــــادِي

وتأتي بمعنى أخفى وهو المشهور فيها كقوله :﴿**يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾ [هود:5] ويحتمل هنا الوجهين. أما الإظهار فإنه ليس بيوم تصبر ولا تجلد، ولا يقدر فيه الكافر على كتمان ما ناله، ولأن حالة رؤية العذاب يتحسر الإنسان على اقترافه ما أوجبه، ويظهر الندامة على ما فاته من الفوز ومن الخلاص من العذاب وقد قالوا :﴿**قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَت عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ**﴾ [المؤمنون: 106]، وأما إخفاء الندامة فقيل: أخفى رؤساؤهم الندامة من سفلتهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وهذا فيه بعد...»[3].

[1] طالب محمد إسماعيل، مقدّمة لدراسة علم الدّلالة في ضوء التّطبيق القرآني والنّص الشّعري، ص200.

[2] علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، ص188.

[3] محمد أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت(لبنان)، ط1، 1413هـ، 1993م، ج5، ص167.

.**أخفى**: بمعنى (أظهر) وتأتي بمعنى (أسرّ) لقوله تعالى:﴿ **إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى**﴾[طه:15] قال أبو حيان:« بضم الهمزة بمعنى أظهرها فتتحد القراءتان، وأخفى من الأضداد بمعنى الإظهار وبمعنى الستر. قال أبو عبيدة: خفيت وأخفيت بمعنى واحد، وقد حكاه أبو الخطاب وهو رئيس من رؤساء اللغة لا شك في صدقه»[1]

والمعنى« حتى لا تظهر البتة، ولكن ذلك لا يقع، ولا بد من ظهورها ، قال القاضي أبو محمد رحمه الله : فهذا تلخيص هذا المعنى الذي أشار إليه بعض المفسرين، وهو الأقوى عندي. وروى بعض القائلين بأن المعنى: "أكاد أخفيها من نفسي" ما في القول من القلق، فقالوا: معنى "من نفسي": من تلقائي ومن عندي[2]».

.**عسعس**: قد تكون بمعنى (أقبل) وترد بمعنى (أدبر) نحو قوله تعالى :﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ**﴾[التكوير:17] قال الزجاج:« يقال: "عسعس الليل"، إذا أقبل، و"عسعس"، إذا أدبر، والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد، وهو ابتداء الظلام في أوله، وإدباره في آخره[3]».

قال ابن عاشور أيضا:« وعسعس الليل عسعاسا وعسعسة، قال مجاهد عن ابن عباس: أقبل بظلامه، وقال مجاهد أيضا عن ابن عباس معناه: أدبر ظلامه، وقاله زيد بن أسلم وجزم به الفراء وحكى عليه الإجماع. وقال المبرد، والخليل: هو من الأضداد، يقال :عسعس، إذا أقبل ظلامه، وعسعس، إذا أدبر ظلامه. قال ابن عطية: قال المبرد :أقسم الله بإقبال الليل وإدباره معا»[4]

.**المسجور**: تأتي الكلمة بمعنى (مملوء) كما أنها قد تطلق على (الفارغ) نحو قوله تعالى :﴿ **وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ**﴾[الطور:6] قال أبو حيان:« قال قتادة: البحر المسجور: المملوء، وهذا معروف من اللغة، ورجحه الطبري بوجود ماء البحر كذلك، ولا ينافي ما قاله مجاهد، لأن سجرت التنور معناه :ملأته بما يحترق. وقال ابن عباس: المسجور: الذي ذهب ماؤه. وروى ذو الرمة الشاعر، عن ابن عباس قال: خرجت

[1] محمد أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج6، ص218.

[2] عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط 1، 1422هـ، 2001م، ج4، ص40.

[3] إبراهيم أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي،عالم الكتب، بيروت(لبنان)، ط 1، 1408هـ، 1988م، ج5، ص292

[4] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج30، ص153.

أمة لتستقي، فقالت: إن الحوض مسجور: أي فارغ، وليس لذي الرمة حديث إلا هذا، فيكون من الأضداد»[1]

.**عاصم**: قد تكون بمعنى (عاصم) اسم الفاعل، وقد ترد بمعنى اسم المفعول(معصوم) ل قوله تعالى :﴿**قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ**﴾ [هود من الآية:43]

قال الزمخشري:« لا عاصم اليوم من الطوفان إلا من رحم الله. أ ي إلا ما كان من رحم الله من المؤمنين، وكان لهم غفورا رحيما في قوله إن ربي لغفور رحيم وذلك أنه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له: لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو م اكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة. وقيل لا عاصم، بمعنى: لا ذا عصمة إلا من رحمه الله، كقوله ماء دافق وعيشة راضية»[2]

فالتّضاد هو من الظواهر اللّغوية التي تندرج تحت الاشتراك اللّفظي، فالعلاقة بينها هي علاقة عموم وخصوص، والفروق والاختلافات والتّضاد إنّما استنبط تبعا للسياق الذي وردت فيه الكلمات في موضع معيّن وفي مقام محدّد أكسبها شحنة دلالية تختلف تمام الاختلاف عن نظيرتها ولو شابهتها، بل وتعاكسها فيها.

ج. التّرادف:

يعتبر التّرادف من الظّواهر الدّلالية، التي تقع بين المفردات، فتظهر العلاقات القائمة فيما بينها، يقول السّيوطي نقلاً عن الإمام فخر الدّين: «هو الألفاظ المفردة الدّالة على شيء واحد باعتبار واحد».[3]

ويقصد بقوله : أنّها الألفاظ المختلفة في مبناها والمتفقة في معناها، أي التي إذا استبدلت مع بعضها لا تتغيّر دلالة التركيب.

يقول أحمد حساني: «العلامات المترادفة: هي تلك العلامات التي تتقاطع فيما بينها في مدلول مشترك، فهي كما يقول الغزالي:(الأسماء المختلفة الدّالة على معنى واحد : كالخمر،و الرّاح ، والعقار ، فإنّ المسمّى بهذه يجمعه حدّ واحد وهو : المائع المسكر المعتصر ، من العنب ، والأسامي مترادفة عليه)[4]

---

[1] محمد أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج8، ص144.

[2] جار الله أبو القاسم الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة، بيروت(لبنان)، ط3، 1430هـ، 2009م، ج2،ص97.

[3] جلال الدّين السّوطي، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 1986م، ص402.

[4] أحمد حساني، مباحث في اللّسانيات، ص257.

1. **تعريف التّرادف:**

أ.لغة: يقول ابن منظور:« الرّدف ما تبع الشيء، وكلّ شيء تبع الشيء، فهو ردفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو التّرادف، والجمع الرّدافى... وردف الرّجل وأردفه: ركب خلفه، وارتدفه خلفه على الدّابة، ورديفك : الذي يرادفك، والجمع رُدفاء...»[1].

وفي مختار الصّحاح: «...ردِفه بالكسر،أي تبعه، يُقال نزل بهم أمرٌ فرَدِف لهم آخر أعظم منه، قال تعالى:﴿**تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ**﴾ [النازعات:07] ...وهذه دابة لاتُرادف، أي لا تحمل رديفًا... والتّرادف: التّتابع»[2]

وفي مقاييس اللّغة، يقول ابن فارس:« ردف : الراء والدّال والفاء أصل واحد مطّرد، يدلّ على اتّباع الشيء، فالتّرادف :التّتابع ...والرّدفان : اللّيل والنّهار...»[3]

ب.اصطلاحا:التّرادف مثلما ورد في التعريفات للجرجاني:«هو عبارة عن الاتّحاد في المفهوم، وقيل هو توالي الألفاظ المفردة، الدّالة على شيء واحد باعتبار واحد»[4]

جاء في كشاف اصطلاحات الفنون أنّ التّرادف:« عند أهل العربية والأصول والميزان هو توارد لفظين مفردين أو ألفاظ كذلك ،في الدّلالة على الانفراد بحسب أصل الوضع على معنى واحد من جهة واحدة، وتلك الألفاظ تسمّى مترادفة»[5].

وعلى كلٍّ فإنّ التعريف الاصطلاحي للتّرادف لا يبتعد عن التّعريف اللّغوي له ، وهما يجتمعان في دلالته على التّتابع، والتّوالي والاشتراك في المعنى، ومن هنا يتضّح لنا أنّه ليس تطابقًا كاملاً، بل ثمة أصل وتابع له، وبالتّالي فإنّ الكلمات التي يُظنّ ترادفها ليست متطابقة كليًّا، بل متقاربة في معانيها، فيكون استعمالها في موضع واحد لتقريب المعنى فحسب.

[1] جمال الدين بن منظور، معجم لسان العرب، دار صادر، لبنان، ج9،ص114، 115.

[2] محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصّحاح، إخراج: دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، بيروت، دط، 1986، ص101.

[3] أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: محمد عبد السّلام هارون،دار الفكر،1979، ج2، ص493 .494.

[4] علي بن محمد السيّد الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد الصّديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دط، دت، ص50.

[5] محمد علي التّهانوي، كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج ، مكتبة لبنان، لبنان، ط1996،1م ، ج1، ص406.

2. أنواع التّرادف:

هناك أنواع عدّة للتّرادف، وقد أشار إلى ذلك القُدامى والمحدثون، غير أنّ أكثرها شيُوعًا –والذي حدّده المحدثون– هما: التّرادف الكامل، وشبه التّرادف، وقد أشار إليها أحمد مختار عمر بقوله: « يميّز كثير من المحدثين بين أنواع مختلفة من التّرادف ، وأشباه التّرادف على النّحو التّالي:

ا. **التّرادف الكامل:** وذلك حين يتطابق اللّفظان تمام المطابقة ولا يشعر أبناء اللّغة بأي فرق بينهما، ولذا يُبادلون بحرية بينهما في كلّ السّياقات..

.ب. **شبه التّرادف:** وذلك حين يتقارب اللّفظان تقاربًا شديدًا لدرجة يصعب معهما– بالنّسبة لغير المتخصّصين– التّفريق بينهما... ويمكن لهذا التمثيل لهذا النّوع في العربية بكلمات: عام، سنة، حول،...»[1]

3.منشأ التّرادف:

نشأ التّرادف في اللّغة العربية لأسباب عديدة، كان أهمها كما ذكر إبراهيم أنيس ما يلي:

– توسع البيئة اللّغوية ، حيث تضمّ بيئات مختلفة فيها ألفاظ متساوية المعاني، كما حدث في الجزيرة العربية.

– ا ستعارة كلمة من لهجة لأخرى، أو لغة لأخرى.

– تولد أسماء جديدة من كلمات ، كانت تستعمل صفات :المهنّد واليماني من أسماء السّيف.

–تناسي المجازات.

– تناسي الفروق بين الألفاظ المتشابهة.[2]

ربّما كان السبب الأخير الأقوى في توسيع دائرة التّرادف، وذلك أنّ العرب الأوائل كانوا يتحرون الدّقة في إطلاق الأسماء على مسمياتها، ولكن بعدما حلّ الضعف في اللّغة، ظهرت المسميات العديدة على المعنى الواحد، وهذا ما انعكس سلبا على اللّغة، ليصل بها في نهاية المطاف، إلى هجران الكثير من مفرداتها والاكتفاء بالمستعمل عادة، أي بمعجم لغوي محدود جدّ ا :«كان اللغويون أيام ازدهار اللّغة يعنون بإبراز الفروق بين الألفاظ، وقد كان كتّاب العربية في العصور الزاهرة ، يحرصون على دقة التّعبير ،ووضع الألفاظ في مواضعها...»[3].

---

[1] أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص221.

[2] يُنظر: إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية ، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ، دط، 2003، ص157، 158، 159.

[3] محمد المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، دت، دط، ص200.

حتّى:« أصاب العربية في عصور الانحطاط المنصرمة مرض العموم والغموض والإبهام، كما أصابت هذه الآفات التفكير نفسه، فضاعت الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة، فعُدّت مترادفة، وكثر استعمال الألفاظ في المعاني المجازية، وصرفت عن معانيها الأصلية، فضاع الفكر بين الحقيقة والخيال وزالت الخصائص المميّزة، والفروق الفاصلة، وأصبح لكلّ موضوع مهما تكرّر قوالب من اللّغة ثابتة، وأداة من اللّفظ لا تتغيّر، وتعابير مصوغة لكلّ مناسبة أو موضوع، تنقل وتلصق كلّما تكرّرت تلك المناسبة أو عرض ذلك الموضوع.[1]

رغم كلّ هذا، فإنّنا نجد طائفة من العلماء، يقولون بالتّرادف، ولكلٍّ ما يبرر قوله.

4. التّرادف بين النّفي والإثبات:

إنّ قضية التّرادف قد أثارت الجدال بين العلماء بين مؤيد ومنكر لها ،وقد قال فتح الله سليمان:«من القضايا التي شغلت القُدماء والمحدثين على السّواء، وكان لها مؤيدون ومنكرون، فمنهم من أكدّ على وجود التّرادف بمعناه الشّامل في ألفاظ اللغة، ومن هؤلاء : ابن جني، وابن سيّده ، ومنهم من أنكر وجود هذا التّرادف التّام الكامل، باعتبار أنّ ثمة شحنة دلالية في كلّ لفظة لا توجد في نظيرتها، ومن هؤلاء: ابن الأنباري، ابن فارس، أبو هلال العسكري... لم ينكروا إمكانية وقوع التّرادف بمعناه العام ، ولكنّهم ينبّهوا إلى وجود فروق دلالية بين المترادفات.»[2]

إنّ مسألة وجود فروق دلالية بين المترادفات، ظهرت بصورة واضحة في القرآن الكريم، فهناك ألفاظ لا يمكن أن تحلّ مكانها أخرى، لأنّ إحداها قد تكون أكثر تعبيرًا ووضوحاً عن نظيرتها بحيث لا يمكن استبدالها بغيرها، وقد مثلنا سابقًا للكلمات الآتية: السنة، الحول، العام،الحجة أو كما ورد في القرآن الكريم مفردات من مثل: زوجته، امرأته، أهله، فكلٌ منها توظف في موضع يناسبها في مقام معيّن.

5. المفردة القرآنية بين الترادف والفروق:

ظلت مسألة التّرادف من القضايا الهامة التي ظلت محط اختلاف العلماء «فقضية التّرادف من القضايا التي شغلت القدماء والمحدثين على السواء، وكان لها مؤيدون ومنكرون، فمنهم من أكدّ على وجود التّرادف بمعناه الشامل في ألفاظ اللّغة ، ومن هؤلاء ابن جني (ت392هـ) ،وابن سيّده (ت485هـ) ، ومنهم من أنكر وجود هذا التّرادف التّام الكامل، باعتبار أنّ ثمّة شحنة دلالية في كلّ لفظ، لا توجد في نظيره، ومن هؤلاء ابن

[1] محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية ، ص318.

[2] فتح الله سليمان، مدخل إلى علم الدّلالة، ص35.

الأنباري (ت237هـ)، وابن فارس (ت395هـ)، فهؤلاء وغيرهم ممن تبعهم في قولهم، لم ينكروا إمكانية وقوع التّرادف بمعناه العام ، ولكنّهم نبّهوا إلى وجود فروق دقيقة بين المترادفات ».[1]

أولا: مذهب القائلين بالتّرادف:

-**ابن خالويه:** يفتخر ابن خالويه، بحفظه خمسين اسما للسّيف ،كما روي ذلك عن أبي علي الفارسي ، فقال:« كنت بمجلس سيف الدولة بحلب ، وبالحضرة جماعة من أهل العلم، وفيهم ابن خالويه، فقال ابن خالويه : أحفظ للسيف خمسين اسما، فتبسّم أبو علي، وقال: ما أحفظ له إلاّ اسما واحدا ، وهو السّيف ، فقال ابن خالويه: فأين المهنّد والصّارم ، وكذا وكذا ، فقال أبو علي : هذه صفات»[2]

فحديثه وافتخاره بحفظ عدّة مسميات للسّيف دلّ على تأييده للتّرادف، كما دلّ في المقابل على إنكار أبي علي للتّرادف واعتباره تعدد المسميات إنّما هو على سبيل الوصف لمسمى واحد.

-الأصمعي: نقل أحمد ابن فارس خبرا للأصمعي (ت216هـ) ، حين سأله الرّشيد عن شعر غريب ، ففسّره ، فقال الرّشيد: يا أصمعي إنّ الغريب عندك لغير غريب، قال: يا أمير المؤمنين ألا أكون كذلك ، وقد حفظت للحجر سبعين اسمًا»[3]

وهذا أيضا موقف واضح من الأصمعي، يقول فيه بالتّرادف، ويقرّ بذلك، ممثلاً بوجود سبعين اسما للحجر.

-سيبويه: قسّم سيبويه (ت180هـ)، اللّفظ إلى أقسام، فقال: «هذا باب اللّفظ للمعاني: أعلم أنّ من كلامهم- يعني العرب- اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللّفظين والمعنى واحد، واتّفاق اللّفظين واختلاف المعنيين»[4]

فهو يشير في قوله : "اختلاف اللّفظين والمعنى واحد"، على التّرادف، ومثّل له ب(ذهب وانطلق).

-ابن جني(392هـ): يقول في كتاب الخصائص :« وإذا كثر على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة فسُمعت في لغة إنسان واحد، فإنّ أحرى ذلك أن يكون قد أفاد أكثرها أو طرفًا منها، من حيث كانت القبيلة الواحدة لا تتواطأ في المعنى الواحد على ذلك كلّه ، هذا غالب الأمر...»[5]

---

[1] فتح الله أحمد سليمان، مدخل إلى الدّلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1412هـ، 1991م، ص35.

[2] عبد الرحمن جلال الدّين السّيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المكتبة العصرية، بيروت، ج01، دط، 1986، ص405.

[3] أحمد ابن فارس،الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية ، القاهرة، دط، 1328هـ، 1910م، ص15.

[4] عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج1، ص24.

[5] أبو الفتح بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النّجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، دت، ص373.

أثبت ابن جني التّرادف و يرى أنّ مردّ –تعدد الأسماء للمعنى الواحد– يرجع إلى اختلاف القبائل.

ثانيا: مذهب القائلين بالفروق:

يرى طائفة من العلماء، إلى وجوب تحري الفروق الدقيقة بين المفردات، وعدم تجاهلها، وإلا كان ذلك إجحافًا في حق اللّغة، التي حرص أصحابها إلى وضع كلّ لفظ موضعه الأنسب له، حيث: يعتقد المانعون للتّرادف أن المثل الأعلى للغة، عبارة عن لفظ واحد، فلا ترادف ولا اشتراك، فاختلاف العبارات والأسماء، يوجب اختلاف المعاني، يشهد على هذا أنّ الاسم إنّما هو كلمة تدّل على معنى دلالة إشارة، فإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعُرف، فلا مبرر للإشارة إليه ثانية أو أكثر...والقول بالتّرادف يؤدي إلى تعطيل فائدة أحد اللّفظين لحصولها في لفظ آخر، والأمر الثاني إلى منع التّرادف : الحاجة إلى الاختصار والاقتصار على ما يؤدي الغرض المقصود من اللّغة، والقول بخلاف هذا يؤدي إلى تكثير اللّغة بما لافائدة فيه ولا حاجة إليه، أمّا الأمر الثالث: أنّ المؤنة في حفظ الاسم الواحد أخف من حفظ الاسمين، فكيف والمسألة لم تقتصر على اسمي، بل مئات أحيانا وألوف أحيانًا، والأمر الرّابع: أنّ ما دوّن في المعاجم وكتب اللّغة على أنّه من المترادفات ليس في حقيقته كذلك، بل إنّ العرب كانت تفرّق بينه، وتعرف لكلّ لفظة دلالتها الخاصة بها، ولا يلزم من جهلنا بهذه الفروق تجهيل العرب بها أيضًا.[1]

ولهذه الأمور يذهب طائفة من أهل اللّغة والمفسرين وغيرهم إلى نفي التّرادف التّام، والتّطابق المطلق بين الكلمات، حفاظًا على الدلالات العميقة التي تختفي وراء المفردات، وتكسبها دلالات ليست في غيرها.

ومن القائلين بالفروق:

–**ابن الأعرابي**: أول ما وصل إلينا بصدد إنكار التّرادف ، هو ما حكاه ثعلب عن أستاذه ابن الأعرابي (ت231هـ) ، القائل: كلّ حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد ، في كلّ منهما معنى ليس في صاحبه"[2]، ولعلّ أفضل ما يمثلّ له في قوله ما ساقه ابن جني في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، فقد أشار ابن جني نفسه أنّ في كلمة (أزّ) معنى لا يمكن أن نجده في هزّ ، على الرّغم من التّقارب في المخرج بين الهمزة والهاء إلاّ أنّ الأولى تعني التحريك بقوة ، والثانية تدلّ على التّحريك برفق، وهذا الفهم يوحي إلينا بعدم ترادف الكلمتين ولو تقاربتا في المعنى.

[1] يُنظر: محمد بن عبد الرحمن الشّايع ، الفروق اللّغوية وأثرها في تفسير القرآن ، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1993م، ص84. 85.

[2] جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ج1، ص401.

-**ثعلب**: وقد تابعه – يعني ابن الأعرابي- في ذلك تلميذه ثعلب(ت 291هـ)، حين ذكر:«إنّ كلّ ما يُظن من المترادفات ، فهو من المتباينات التي تتباين بالصّفات كما في : (الإنسان والبشر)، فإنّ الأول موضوع له باعتبار النّسيان ، أو باعتبار أنّه يؤنس، والثاني أنّه بادي البشرة»[1]

فموقف ثعلب أيضا واضح في إنكاره للتّرادف، واعتباره أنّ دلالة كلّ مفردة تتباين عن دلالة أختها، ومثّل لذلك بكلمتي: الإنسان والبشر التي يظهر لنا لأول وهلة أنهما بمعنى واحد، غير أنّ المادة المعجمية لكلٍّ منهما تدلّ على اختلاف في معنييهما.

-**أبو بكر بن الأنباري**: ذهب إلى قول ابن الأعرابي أبو بكر بن الأنباري(ت 328هـ)، فبعدما ساق قولاً لابن الأعرابي في بيان دلالة بعض المفردات ، والتي لا يشاركها في المعنى غيرها، قال:« وقول ابن الأعرابي هو الذي نذهب إليه للحجة التي دلّلنا عليها، والبرهان الذي أقمنا فيه».[2]

-**أبو علي الفارسي**: تابع الفارسي(ت377هـ) شيخه ثعلبًا ، في إنكاره للتّرادف، وقد نُقل عنه:«كنت بمجلس سيف الدّولة بحلب، وبالحضرة جماعة من أهل اللّغة، وبينهم ابن خالويه، فقال ابن خالويه: "أحفظ للسّيف خمسين اسماً، فتبسّم أبو علي ، وقال: ما أحفظ له إلاّ اسما واحدا، وهو السّيف، قال ابن خالويه: "فأين المهنّد والصّارم وكذا وكذا، فقال أبو علي هذه صفات"»[3]

-**أبو هلال العسكري**: وضع أبو هلال (ت 395هـ) كتابًا خاصًّا سمّاه (الفروق اللّغوية)، وصرّح في مقدمته إنكاره للتّرادف حيث قال:« الشّاهد على أنّ اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني، أنّ الاسم كلمة تدّل على معنى دلالة الإشارة ، وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة ، وواضع اللّغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد...»[4]

هذه آراء ثلة من العلماء الذين أنكروا التّرادف في اللّغة العربية عموماً وفي لغة القرآن الكريم على وجه الخصوص، وفي المبحث التالي سنعرض لبعض آراء من نفى التّرادف في القرآن الكريم، باعتبار أن لكلّ لفظة معنى مستقل عن غيره ا يمنحها خصوصية ليست في غيرها.

[1] جلال الدين السّيوطي، المزهر في علوم اللغة، ج1،ص403.

[2] جلال الدين السّيوطي ، المرجع نفسه، ج1،ص400.

[3] جلال الدين السّيوطي، المرجع نفسه، ج1،ص 405.

[4] أبو هلال العسكري، الفروق اللّغوية، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية ،لبنان، ط5، 2018م، ص33.

من هنا نخلص إلى أنّ التّرادف ثابت في شكله العام، كمبحث لغوي يقوم بتقريب معاني الكلمات المراد تفسيرها، إلاّ أنّه ثمة فروق دقيقة بين معظم المترادفات،لا يتنبّه لها إلاّ من تضلّع في اللغة.

6. دور السياق في فهم الدلالة المعجمية وتحديد الفروق اللّغوية القرآنية:

إنّ القول بالتّرادف المطلق سلب اللغة العربية دقتها ومميزاتها ، فكيف إذا تعلّق الأمر بلغة القرآن الكريم المعجز بكلّ حرف فيه، فلم توضع كلماته صدفة أو تعسفاً، وإنّما كان لكلّ مفردة مكانها، والذي إذا حلّت فيه أخرى لوجدتها نافرة ، ولما قويت قوّتها ، وأدت معناها المراد، يقول محمد أبو زهرة:" إنّ الألفاظ في ضمن الأسلوب البياني الرّائع ، ونعتقد مؤمنين أنّ كلّ لفظ في القرآن له معنى قائم بذاته ،وفيه إشعاع نوراني يتضافر مع جملته، ويساعد بعضه بعضا في المعاني العامة للأسلوب والعبارات الجامعة، وإنّ العبارات مجتمعة يساعد بعضها بعضًا.[1]

والتماس الدّقة فيه وجه من وجوه إعجازه الذي تفرّد به، وضرب من ضروب فصاحته : « يذهب جمهور العلماء إلى نفي التّرادف في القرآن الكريم، وحتّى وإن قال بعضهم بوجوده في اللّغة العربية، نظرا لبلوغ القرآن الكريم أعلى درجات الفصاحة، وتسنمة ذروة البلاغة، فليس فيه لفظة نابية عن مكانها، أو نافرة في سياقها، فقد استوت كلّ كلمة فيه في مكانها الأشكل بها، المناسب لها ، بما لا مجال معه لإبدال حرف مكان آخر، فضلا أن تقوم لفظة مكان أخرى في تأدية كامل المعنى.»[2]

حرص أهل اللّغة والمشتغلون بتفسير القرآن الكريم على الفهم الصّحيح للغة القرآن ، للوصول إلى الأبعاد الدلالية الكامنة في ألفاظها وتراكيبها، ومن ذلك التّمعن في الفروق الدّقيقة بين الكلمات التي يظهر لنا- لأول وهلة- أنّها متّفقة معنى ، والحقيقة أنّ لكلّ لفظة خصوصية تميّزها عن غيرها، وخاصة في لغة القرآن الكريم – كما ذكرنا سابقا-

-الأب والوالد:

الأب في اللّغة: سبب وجود الشيء ، أو إصلاحه أو ظهوره ، وسمي الأب أبًا لأنّه يقوم على إصلاح الأبناء ورعايتهم بالتربية والغذاء، والوالد في اللغة: الأب المباشر، الذي هو سبب وجود الابن، فالوالد خاص، والأب عام، والاستعمال القرآني للفظين يراعي ما لكلٍّ منهما من ملامح دلالية خاصة، فالأب يُطلق على الأب المباشر ،كما في قوله تعالى : ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ**﴾[يوسف من الآية:4]،كما يطلق

[1] محمد أبو زهرة ، المعجزة الكبرى(القرآن)، دار الفكر العربي، مصر، دط، دت، ص109.

[2] محمد بن عبد الرحمن الشايع، الفروق اللّغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، ص177.

على الجدّ وإن علا نحو قوله تعالى: ﴿**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الحج من الآية: 78]، وورد مجموعا للدلالة على سلسلة الأجداد، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا** ﴾ [البقرة:170]، أمّا الوالد في الاستعمال القرآني فقد اقتصر على معنى الأب المباشر الذي هو سبب وجود الابن، ويأتي في أغلب المواضع في صيغة الأنثى، إيماء إلى أنّ الأنثى هي الوالدة على الحقيقة، وألحق بها الأب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ (البقرة 83)، وقوله تعالى: ﴿**اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا**﴾ [لقمان من الآية:33]، ولم يرد الوالد مجموعا في القرآن الكريم، وفي هذا قرينة على أنّ اللّفظ مقصور على الأب المباشر دون غيره.[1]

-الإملاق والفقر:

أصل الإملاق : الإنفاق، يُقال: أملق ماله، أي أنفقه ، وقيل هو الإسراف في الإنفاق، وسُمي الفقر إملاقًا من حيث إنّ الإسراف في الإنفاق يؤدي بصاحبه إلى العوز والحاجة ،والذي عليه القرآن الكريم أنّه راعى الأصل دون النّظر إلى ما آل إليه الإملاق من الفقر، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُم** ﴾[الأنعام من الآية: 151]، وقال سبحانه: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا**﴾ [الإسراء: 31]، فالخشية ليست من الفقر حقيقة، وإنّما من خوف الآباء أن يصبهم الفقر والحاجة من الإنفاق على الأولاد، فالإملاق هو افتقار بعد غنى ، أمّا الفقر فهو ضدّ الغنى، وهو عبارة عن فقد ما يُحتاج إليه ، ولذلك فالفقر في القرآن مقترن بضدّه ، قال تعالى﴿**وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ**﴾ [محمد من الآية: 38]، وقال أيضا : ﴿**إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ [النور من الآية:32]، إذن فالفقر يأتي في موضع فقد الشيء وعدم وجوده.[2]

-الإنكار والجحد:

ويظهر الفرق بينهما في كون الجحد أخص من الإنكار، وذلك أنّ الجحد إنكار الشيء الظّاهر، والشاهد قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ** ﴾[الأعراف من الآية:51]فجعل الجحد ممّا تدل عليه الآيات، ولا يكون ذلك إلاّ ظاهرا، قال تعالى: ﴿ **أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾ [النحل:من الآية83]، فجعل

[1] يُنظر: محمد محمد داوود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص25.

[2] يُنظر: محمد ياس خضر الدوري، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني ، ص154.

إنكار الشيء مع العلم به، والشاهد قوله تعالى :﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾ [النمل من الآية14]، فجعل الجحد مع اليقين، والإنكار يكون مع العلم وغير العلم.[1]

فاعتمادا على السياق الذي وردت فيه الآيات المتضمنة لكلمتي الإنكار والجحود، عُلم الفرق بين المفردتين، وأنّه لا يمكن لإحداها أن تحل محل الأخرى بدعوى التّرادف.

-البخل والشّح:

البخل في اللّغة : ضدّ الكرم ، وهو إمساك المال والمقتنيات عمّا لا يحق حبسها عنه، والشّح في اللّغة : أشدّ البخل، وفيه حرص ، ويشمل المال والمعروف، كما أنّه عادة متأصلة ثابتة في نفس الشّحيح ، وقد اقترن البخل في الاستعمال القرآني بالمال دون غيره من الخير والمعروف ، قال تعالى: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران من الآية: . 18]، وقوله تعالى: ﴿**هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ**﴾ [محمد من الآية:38]، أمّا الشّح فهو طبع متأصل في النّفس، وحرص النّفس على الحقوق وقلة التّسامح فهو شح في المال وغيره، قال عزّ وجلّ: ﴿**وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ**﴾ [النساء من الآية: 128]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر من الآية:09].[2]

فالشّح يشمل البخل في المال وغيره من أعمال المعروف لذلك فهو أشدّ منه، وإن كان يقاربه في المعنى من حيث المنع والحبس.

-الخوف والخشية:

لا يكاد اللّغوي يفرّق بين الخوف والخشية ، فيوردهما الكثيرون على أنّهما لفظان مترادفان ، يؤدي كلّ منهما معنى الآخر من غير فرق، فالخشية : خوف مشوب بتعظيم المخشي، صادر عن علم ويقين صادق، ومعرفة بعظمته، حتى وإن كان الخاشي قويا، ولذلك خُصّ العلماء بالخشية في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر من الآية: 28]، وخشية الله منزلة رفيعة، يختص بإدراكها فئة معيّنة من النّاس، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ**﴾ [يس الآية:11]، وقال أيضا:

[1] أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص57.

[2] أبو هلال العسكري، المرجع نفسه، ص106.

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ﴾ **مُنِيبٍ**﴾ [ق:33]، أمّا الخوف: فإنّه توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، والخوف يكون غالبًا من ضعف الخائف، وإن كان المخوف منه أمرا يسيرا، شيئا هيّنا، والخوف لا يليق بالرّسل، لأنّه ضعف، قال تعالى: ﴿**يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ**﴾ [النمل من الآية:10].[1]

–الغمام والسّحاب:

الغمام: هو السّحاب الأبيض الرّقيق، وسمي غماما لاشتقاقه من الغم، وهو ستر الشيء ...لذا تجده في القرآن الكريم لم يستعمل لقصد سقوط المياه، إذ الغمام سحاب لا ماء فيه، فكان لبني إسرائيل كالظلة لهم يقيهم حرّ الشّمس، قال تعالى: ﴿**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى** ﴾ [البقرة: من الآية:57]، ويأتي في مواضع العقاب فيحجب السّماء عن الأرض بظلّته، قال تعالى: ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾ [البقرة الآية:210]، أمّا السّحاب فمأخوذة من السّحب، أي الجرّ وذلك لانسحابه في الهواء، أو لجرّه الماء... وورد في مواضع إحياء الأرض وحصول الغيث، قال تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ** ﴾ [الأعراف من الآية:57]، حتّى إنّ الكافرين إذا نزل بهم سخطٌ من السّماء تصوّروا أنّه سحاب مركوم يحيي، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ**﴾ [الطور الآية:44]، فهم يظنون أنّه غيث حلّ لبُوضهم ، لذا استبشروا به.[2]

–المطر والغيث:

الغيث هو الحيا النّازل من السّماء ، وسُمي الغيث حيًّا، لأنّه تحيا به الأرض ، وأصل الغيث يقترب من الغوث الذي بمعنى النّصر والعون، والغيث يأتي في مواضع الرّحمة والبشر ، والقرآن كشف عن هذه المزية للغيث، و أنّه سبب لنّماء وحصول الزّرع، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدِ**﴾ [الشورى الآية: 28]، وقال سبحانه أيضًا: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ**﴾ [الحديد من الآية: 20]، أمّا المطر فهو الماء المنسكب، وقد يكون نافعا وضارا في وقته وفي غير وقته،كما

[1] يُنظر: محمد بن عبد الرحمن الشّايع، الفروق اللّغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، ص270.

[2] يُنظر: محمد ياس الدوري، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، ص120. 121.

قال تعالى: ﴿ **وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ**﴾[النساء من الآية: 102]، وهو الإشارة إلى حلول غضب الله، إذ موضعه موضع انتقام ، فيرسله عقابا للأمم الكافرة الغارقة في غيّها، قال تعالى: ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾[الأعراف، الآية: 84]، وقال سبحانه أيضا: ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ**﴾ [هود من الآية:82].[1]

فمردّ الفرق بين كلمتي المطر والغيث – وإن تقاربتا في المعنى- هو القرآن الكريم، وبالنظر في السياق الذي وردت فيه هاتان اللّفظتان، عُلمت دلالة كلٍّ منهما.

-الحلف والقسم:

فرّق القرآن الكريم بين الحلف والقسم في غير ما موضع، فذكر الحلف في معرض اليمين الكاذب، في حين جاء القسم في الأيمان الصادقة غالباً، وأهل المعاجم ، وإن لم يفرّقوا بينهما ففسّروا أحدهما بالآخر، غير أنّنا نلتمس في الاستعمال العربي الفصيح ما يثبت أنّ الحلف يُستعمل في اليمين الكاذب، فيقولون: حلفة فاجر، وناقة محلّفة السّنام، للمشكوك في سنّها، أمّا في القرآن الكريم فقد اقترن الحلف بالكذب فيه، لقوله تعالى: ﴿**وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [المجادلة من الآية: 14] وقال تعالى: ﴿**وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ [التوبة من الآية:107]، واقتران الحلف بالكفارة يدلّ على الحنث في اليمين ، قال تعالى: ﴿**فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ**﴾ [المائدة من الآية: 89]، أمّا القسم فيرد في الآيات التي يُقسم فيها الحق سبحانه بما يشاء من خلقِه، وإنّه قسم حق، وقول صدق، وإن كان مصدّراً بلا أُقسم ، فمعناه : أُقسم، قال تعالى: ﴿ **فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ**﴾ [الحاقة الآية من:38 ،39] وكما أنّ القسم إذا أسند إليه تعالى يكون حقًا، تجد أنّه إذا كان بالله صراحة فهو صدقٌ، وإن صدر عن قوم ضالين، قال تعالى: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ**﴾[فاطر من الآية: 42].[2]

[1] يُنظر: : محمد ياس الدوري، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، ص121، 122.

[2] يُنظر: محمد ياس خضر الدّوري، المرجع نفسه، ص193.194.

.الأثر والعلامة:

الأثر في اللّغة: ما بقي من الشيء، أمّا العلامة في اللّغة: السّمة المميزة للشيء ، وفي ثنايا التّعريف القاموسي للفظين تفرقة دلالية دقيقة بينهما، حيث إنّ : الأثر ما بقي بعد غياب الشيء أو معظمه، وعلى ذلك فقد يكون ظاهراً، وقد يكون خفيًّا يحتاج إلى بحث وفحص للوقوف عليه، أمّا العلامة ففيها ملمح الظهور المميّز، وقد راعى الاستعمال القرآني هذا الفرق الدّلالي بين اللّفظين، ولنتأمل الآيات التالية: قال تعالى:﴿**فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي** ﴾(**طه من الآية: 96**)، **كما قال تعالى:**﴿ **سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾ [الفتح من الآية: 29]، فالأثر قد يكون ظاهراً وقد يكون خفيًّا ، أمّا العلامة فلابدّ فيها من الظهور والتّميّز ، لقوله تعالى:﴿ **وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾[النحل الآية:16].[1]

فاللّفظان وإن كان بينهما تقارب دلالي، كما أنّهما يشتركان في المعنى العام، إلاّ أنّه لكلٍّ منهما صفة مميّزة، فالعلامة تتميّز بالظهور، بينما الأثر قد يكون ظاهرا، وقد يكون خفيًّا.

أضفت معرفة مختلف الفروق بين الألفاظ جمالية على الكلمات القرآنية، ممّا عكس لنا إعجازا بيانيا في القرآن الكريم انطلاقا من أصغر وحداته إلى النص بمجمله.

المبحث الثالث: القرائن العقلية ودورها في تمييز الفروق اللغوية القرآنية:

1. **القرائن العقلية وأهميتها في فهم الخطاب:** تعتبر القرائن العقلية من القرائن التي لا يمكن الاستغناء عن حضورها في فهم النصوص القرآنية، وتمييز المعاني المتباينة، وتحديد الفروق المختلفة وهي القرائن التي يكون مصدرها من العقل، وهي تعين على فهم النصوص الشرعية ، وقد اعتمدها الأصوليون والفقهاء والمفسرون في فهم النصوص واستنباط الأحكام، واستعان بها اللّغويون في تحليل الخطاب وفهم المنطوق.

يقول الرازي (ت.606هـ) «ثم إنّ القرينة قد تكون عقلية وقد تكون سمعية، أما القرينة العقلية فإنّها تبيّن ما يجوز أن يراد باللفظ ممّا لا يجوز »[2]

[1] يُنظر محمد محمد داوود، الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص30.31.

[2] محمد بن عمر بن بن الحسين الرازي، المحصول في علم الأصول، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1400هـ، ج6، ص32

يقول ابن تيمية (ت. 728هـ):«اللّفظ لم يدل قط إلا بقرائن معنوية، وهو كون المتكلم عاقلا له عادة باستعمال ذلك اللفظ في ذلك المعنى وهو يتكلّم بعادته والمستمع يعلم ذلك وهذه كلّها قرائن معنوية تعلم بالعقل»[1]

يدرج ابن تيمية القرائن العقلية تحت القرائن المعنوية، ويعتبرها من المسلمات التي يتفق عليها المتكلم مع المستمع وتجري في عرفهم اللّغوي، إلاّ أنّ ذلك قد يَشْكُل على المستمع في حال استعمال المتكلم بعض الأوجه البلاغية كالمجاز مثلا فلا يمكن للمتلقي فهم الرسالة إلاّ عن طريق الاستعانة بالعقل والسياق وظروف الخطاب.

يقول الجويني:«الأدلة العقلية هي التي يقتضي النظر التام فيها العلم بالمدلولات، وهي تدل لأنفسها وما هي عليه من صفاتها ولا يجوز تقديرها غير دالة، كالفعل الدال على القادر، والتخصيص الدال على المريد، والإحكام الدال على العالم، فإذا وقعت هذه الأدلة دلت لأعيانها من غير حاجة إلى قصد قاصد إلى نصبها أدلة، وأما السمعيات فإنها تدل بنصب ناصب إياها أدلة، وهي ممثلة باللغات والعبارات الدالة على المعاني عن توقيف من الله تعالى فيها أو اصطلاح صدر عن الاختيار»[2]

فالقرائن العقلية هي:«دلالات معنوية، لأنّها معان مدركها العقل، فهي لا تقع تحت سلطان الحس، ولا هي من قبيل الاصطلاح فتُبيّن بلغة التّواضع، ولا هي حالات تجري بها العادة، ويتداولها العرف، وإنّما هي معان تقترن بالخطاب أو بقائله أو بسامعه أو بمقامه، فإذا انتقل الخطاب من حالة إلى أخرى انتقلت معه تلك المعاني لتفيد دلالة عقلية عند المتخاطبين»[3]

«منهم من يقول بتدخل العقل في إثبات اللّغة وذلك باستخدامه في الاستنباط من المنقولات، وأعتقد أن هذا الرأي عند تمام الدراسة الأصولية، واتّضاح مسالكها، ونماء الدراسة اللّغوية في الوقت الذي اصطبغت فيه تلك الدراسات بالصبغة المنطقية، وأخذ الأصوليون من هذا المنطلق يتعرضون لاتّجاه الألفاظ وسياقها العام بالنظر إلى روح الشريعة وطبيعة اللّغة في الإبانة عن المعنى»[4]

[1] أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، دط، 1415هـ، ج20،ص459.

[2] عبد الله بن عبد الملك الجويني، البرهان في أصول الفقه، ج1، ص121.

[3] مختار حمحامي، القرائن وأثرها على الأحكام، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران، 2005، 2006م،ص215.

[4] أحمد عبد الغفار، التصور اللّغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط،1996م، ص66.

2. دور القرائن العقلية في معرفة المعاني وإدراك الفروق اللّغوية القرآنية:

من الأمثلة التي يذكرها الأصوليون على القرينة العقلية المخصصّة:

.قوله تعالى:﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴾[الزمر من الآية:62] مخصوص حيث نعلم بضرورة العقل أنّه تعالى ليس خالقا لنفسه، ومنها قوله تعالى :﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ** ﴾[آل عمران من الآية:97] يفيد وجوب الحج على جميع النّاس، صغيرهم وكبيرهم، العاقل منهم وغير العاقل، إلا أنّ "العقل منع وجوب الحج على الصبيان والمجانين، لعدم تمكنهما من معرفة الوجوب، فيكون العقل مخصصا للعموم" ومن الأمثلة على القرينة العقلية الصارفة لظاهر اللفظ أن قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ** ﴾[الإسراء من الآية: 64] ليس المراد به ظاهره، وهو حقيقة الطلب، لوجود "قرينة مانعة عن إرادة حقيقة الطلب والإيجاب عقلا، وهي كون الآمر تعالى وتقدس حكيما، لا يأمر إبليس بإغواء عباده، فهو مجاز عن تمكينه من ذلك، وإقداره عليه"»[1]

.قوله تعالى:﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴾[الزمر: 62]، «نعلم بقرينة العقل أن ذات الله سبحانه وتعالى، خارجة عن عموم قوله "كلّ شيء"، لأنّ الشيء لا يخلق ذاته، وهذا من بديهيات العقل، وعلى هذا فالدليل العقلي الذي اقترن بالآية خصّ هذه الآية بما دون الباري سبحانه وتعالى...»[2]

قال ابن عاشور:« وهذه الجملة أدخلت كل موجود في أنه مخلوق لله تعالى، فهو ولي التصرف فيه لا يخرج من ذلك إلا ذات الله تعالى وصفاته فهي مخصوصة من هذا العموم بدليل العقل وهو أنه خالق كل شيء فلو كان خالق نفسه أو صفاته لزم توقف الشيء على ما يتوقف هو عليه وهذا ما يسمى بالدور في الحكمة، واستحالته عقلية، فخص هذا العموم العقل[3]»

يقول ابن عطية:« وهذا عموم في اللفظ يراد به الخصوص في كل ما هو خلق الله تعالى، ويخرج عن ذلك صفات ذاته لا رب غيره، والقرآن، ووصف نفسه بالوحدانية من حيث لا موجود إلا به، وهو في وجوده مستغن عن الموجودات، لا إله إلا هو العلي العظيم[4]»

---

[1] محمد بن عبد العزيز، القرائن عن الأصوليين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1426هـ، 2005م،ص107.

[2] أيمن صالح، القرائن والنص(دراسة في المنهج الأصولي في فقه النص)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1431هـ، 2010م، ص406.

[3] محمد بن الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص53 .

[4] عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص539.

قوله تعالى:﴿ **وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ** ﴾[الإسراء من الآية: 64]، قال القرطبي:«واستفزز" أمر تعجيز، أي أنت لا تقدر على إضلال أحد، وليس لك على أحد سلطان فافعل ما شئت. الثانية- قوله تعالى: (**بِصَوْتِكَ**) وصوته كل داع يدعو إلى معصية الله تعالى»[1]

فالأمر في الآية ليس بالأمر الشرعي الذي يدل على الوجوب، بل جاء بصيغة الزجر لإبليس وأوليائه، لأنّ الدليل العقلي ينافي كون الله عز وجل يأمر الشيطان باستفزاز الناس ودعوتهم إلى السوء، لقوله تعالى:﴿ **قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾[الأعراف:28] فليس له سبيل إلا على أوليائه ممن تبعوا طريقه واستسلموا لشهواتهم وانقادوا لوساوسه، فيكونوا بذلك والشيطان سواء، فيعذبهم الله بما اقترفته أنفسهم ويتبرأ منهم الشيطان عندئذ، لقوله تعالى :﴿ **وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا**﴾[الأعراف من الآية:26]

.قوله تعالى :﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾[الكهف:29]، فإنّ التخيير المستفاد من قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ ظاهره فيه الإباحة لترتيب ذلك على المشيئة، إلاّ أنّه غير مراد لامتناعه عقلا أن يترتّب عليه العذاب حيث أنّه سبحانه وتعالى قال:﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا** ﴾ ، فلا يُحمل على التّخيير والإباحة وإنّما على الإعلام والإنذار، على أنّ الكافر لا يجد عند الله إلاّ العذاب.[2]

قال ابن عطية:« وقوله :﴿ **فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ** ﴾ الآية، توعد وتهديد، أي: فليختر كل امرئ لنفسه ما يجده غدا عند الله عز وجل»[3]

فالخطاب هنا وإن جاء بصيغة التّخيير، إلاّ أنّ القرينة العقلية تعارض هذا الحكم لكونه ممتنعا عقلا، إذ المقصود هو التّخيير في الدنيا فقط وأمّا الحساب فيكون في الآخرة لقوله تعالى :﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا** ﴾ ويكون ذلك عاقبة لمن كفر، معاندة واستكبارا، كما أنّ الله عز وجل ارتضى لنا الإسلام دينا فقال تعالى :﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾[آل عمران من الآية: 19] وقال أيضا:

[1] محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت (لبنان)، ط1، 1427هـ، 2006م، ج13، ص118.

[2] يُنظر: مختار حمحامي، القرائن وأثرها على الأحكام الشرعية، ص220

[3] عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز، ج3، ص513

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[آل عمران: 85]

فكيف يكون التخيير بعد ذلك إلا على سبيل الإمهال والاستدراج.

قال الزمخشري:« وأما الكفار فلا يعرفون اللّه، ولا يقرّون به فكيف يعبدونه؟ قلت: المراد بعبادة المؤمنين: ازديادهم منها وإقبالهم وثباتهم عليها، وأما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الإقرار».

فالدليل العقلي هو الذي يحكم أنّ المخاطبين في الآية هم أولي العقل وليسوا المجانين، إذ أنّ التكليف لا يقع عليهم، ورغم ذلك نجد أنّ الخطاب وقع على عامة النّاس، مع إخراج فئة مخصوصة لا يقع عليها الخطاب.

. قوله تعالى:﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[الفجر:22] قال ابن عاشور:« وإسناد المجيء إلى الله إما مجاز عقلي، أي: جاء قضاؤه، وإما استعارة بتشبيه ابتداء حسابه بالمجيء[1] »

قال أبو حيان:« قال القاضي منذر بن سعيد: معناه ظهوره للخلق هنالك، وليس بمجيء نقلة، وكذلك مجيء الطامة والصاخة، وقيل: وجاء قدرته وسلطانه»[2]

قال أبو السعود:« أي: ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من أحكام هيبته وسياسته. وقيل: جاء أمره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل[3]».

. قوله تعالى:﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[النحل:1] قال القرطبي: « قيل: "أتى " بمعنى يأتي، فهو كقولك: إن أكرمتني أكرمتك. وقد تقدم أن إخبار الله تعالى في الماضي والمستقبل سواء، لأنه آت لا محالة... و "أمر الله" عقابه لمن أقام على الشرك وتكذيب رسوله»[4]

قال ابن عطية:« " أتى" –على هذا القول– إخبار عن إتيان ما سيأتي، وصح ذلك من جهة التأكيد، وإذا كان الخبر حقا يؤكد المستقبل بأن يخرج في صيغة الماضي، أي كأنه لوضوحه والثقة به قد وقع، ويحسن ذلك في خبر الله تبارك تعالى لصدق وقوعه... وقال قوم: "أتى" بمعنى قرب، وهذا نحو ما قلت، وإنما يجوز الكلام بهذا عندي لمن يعلم قرينة التأكيد ويفهم المجاز، وأما إن كان المخاطب لا يفهم القرينة فلا يجوز وضع الماضي موضع المستقبل، لأن ذلك يفسد الخبر ويوجب الكذب»[5]

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والنوير، ج 30، ص337

[2] محمد أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج8، ص462

[3] محمد أبو السعود العمادى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت (لبنان)، ج9، 157.

[4] محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص226.

[5] عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز، ج3، ص377

إنّ الاستناد إلى القرينة العقلية لا يستغنى عنه في فهم القرائن الأخرى، فهي وسيلة لفهمها وتوضيحها قال عبده زايد:«ليس معنى هذا التقسيم أنّ القرائن غير العقلية لا تحتاج إلى العقل أو أنّ العقل يغيب عنها، إنّ سلطان العقل قائم في كل قرينة حتّى القرائن اللّفظية الواضحة، فالقرينة أيا كانت دليل، والدليل والاستدلال من عمل العقل، غير أنّ هذا الأمر قد يكون مستندا إلى العقل وإلى شيء آخر، لفظي أو حالي مثلا، فيُنسب الدليل أو القرينة إلى هذا الآخر تمييزا له عن الدليل العقلي الخالص»[1]

فالقرينة العقلية نجدها حاضرة في أي مناسبة وفي أي موضع استنباط لكونها تستند على العقل في فهم المنطوق والوصول إلى المعاني والتفريق بين المتشابه منها، وتمييز الشاذ وتوضيح الغامض وتبيين المبهم، وهذا كلّه بالتّضافر مع القرائن الأخرى لفهم الخطاب القرآني.

[1] عبدهزايد، أسلوب عكس الظاهر في ضوء أسلوب القرآن الكريم ولغة العرب، دار الصحوة، القاهرة، 1992م ص125.

الفصـــــل الثاني:

القرائن الصوتية ودورها في تحديد الفروق اللّغوية القرآنية

المبحث الأول: علم الأصوات وأهميته في الدراسات اللّغوية وعلاقته بدراسة النص القرآني.

- **تعريف علم الأصوات**
- **الطبيعة الصّوتية للقرآن الكريم.**
- **وظائف الصّوت اللّغوي.**
- **دلالة الصّوت اللّغوي في القرآن الكريم.**

المبحث الثاني: دور القرائن الصوتية في معرفة المعاني وتمييز مختلف الفروق اللّغوية القرآنية.

- **قرينة النبر.**
- **قرينة التنغيم.**
- **قرينة الوقف.**

عرف العرب ما للصّوت اللّغوي من وظيفة في معرفة معاني لغتهم، ولذلك كانوا شديدي العناية بهذا المبحث اللّغوي وقد بذلوا جهودا جبارة في سبيل إثرائه والاستفادة ممّا يقدمه هذا المستوى في مختلف الدّراسات، وقد كان للمشتغلين بالدّراسات القرآنية باعٌ عظيمٌ وحظٌ وافرٌ من هذه الجهود مستثمرين أهم النتائج التي توصلوا إليها في خدمة القرآن الكريم سواءً من ناحية أدائه أداءً صحيحا موافقا للُغة نزوله، أم من جهة تفسيره تفسيرًا لا يتنافى مع ما يوحي إليه من دلالات.

والصلة المباشرة بين اللّغة العربية والقرآن الكريم هي ما جعلت أهل اللّغة يتناولونها بشيء من الدّقة والتحرز، خشية تحريف جوهرها والإخلال بمعدنها. يقول حسام سعيد النعيمي: «لقد قدّر لهذه اللّغة أن تكون لغة آخر كتاب سماوي يخاطب أهل الأرض, فتناول علماء العربية لغة العرب بشيء كثير من الحيطة والتثبت لصلتها بالقرآن، وكأن هذه اللّغة دين ينبغي أن يعرفوا من أين يأخذونه، فلقد كان المسموع عن العرب هو الأساس الأول الذي اعتمدوه في جمع اللّغة وتدوينها ولذلك وجدناهم يتحرجون كثيرا في أخذ اللغة، حتى قال قائلهم: فليتحر آخذ اللّغة وغيرها من العلوم أهل الأمانة والثقة والصدق والعدالة».[1]

هذا يوحي إلينا بمدى شدّة عناية العرب في تلقي اللغة بجانب المشافهة، وبأنّ المسموع هو الأقوى والأولى بالأخذ عن غيره لأنه لا يعتريه التصحيف ولا التحريف ولا السقط، وعلى ذلك سار علماء العربية في أخذهم للّغة في عصر الاحتجاج وما بعده.

إنّ حديثنا عن المسموع هو إشارة إلى أصوات اللّغة، والتّطرق إلى هذه الأصوات يعدّ الركيزة الأساسية لمعرفتها، و يعدّ المستوى الصوتي أولى المستويات التي يجب أن نتناولها في فهم اللّغة، ولذلك يقول خليل إبراهيم العطية: «قد أدرك نحاة العرب قصور فهمهم نحْو العربية وصرفها، ما لم يدرسوا أصواتها فكانت

[1] حسام سعيد النعيمي، أصوات العربية بين التحول والثبات، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، د.ط، 2010م، ص13.

عنايتهم بها شديدة... وإذا كان علم الأصوات في بدايته جزءًا من أجزاء النحو، فإنه سرعان ما انزوى عند أهل القراءات والتجويد، فقد زاد فيه هؤلاء كثيرا من المباحث المستوحاة من التنزيل العزيز».[1]

في ذلك نلمس مدى عناية دارسي القرآن الكريم ومفسريه بالجانب الصّوتي، وهذا يرجع إلى حرصهم على الأخذ بلغة القرآن صحيحةً سليمةً كما نزلت، بالإضافة إلى إدراكهم للعلاقة الوثيقة بين الأصوات ومعانيها الكامنة فيها، وهذه القضية الأخيرة هي التي أثارت اهتمام الدارسين من القدامى خصوصاً والمحدثين، وظلت هذه الزاوية الحساسة من البحث اللّساني محط أنظار أهل الإعجاز و البلاغيين للوصول إلى صميم الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

قبل أن نخوض في مسألة دور القرائن الصوتية في فهم الفروق اللّغوية في النصوص القرآنية ارتأينا أن نقوم بدراسة موجزة عن هذا الفرع اللّغوي مبتدئين أولا بتعريف الصوت.

1. تعريف الصوت:

أ.لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: «الصوت: الجرس، والجمع أصوات، قال ابن السّكيت: «الصوت صوت الإنسان، وغيره، والصّائت: الصائح، ورجل صيّت: شديد الصوت: عاليه، ويقال: أصات القوس: جعلها تصوّت، والصّيت: الذّكر، وحمار صاتٌ: شديد الصّوت، والعرب تقول: أسمع صوتا وأرى فوتًا، أي أسمع صوتا ولا أرى فعلا».[2]

جاء في معجم العين: «صوّت فلانٌ تصويتاً، دعاه، وصات يصوت صوتاً، فهو صائت: بمعنى صائح، وكل ضرب من الأغنيات صوت من الأصوات».[3]

---

[1] ينظر: خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ، بغداد، دط، 1983م، ص 04-05.

[2] جمال الدين بن منظور، لسان العرب، ج2، ص 57.

[3] الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تعليق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دط، دت، ص 146.

ب.اصطلاحا: عرّف علم الأصوات أنّه: «العلم الذي يدرس الصّوت الإنساني من وجهة نظر اللّغوية، وقد عدّ هذا اللّون من الدّرس (علمًا)، لتميُّزِه عن غيره من فروع الدّراسات اللغوية من حيث موضوعه، ومنهجه وأهدافه و(دراسة الصّوت الإنساني)، تخرج دراسة أي صوت آخر غير صوت الإنسان...و(من وجهة النّظر اللغوية)، تعني دراسة الصوت الإنساني الذي يدخل في دائرة النظام اللّغوي، فالأصوات التي يصدرها الإنسان كثيرة ومتعددة قد يحتمل بعضها دلالات معينة ولكنّها لا تدخل في دائرة نظام لغوي معيّن، مثل: الانفعالات والآلام».[1]

فالمستوى الصّوتي هو علم خاص مستقل يبحث في الأصوات ذات النظام اللّغوي والتي تحمل في كيانها رموزا وعلامات دالة.

2.الطبيعة الصوتية للقرآن الكريم:

اتّسم القرآن منذ نزوله بطبيعته الصّوتية، وهو لم ينزل مدونًا في صحيفة أو كتاب وذلك لقوله تعالى:﴿**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى**﴾ [الأعلى: 06] وقال أيضا:﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾ [القيامة:17، 18] ، وغير ذلك من الأدلة التي تدل على أن تلقي القرآن كان مشافهة، كما أن تبليغه أيضا كان تبليغا صوتيا شفهيا إلى الصحابة، ثم إلى كافة الناس، فقد تلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاوة صوتية وتلقوه منه بأسماعهم، وحفظوه في صدورهم.[2]

فهذه البنية الصوتية التي يمتلكها النّص القرآني هي ما جعلته يحتوي ويمتلك أبعادا دالة ومعبرة فلم توضع ألفاظه صدفة أو بطريقة عشوائية، بل امتلكت خصائص لا يمكن أن تكون في غيرها، وهذا من تمام إعجازه وبديع بيانه الذي لا يمكن أن يوجد في غيره من كلام أبلغ البشر وأفصحهم، ولو اجتمعوا له فقد

[1] عبد العزيز علام وعبد الله ربيع محمود، علم الصوتيات، مكتبة الرشد، بيروت، دط، 1430هـ/2009م، ص 19.

[2] ينظر: أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية،عالم الكتب الحديث،الأردن، ج1، دط، 2012،ص 176.

أبهر عقول العرب ووقع في أنفسهم موقعاً عظيما متحديا إياهم في أسمى ما يتقنون ويمارون فيه ويتفاخرون أي في لغتهم، وفي هذا الصّدد يقول مصطفى صادق الرافعي: «فلما قُرئ عليهم القرآن، رأوا حروفه في كلماته ، وكلماته في جمله ألحانا لغوية، كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها، فلم يفتهم هذا المعنى، وأنه أمر لا قبل لهم به، وكان ذلك أبين في عجزهم».[1]

فتلك الأصوات المتراصفة في انسجام وتلاؤم، والمتماسكة فيما بينها تحت بنية واحدة، والبعيدة عن كل مظاهر التنافر والتفكك لهي شاهد على تفرده بنظام صوتي له أثر بالغ في النّفس البشرية السّوية، فلا يَملك من سَمعه بأذنه وقلبه إلا أن يذعن له ويعترف بصدقه، وقد ذكر الرافعي في موضع آخر ما يؤيد ذلك، حيث يقول: «وليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت...، ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع، أو الإطناب والبسط بمقدار ما يكسبه...»[2]

إنّ تنوع وجوه الأداء الصوتي يضفي دلالات متعددة في المعنى العام، ويقول أيضا: «وهذه هي طريقة الاستهواء الصّوتي في اللغة، وأثرها طبيعي في كلّ نفس، فهي تشبه في القرآن الكريم أن تكون صوت إعجازه الذي يخاطب به كل نفس تفهمه، وكلّ نفس لا تفهمه، ثم لا يجد من النّفوس على أي حال إلا الإقرار والاستجابة، ولو نزل القرآن بغيرها لكان ضربا من الكلام البليغ الذي يُطمع فيه أو في أكثره».[3]

هذا التّميز الصوتي الذي يتصف به القرآن الكريم، يجعلنا نعيد النظر في كيفية فهمه بطريقة لا مجال للريبة والتناقض فيها، ذلك أنّه من الضروري، أن نكون على دراية ويقين تامين أن تلك الأصوات التي تتركب

[1] مصطفى الصادق الرافعي، إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط9، 1393هـ/1973م، ص 214.

[2] مصطفى صادق الرافعي،المرجع نفسه، ص 215.

[3] مصطفى الصادق الرافعي، المرجع نفسه، ص 217.

منها ألفاظه وآياته وسوره تؤدي دورا كبيرا في معرفة معانيه، ومن ثَم فإن للمستوى الصوتي أثرا بالغا في فهم القرآن العظيم، فدراسة الأصوات وما ترمي إليه من دلالات لا بدّ منها في فهم أيّة لغة، فكيف إذا تعلق الأمر بلغة كلام ربّ البرّية المعجز بأصواته ومقاطعه وكيفية أدائه.

لذلك يقول محمود السعران: «لا يمكن الأخذ بدراسة لغة ما أو لهجة ما دراسة علمية، ما لم تكن هذه الدراسة مبنية على وصف أصواتها، وأنظمتها الصّوتية، فالكلام أولا وقبل كلّ شيء سلسلة من الأصوات، فلا بدّ من البدء بالوصف الصّوتي للقطع الصغيرة، أو للعناصر الصّغيرة...، فمن المحال إذن دراسة بنية الكلمة دون التحقيق الصّوتي للعناصر المكونّة للكلمات...،، والدراسة الدلالية؛ أي دراسة المعنى لا يمكن أن تمر ما لم يرتكز على دراسة الصور الصوتية والتنغيمية».[1]

هذه المنهجية العلمية المتّبعة في وصف النّظام اللّغوي عمومًا، هي ما جعلت الدّراسات اللّغوية أو اللّسانية الحديثة تنظر إلى النّص القرآني باعتباره مرجعًا لسانياً مقسمة إياه إلى قسمين من خلال علاقته بالتحليل العلمي الحديث:1.مرجع لساني صوتي وظيفي، 2.ومرجع لساني صرفي.

أمّا كونه مرجعًا لسانيًا صوتيًا وظيفيًا؛ فذلك لأنه يقوم على إدماج الأصوات العربية، وتركيبها لتكوين الكلمات القرآنية، ممّا يخلق نسقًا صوتيًا متلائمًا متناغمًا، يظهر أثناء الترتيل أو التجويد من خلال عدة ظواهر مثل: النّبر، المقطع، التنغيم، التفخيم، الإمالة، لذلك فإن المرجع الصّوتي الوظيفي الكامن في القرآن يُبرز السّمات المميّزة لكلّ وحدة صوتية تدخل في اتساق وانسجام كلمات التنزيل.[2]

فالعلاقة الكامنة بين أصوات اللّغة المفردة والكلمات المكونة منها ودلالتها، هي ما جعلت المفسرين يعتمدون وينطلقون في تفسيرهم للقرآن الكريم من مستواه الصوتي المكوّن للغته، والذي يعتبر بمثابة البُنية التحتية التي تؤسَس عليها أيةُ لغة، والبدء من هذه البُنية كفيلٌ بفهم تلك اللغة، وإنّ الحديث عن مدى

[1] محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، دت، دط، ص 123.

[2] ينظر: عبد الجليل غزالة، اللسانيات والإسلام والثقافة العربية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، الجماهرية الليبية، دط، 2009، ص 53.

اهتمام دارسي القرآن الكريم بالجانب الصّوتي، والذي يعتبر من أهم فروع اللّغة للوصول إلى فهم معانيه، يُحيلنا إلى تفطنهم قبل مئات السّنين لأحدث ما توصلت إليه الأبحاث لدراسة اللّغة في العصر الحالي، واهتمامهم بالظواهر الصوتية التي تؤدي وظائف مخصوصة تهدف إلى فهم رموز اللّغة الإنسانية.

3.وظائف الصّوت اللّغوي:

إنّ أكثر ما يثيرنا في هذا المبحث هو معرفة وظيفة الصّوت الذي يؤدي تغيره إلى تغير المعنى، وقد تحدّث عن هذه القضية عبد الفتاح عبد العليم البركاوي حين أشار إلى أن علماء الأصوات يذكرون أن للوحدة الصّوتية بعض الوظائف في اللّغة، ونعني بالوحدة الصّوتية: كل عنصر صوتي متميز يترتب على تغييره تغيير المعنى، ومن أهم الوظائف التي تقوم بها الوحدة الصوتية:

أ.الوظيفة البنائية: وهي أن تحمل الوحدة الصوتية مع غيرها من الوحدات المعنى المعجمي للكلمة.

ب.الوظيفة التصريفية: وذلك كدلالة الهمزة في صيغة (أفعل) على التعدية.

ج.الوظيفة التحسينية: وتقوم بهذه الوظيفة إضافة إلى الوظيفتين السابقتين قصد تحقيق الانسجام الصّوتي كما في «اصطبر».

د.الوظيفة التعبيرية: يراد بها إشارة الوحدة الصّوتية إلى درجة المعنى من حيث القوة والضعف، كما في «خضم» و«قضم»، حيث يشير الخاء إلى ضعف المعنى وتشير القاف إلى قوته.[1]

كلّ هذه الوظائف التي أشرنا إليها تتعلق بالصوامت أي حروف المعجم الصّامتة، وهنالك وظائف أخرى تتشكل عند اجتماع الأصوات بالصّوائت، أي باقتران العلل والسواكن ،حيث تشارك الوحدات الصوتية

[1] ينظر: عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، ترتيل القرآن الكريم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ط1، القاهرة، 1425هـ/2004م، ص180.

الصّائتة الصّوامت في هذه الوظائف وذلك مثل: دلالة الكسرة في «الحِجر» على اختلاف المعنى المعجمي إذا قورنت بالفتحة في «الحَجر»، ومثال الوظيفة التصريفية دلالة الضمة على البناء للمجهول في «فُهم» إذا قورنت بـ«فَهم»، أما في الوظيفة الثالثة «التحسينية» فمثالها إبدال الفتحة ضمة في كلمة «سَكارى» وأما الوظيفة الأخيرة، مثل دلالة الكسرة على الرّقة ودلالة الضمة على القوة".[1]

فكما ظهر لنا أن لكلّ حرف صائت أو صامت وظيفة محددة، فهذا يعني أن لكل منها قيمة موحية ومعبرة عن دلالة معيّنة في تركيبها مع الأخرى، هذه القيمة هي التي تعطي معنى جديدا كلّما تغيّر الصّوت وهذا يؤدي بطبيعة الحال إلى اكتساب الكلمة مدلولات متعددة بحسب تركيب مادتها الصّوتية، وفي هذا الصّدد يقول صبحي الصالح: «أما الذي نريد الآن بيانه هو ما لاحظه علماؤنا من مناسبة حروف العربية لمعانيها، وما لمحوه في الحرف العربي من القيمة التعبيرية الموحية إذ لم يعنيهم من كل حرف أنّه صوت وإنما عناهم من كل صوت هذا الحرف أنه معبّر عن غرض، وأنّ الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصّوتية التي يمكن حلُّ أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدّوال المعبّرة، فكلّ حرف منها يستقل ببيان معنى خاص ما دام يستقل بإحداث صوت معيّن، وكلّ حرف له ظل وإشعاع، إذ كان لكلّ حرف صدى وإيقاع».[2]

فهو يشير بكلامه أنّ لكلّ حرفٍ خاصية مستقلة لا يمكن أن تتوفر في آخر، أو يتميّز بها غيره حتّى لو شابهه في المخرج أو الصّفة.

يقول مُحَمَّد داوود:« ويقصد بإيحاء الصّوت بالمعنى أن يوحي جرس أصوات الكلمة بمعناها الذي نسب لها في المعجم ، فيلتقي الجرس والعزف عندئذٍ لا على مصادفة ومحض اتّفاق، ولكن انتقاء اللّفظ يكون عن

[1] ينظر: عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ترتيل القرآن الكريم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، ص 181.

[2] صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 2009، ص 142.

تعمد وحسن اختيار، وإنّ من بلاغة القرآن وتفرّده الرّائع في الدّلالة ارتباط الصّوت بمعانيه ارتباطًا وثيقًا ، وقد تأكّد لعلماء العربية أنّ الجانب الصّوتي ركن أساس في بناء التعبير القرآني في مواضع عدّة من التنزيل»[1]

إنّ مسألة مناسبة الحروف لمعانيها، قد أشرنا إليها سابقا أنّها قد لاقت ترحيبا واسعا من قِبل اللّغويين قديما وحديثا، وحاولوا إحاطتها بقدر كبير من الدّراسة والبحث للوصول إلى أسرار هذه الملاءمة بين الأصوات وما توحي إليه من دلالات، وقد أشار الصّالح سليم الفاخري إلى ذلك بقوله: «لقد لقي موضوع مناسبة الأصوات المسموعة لمعانيها القبول من قبل عدد كبير من العلماء والفلاسفة في القديم والحديث... يقوم هذا الموضوع بأكمل صوره على أنّ هنالك مناسبة بين الصّوت والمعنى، أي أنّ كلّ صوت من الأصوات الهجائية يناسب حالة من الحالات لا يكاد يخالفها في شيء وإن خالفها فمرجع ذلك عوامل التّطور المختلفة التي تعتري اللغات، وقد وجد لغويو العربية فيها وهم يتفحصونها عدّة خصائص لا توجد في كثير من اللّغات، ومن ذلك ظاهرة الإعراب واستيعاب الأصوات في جملة الجهاز المعروف بجهاز النطق إذ أن الأصوات موزعة عليه وفق نظام غاية في الإحكام، كما أنّهم التفتوا إلى الأصوات اللّغوية يلتمسون الصلة بينها وبين معانيها...».[2]

كان أبو الفتح بن جني (392هـ) من أبرز اللّغويين الذين خَصوا هذه المسألة بشيء من التفصيل في كتابه الخصائص في عدة فصول من مصنفه المذكور ومنه: (باب من تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني)، حيث يقول فيه: «وهذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة، قوي الدلالة على شرف هذه اللّغة وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها، فتجده مفضي المعنى إلى معنى صاحبه».[3]

---

[1] مُحَمَّد مُحَمَّد داوود، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، دار جاد للنشر والتوزيع ،ط1، 1432هـ، 2011م، ص72.

[2] ينظر: صالح سليم الفاخوري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، دط، دت، ص 144.

[3] عثمان أبو الفتح بن جني، الخصائص، تحقيق: مُحَمَّد علي النجار، دار الكتب المصرية،(المكتبة العلمية)، مصر، ج2، دط، دت، ص 113.

فهو يرى أن ثمة صلة طبيعية بين اللّفظ ودلالته، وقد مثّل لذلك بأمثلة كثيرة فنذكر منها على سبيل المثال قوله: «ومن ذلك قولهم، الفضة سميت بذلك لانفضاض أجزائها، وتفرقها في تراب معدنها، كذا أصلها وإن كانت فيما بعد قد تُصفّى وتهذب وتُسبك، وقيل لها فضّة، كما قيل لها لُجين وذلك أنّها ما دامت في تراب معدنها فهي ملتزقة (في التراب)، متلجنة به...».[1]

فكلّ مادة صوتية تتألف منها الكلمة تدل على معنى مرتبط بتلك اللّفظة ذاتها، وقد تكسب خاصية من خصائص كلمة أخرى تقاربها في المبنى العام، كما ظهر تأثر ابن جني بفكرة مفادها أن المعاني المتقاربة تحتاج إلى أصوات متقاربة للتعبير عنها، وقد أشار إلى ذلك في فصل سماه «تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني»،

مثل ذلك في قول الله سبحانه وتعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾[مريم: 83]، فقال: «أي تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى (تهزهم هزا) والهمزة أخت الهاء فتقارب اللفظين لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا في هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النّفوس من الهز لأنّك قد تهز ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك».[2]

كما ساق بعض الألفاظ يظهر فيها تصاقب اللّفظين لتصاقب المعنيين من مثل: (عسف وأسف) فقال: «الأسف يعسف النفس وينال منها والهمزة أقوى من العين، كما أن أسف النّفس أغلظ من التردد بالعسف».[3]

زاد ابن جني في تفصيله لدلالة الأصوات وما يشاكلها من ألفاظ فقال: «فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع...، وذلك أنه كثيرًا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت

[1] عثمان أبو الفتح بن جني، الخصائص، ص 123.

[2] عثمان أبو الفتح بن جني، المرجع نفسه ، ص 146.

[3] عثمان أبو الفتح بن جني، المرجع نفسه، ص 147.

الأحداث المعبرة عنها، فيعدّلونها ويحتذون عليها...، ومن ذلك قولهم: (خضِم وقضِم)، فالخضِم لأكل الرّطب كالبطيخ والقثاء ....والقضم للصّلب اليابس نحو: قضمت الدّابة شعيرها ونحو ذلك».[1]

جاء ذلك في الباب الذي سماه «إمساس الألفاظ أشباه المعاني»، فكل هذه المحطات التي مرّ بها ابن جني في دراسته للصّوت اللّغوي تنمّ عن مدى إدراكه للعلاقة الطبيعية بين الأصوات اللغوية ومعانيها، كما توحي عن مدى تنبّهه لأهمية تلك الأصوات في تفسير اللّغة، وهذا يؤيده تعريفه للّغة من أنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.

4. دلالة الصوت اللغوي في القرآن الكريم:

تفرّد القرآن العظيم بلغته التي تميزه عن باقي الأجناس الأخرى كالشعر والنثر وغيرها حتّى وإن كانت من جنس اللغة العربية، فاجتمعت له جميع وجوه الإعجاز التي أظهرت بلاغته وبيانه، وبما أن مادته الأولى هي الأصوات شأن لغته كشأن جميع اللّغات، فإن أصواته اكتسبت دلالة أو بعدا دلاليا واضحاً، فكل صوت يتناسب مع موقف معيّن لا يمكن استبداله بآخر.

يقول حسين الصّغير:«انصبت عناية القرآن الكريم بالاهتمام في إذكاء حرارة الكلمة عند العرب وتوهج العبارة في منظار حياتهم ، وحدب البيان القرآني على تحقيق موسيقى اللّفظ في جمله، وتناغم الحروف في تركيبه ، وتعادل الوحدات الصّوتية في مقاطعه، فكانت مخارج الكلمات متوازنة النبرات، وتراكيب البيان متلائمة الأصوات ، فاختار لكلّ حالة مرادة ألفاظها الخاصّة التي لا يمكن أن تستبدل بغيرها ، فجاء كلّ لفظ متناسبًا مع صورته الذهنية من وجه ، ومع دلالته السّمعية من وجه آخر ، فالذي يستلذه السّمع، وتستسيغه النّفس، وتقبل عليه العاطفة هو المتحقق في العذوبة والرّقة...»[2]

[1] عثمان أبو الفتح بن جني، الخصائص، ص157.

[2] محمد حسين الصغير، الصّوت اللّغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، لبنان، ط1، 1420هـ، 2000م، ص163.

تمتلك الأصوات في القرآن الكريم دلالتها في حالة إفرادها وكذا في حالة تركيبها، وإنّ التّنوع في دلالة الأصوات قد تنبّه له علماؤنا المهتمون بالدّراسات القرآنية، وخاصة علماء التفسير الذين حاولوا إحصاء مختلف المعاني التي توحي بها إلينا أصوات النّص القرآني، للوصول إلى تفسيره تفسيرًا صحيحًا يتناسب مع السّياق الصّوتي التي ورد فيه، وكذا لأجل الكشف عن مظاهر إعجازه، فلكلّ صوت وظيفة يؤديها مرجعها إلى خاصية من خصائصه أو صفة من صفاته التي تميّزه، ولذلك يقول مُحَمَّد مُحَمَّد داوود:« فحين يُريد القرآن أن ينقل للنّاس صورة النّار على جهة التّخويف ، والإنذار ، وهي مهتاجة ،مغتاظة ، غاضبة ، يختار الحروف الهادية إلى هذه المعاني التي تصوّر بجرسها هذا العنف ، وذلك الغضب ، فالصّورة الصّوتية للحرف تشكّل المادة الأولى للقيم الخلافية...»[1]

فكلّ صوت وُضع في مقام معيّن الذي يُناسبه، والذي لا يجوز استبداله بغيره، وإلاّ لضعف المعنى وفسد، وفقد قوّته التي تكسبه إعجازه، وقد أدرك المفسّرون هذه الحقيقة وسعوا إلى البحث عن الدّلالات الكامنة وراء الأصوات مفردة كانت أم مركبة، بُغية الوصول إلى معاني النصوص القرآنية.

المبحث الثاني: القرائن الصوتية ودورها في تحديد الفروق اللغوية القرآنية:

إنّ مراعاة النطق السليم لأصوات اللّغة، والأداء الصحيح للعملية الكلامية يسهل علينا وضوح الرسالة، وفهم مقصدية النصوص، ويعين على ذلك بعض القرائن الصّوتية التي تعتبر من القرائن اللّفظية التي تسهم في إبلاغ مقصدية الباث أو المخاطِب، وهذه القرائن هي:

أولا: النبر:

1.تعريف النبر:«النّبر في اللّغة: البروز والظّهور ومنه المنبر في المساجد ونحوها، وهذا المعنى العام ملحوظ في دلالته الاصطلاحية، إذ هو في الدّرس الصّوتي يعني: نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصور

[1] مُحَمَّد مُحَمَّد داوود، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ص73.

أوضح وأجلى نسبيا من بيئة المقطع التي تجاوره، ومعلوم أنّ الكلمة تتكوّن من سلسلة من الأصوات المترابطة المتتابعة التي يسلم بعضها إلى بعض، ولكن هذه الأصوات تختلف فيما بينها قوة وضعفا بحسب طبيعتها ومواقعها، فالصوت أو المقطع الذي ينطبق بصورة أقوى ممّا يجاوره يسمّ مقطعا منبورا (Stressed)، ويتطلّب النّبر عادة بذل طاقة في النّطق أكبر نسبيا، كما يتطلّب من أعضاء النّطق مجهودا أشدّ» [1]

وقد عرّفه إبراهيم أنيس بأنّه:« نشاط جميع أعضاء النّطق في وقت واحد، فعند النطق بمقطع منبور نلحظ أنّ جميع أعضاء النّطق تنشط غاية النّشاط»[2]

يقول بروكلمان: «في اللّغة العربية القديمة يدخل نوع من النّبر تغلب عليه الموسيقية، ويتوقف على كمية المقطع، فإنّه يسير في مؤخرة الكلمة نحو مقدّمتها، حتّى يقابل مقطعا طويلا، فيقف عنده، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل فإنّ النّبر يقع على المقطع الأول فيها»[3]

وعُرّف أيضا أنّه «نشاط فجائي يعتري أعضاء النّطق أثناء التّلفظ بمقطع ما من مقاطع الكلمة، ويؤدي هذا النّشاط إلى زيادة في واحد أو أكثر من عناصر المقطع الآتية: وهي المدّة، والشدّة، والحدّة» [4]

يرى المستشرق الفرنسي" جاك كانتينو" أنّ النّبر هو:« الضغط على مقطع معيّن بزيادة العلو بالموسيقى، أو التّوتر أو المدّة أو عدد من هذه العناصر معًا، بالنّسبة إلى عناصر المقاطع المجاورة ذاتها» وقد استخلص عبد الصّبور شاهين من هذا التّعريف أنّ للنّبر ثلاثة أشكال: النبر الموسيقي: إذا تمّ إبراز بعض أجزاء الجملة

---

[1] كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000م، ص512. 513

[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ، ص169 .

[3] كارل بوركلمان، فقه اللّغات السامي، ترجمة: رمضان عبد التّواب، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودي، دط، دت، ص45.

[4] مُحَمَّد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، ج1، ط3، دت، ص22.

بمساعدة النّغمة، نبر التّوتر، ونبر الطّول وهو يرى أنّ على الرّغم من أنّ العرب القدماء لم يدرسوه كظاهرة فإنّهم قد حدّدوا أشكاله تحديدا علميا.[1]

انطلاقا من هذه التّعريفات يمكننا أن نخلص إلى أن النبر هو نشاط عضوي يتم على مستوى الجهاز النطقي، عن طريق الضغط على أحد مقاطع السلسلة الصوتية أثناء العملية الكلامية، فيميّزه عن غيره من المقاطع الأخرى.

2. **وظائف النبر**: «يؤدي النبر وظائف كثيرة في بناء اللّغة، وتركيبها النّحوي، والصّرفي والصّوتي والعروضي، والبلاغي وذلك فضلاً عن دوره في أداء الكلام وموسيقيته وتأثيره على نفس السّامع وتعبيره عن عواطف المتكلّم وانفعالاته»[2]

ومن هذه الوظائف:

أ.على المستوى الفونولوجي:

أنّ النّبر يقوم بدور الفرق بين الكلمات المتشابهة صوتيا في كلّ شيء إلاّ في النّبر، ففي اللّغة العربية عندما نوازن بين نطق ومعاني الكلمات الآتية:

(أَرَقْ) اسم على(فَعَلْ) بالنّبر على المقطع الأول و(أَرَقْ) اسم تفضيل على(أَفْعَلْ) بالنّبر على المقطع الأخير، ومن ذلك (أَسَدْ) اسم تفضيل من السّداد، على(أَفْعَلْ) بالنّبر على المقطع الأخير(سد)، و(أَسَدٌ) للحيوان المفترس بالنّبر على المقطع الأول.[3]

[1] يُنظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللّغة الحديث، عبد الصّبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، ص26

[2] عبد العزيز علام وآخرون، علم الصوتيات، ص333.

[3] يُنظر: عبد العزيز علام وآخرون، المرجع نفسه، ص334.

ب.على المستوى المورفولوجي أو الصرفي:

النّبر من المورفيمات الصّرفية المهمة، فهو يحدّد القيّم الصّرفية، ويعيّن صيغة الكلمة، فيفرّق بين صيغة الاسم وصيغة الفعل في اللّغة.

ج. على المستوى النّحوي:

يقوم النّبر في هذا المستوى بوظائف أهمها: الربط بين أجزاء الجملة أو المنطوق أو الدّلالة على الأهمية النسبية لأجزاء الكلام، والإشارة إلى نوع الجملة (استفهام، أمر، إخبار...الخ)، هذا إلى جانب قيامه بتحديد أجزاء المنطوق والإشارة إلى دور كلّ جزء أو إلى إعرابه في الجملة.

د. على المستوى العروضي:

يقوم إيقاع الشّعر(الفتري والتّكرري) على أسين مهمين: أحدهما: الكم الزّمني، والآخر: النّبر، ويعتبر بعضهم أنّ العروض العربي من النّوع الذي يقوم على كلّ من الأساسين (الكمي والنّبري)، هذا ما إلى ما للنّبر من وظائف أخرى كثيرة في المستويات الأخرى العديدة، مثل: صنع التّزمين الملائم، وتنويع التّنغيم في المستوى الصّوتي، ومثل إشراق الكلمة ووضوحها، والتّعبير عن عواطف المتكلّم وانفعالاته، وصنع الإيقاع المناسب للمعاني في المستوى البلاغي.[1]

[1] يُنظر: عبد العزيز علام وآخرون، علم الصوتيات، ص336.

3.أحكام النّبر:

«لا بدّ من التّمييز بين نوعين اثنين من النّبر في اللّغة الواحدة، فهناك: نبر الإلحاح (accent d' insistance) الذي لا يرتبط بمقطع معيّن من الوحدة النّبرية، بل يمكن أن يقع في جميع المقاطع، وهذا ما يعطيه وظيفة انفعالية أو تعبيرية، وهناك النّبر الخاص بطبيعة اللّغة، وهو لا يرتبط بحالة انفعالية أو تعبيرية، بل يخضع لقواعد عامة تختص باللّغة ذاتها»[1]

ويحسن بنا قبل أن ندع الحديث عن موضوع النّبر الإشارة إلى بعض الملاحظات، منها:

-إنّ الدّارس قد يصعب عليه ملاحظة النّبر وهو يعيش في محيط لغوي متجانس، لكنّه يرى الاختلاف واضحا حين يستمع إلى نطق من بيئة أخرى كما هو الشأن عند سماعنا ونحن في بلدان المشرق العربي نطق العربية من بعض أبناء المغرب العربي، أو من بعض المسلمين من غير العرب، أو بعض المستعربين الغربيين، ويمكن أيضا للدّارس أن يلمح أثار النبر في العربية حين ينطق كلمات أو جملا في تراكيب مختلفة، ويمكن الاستعانة بالقواعد التي أشرنا إليها في فهم ما يحدث من تغير في مواضع النبر في تلك الكلمات أو التراكيب.

-إنّ إغفال علماء السّلف لموضوع النّبر لا ينبغي أن يجعلنا نخرج بنتيجتين أحسب أنّ كلتيهما غير صحيحة: الأولى: عجزهم عن إدراك هذه الظاهرة، والثانية: عدم وجودها في العربية أصلاً فكلّ ما في الأمر هو أنّ النّبر في العربية من النّوع غير التّمييزي، أي لا تأثير له في المعنى، وأنّه وإن كان يسهل على السّامع تمييزه، فإنّه يصعب في الوقت نفسه على الدّارس تحديده وتقعيده»[2]

[1] بسام بركة، علم الأصوات العام، أصوات اللّغة العربية، مركز الإنماء القومي، بيروت(لبنان)، دت، دط، ص101.

[2] غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار، عمان(الأردن)، ط1، 1425هـ، 2004م، ص241.

فالحقيقة أنّ النّبر قد كان في اللّغة العربية القديمة، غير أنّه قد عبّر عنه بمصطلحات أخرى، أو أشير إليه بين ثنايا بحوثهم.

4. أنواع النّبر:

أ. نبر الجملة: النبرة الرئيسية التي تأخذها إحدى كلمات الجملة باعتبار الجملة وحدة كلامية واحدة، وتكون هذه الكلمة عادة أكثر الكلمات أهمية في رأي المتكلّم.

ب. نبر الكلمة: نبرة رئيسية يأخذها أحد مقاطع الكلمة حين تنطق الكلمة في سياق لغوي، فإنّ كلمة واحدة في القول تأخذ نبرة رئيسية تدعى نبرة الجملة، وتدعى نبرة الكلمة أيضا نبرة مفرداتية.[1]

وهذا ما وصفه تمام حسان بالتقسيم من حيث القوة والضّعف حيث قال:« ينقسم النّبر بحسب "القاعدة" من حيث القوة والضّعف إلى قسمين:

-**النّبر الأولي:** ويكون في الكلمات والصّيغ جميعاً لا يخلو منه واحدة منها.

-**النّبر الثانوي:** وهو يكون في الكلمة أو الصّيغة الطويلة نسبيا بحيث يمكن لهذه الكلمة أن تبدو للأذن كما لو كانت كلمتين، أو بعبارة أكثر دقة، عندما يشتمل الكلمة على عدد من المقاطع يمكن أن يتكون منه وزن كلمتين عربيتين» [2]

---

[1] محمّد علي الخولي، معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق، الملز(المملكة العربية السعودية)، ط1، 1402هـ، 1982م، ص172.

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص172.

5. النبر ودوره في تحديد الفروق اللغوية في لغة القرآن الكريم:

.قوله تعالى: ﴿**فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾[القصص:24] تأتي كلمة (فسقى) على معنيين وذلك تبعا للموضع الذي وقع فيه النبر، فقد تكون بمعنى (الفسق) عندما ننبر القاف و «(فَسَقَ): الفاء والسين والقاف كلمة واحدة، وهي :الفِسق، وهو الخروج عن الطاعة»[1]

وهو أيضا كما عند الراغب الأصفهاني:« خرج عن حجر الشّرع... وهو أعم من الكفر، والفسق يقع بالقليل من الذّنوب وبالكثير لكن تعورف فيما كان كثيرا، وأكثر ما يقال: الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقرّ به، ثمّ أخلّ بجميع أحكامه أو ببعضه»[2]

«وفُسوقا: فجر، وخرج عن الحق، وترك امتثال أمر الله، ورجل قُسْق وفِسِّيق: دائم الفسق»[3]

أمّا: إذا نبرنا الكلمة عند الفاء تصبح "سَقَى" وهو« إشراب الشيء الماء وما أشبهه، تقول: سقيته بيدي أسقيته سقيا»[4]

إلى هذا المعنى ذهب المفسرون، حيث ذكر أبو حيان في البحر المحيط: «"فسقى لهما" أي سقى غنمهما لأجلهما... وروي أنه زاحمهم على الماء حتّى سقى لهما»[1]وذكر القرطبي: «فلمّا أراد موسى أن يسقي لهما زحم النّاس وغلبهم على الماء حتّى سقى»[2]

---

[1]أحمد بن فارس، مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ج4، ص502

[2]الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن،تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط4، 1430ه، 2009م، ص636.

[3]مجد الدين محمّد الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمّد علي النجار،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ط3، 1416ه، 1996م، ج4، ص192.

[4]أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص84.

كذلك ذكر أبو السعود:« ﴿**فَسَقى لَهُما**﴾ روي أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله إلا سبعة رجال، وقيل: عشرة، وقيل: أربعون، وقيل: مائة. فأفله وحده مع ما كان به من الوصب والجراحة والجوع، ولعله عليه الصلاة والسلام زاحمهم في السقي لهما، فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عليه الصلاة والسلام عن ذلك. فإن الظاهر أنه عليه الصلاة والسلام غب ما شاهد حالهما سارع إلى السقي لهما. وقد روي: أنه دفعهم عن الماء إلى أن سقى لهما، وقيل: كانت هناك بئر أخرى عليها الصخرة المذكورة. وروي أنه عليه الصلاة والسلام سألهم دلوا من ماء فأعطوه دلوهم، وقالوا: استق بها، وكان لا ينزعها إلا أربعون فاستقى بها »[3]

.قوله تعالى:﴿ **بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا**﴾[الزلزلة من الآية: 05]، فالنبر وقع على اللام فأصبح من الوحي فلو لم تنبر اللام في (لها) لأصبحت كلمة واحدة بمعنى "أوحالها"، أي من "أوحال" والوحل:« الوَحْلُ: بالتّحريك: الطين الرّقيق الذي ترتطم فيه الدّواب والوَحْلُ بالتّسكين: لغة رديئة والجمع "أوحال"»[4]

«واستوحل المكان: صار فيه الوحل، والموحِلُ: موضع الوحل، ووحِلَتْ الدّواب تَوْحَلُ: وَقَعتْ في الوَحْل» [5]

أمّا: "أوحى" من "الوحي" وهو: «الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي، وكلّ ما ألقيته على غيرك ... وفي التنزيل﴿ **وأوحى ربك إلى النحل**﴾ وفيه: ﴿**بأنّ ربّك أوحى لها**﴾ أي إليها، فمعنى هذا أمرها»[1]

---

[1] مُحَمَّد أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط،ج7، ص108.

[2] مُحَمَّد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص258.

[3] مُحَمَّد أبو السعود العمادى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،ج7، ص8.

[4] جمال الدين بن منظور، لسان العرب، مادة (وحل)، ج11، ص723.

[5] أحمد بن فارس،مقاييس اللغة، ج6، ص92.

ذكر الراغب الأصفهاني: «أصل الوحي: الإشارة السّريعة، ولتضمّن السّرعة قيل: أمر وَحْيٌ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرّمز والتّعريض، وقد يكون بصوت مجرّد عن التّركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة، وقد حمل على ذلك قوله تعالى عن زكريّا :﴿**فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرابِ فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾ [مريم : 11] فقد قيل: رمز. وقيل: أشار، وقيل: كتب، وعلى هذه الوجوه قوله : ﴿**وَكَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً**﴾ [الأنعام : 112]، وقوله :﴿**وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ**﴾ [الأنعام : 121] فذلك بالوسواس المشار إليه بقوله :﴿**مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ الْخَنَّاسِ**﴾ [الناس : 4] ، وبقوله عليه الصلاة والسلام» :وإنّ للشّيطان لمّة، «ويقال للكلمة الإلهيّة التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه: وحي، وذلك أضرب حسبما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿**وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً...**﴾»[2]

يقول ابن فارس في المقاييس:« وحى (الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك، فالوحي: الإشارة، والوحي: الكتاب والرسالة، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان، وأوحى الله تعالى ووحى .قال :وحى لها القرار فاستقرت» [3].

[1] جمال الدين بن منظور، لسان العرب، ، مادة (وحي)، ج15، ص379.

[2] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن،ص858.

[3] أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مادة وحى، ج6، ص93.

وفسرها ابن عطية الآية بقوله:« الباء باء السبب. وقال ابن عباس، وابن زيد، والقرطبي: المعنى: أوحى إليها، وهذا الوحي –على هذا التأويل– يحتمل أن يكون وحي إلهام، ويحتمل أن يكون وحيا برسول من الملائكة، وقد قال الشاعر:

أَوْحَى لَهَا القَرَارُ فَاسْتَقَرّتْ وَشَدّهَا بِالرّاسِيَاتَ الثَبْتِ.

والوحي في كلام العرب: إلقاء المعنى إلقاء خفيا، وقال بعض المتأولين: "أوحى لها "معناه: أوحى إلى ملائكته المقربين أن تفعل في الأرض تلك الأفعال، وقوله تعالى: "لها" بمعنى: من أجلها، ومن حيث الأفعال فيها فهي لها.»[1]

.**قوله تعالى:﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: 25]**، النبر هنا وقع على حرف (الكاف) فحدث فيه نوع من الضغط لتمييزه عن بقية المقاطع، فلو ضغطنا على (الواو) أصبحت الواو والفعل كلمة واحدة، وهي الفعل (وكف) ومعناه« وكف الدمع والماء وكفا ووكيفا ووكوفا ووكفانا :سال، ووكفت العين الدمع وكفا ووكيفا :أسالته»[2]

جاء في الصحاح:« وكف البيت وكفا ووكيفا وتوكافا، أي قطر، وأوكف البيت لغة فيه، وَكَفَ البيت[3]»

«(وكف) الواو والكاف والفاء: أصل صحيح ليست كلمه على قياس واحد .فالوكف وكف البيت، وهو الوكيف أيضا، واستوكف :استقطر، والوكاف لغة في الإكاف، والوكف: الإثم والعيب .والتوكف :التوقع،

[1] عبد الحق ابن عطية ، المحرر الوجيز،ج5، ص511

[2] جمال الدين بن منظور، لسان العرب، مادة (وكف)، ج9، ص662.

[3] إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، القاهرة، دط، 1430هـ، 2009م، ص1266.

ولعله أصله انتظار الوكف، والوكف :مطمئن من الأرض، ووكف الجبل: أسافله قال: يعلو دكاكيك ويعلو وكفا »[1]

أمّا:(كفى) بمعنى الكفاية فهي كما ورد عند الأصفهاني: «الكفاية: ما فيه سد الخلة وبلوغ المراد في الأمر. قال تعالى :﴿ **وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ**﴾[الأحزاب:25]، ﴿ **إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ** ﴾ [الحجر : 95]، وقوله :﴿و وَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ [النساء : 79] قيل: معناه :كفى الله شهيدا، والباء زائدة. وقيل: معناه: اكتف بالله شهيدا، والكفية من القوت: ما فيه كفاية، والجمع :كفى، ويقال: كافيك فلان من رجل، كقولك: حسبك من رجل »[2]

وإلى هذا ذهب أهل التفسير حيث قال ابن عاشور:« (كفى) بمعنى أغنى، أي أراحهم من كلفة القتال بأن صرف الأحزاب، و(كفى) بهذا المعنى تتعدى إلى مفعولين يقال: كفيتك مهمك وليست هي التي تزاد الباء في مفعولها فتلك بمعنى: حسب، وفي قوله ﴿ **وَكَفى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ القِتالَ** ﴾ حذف مضاف، أي كلفة القتال، أو أرزاء القتال، فإن المؤمنين كانوا يومئذ بحاجة إلى توفير عددهم وعددهم بعد مصيبة يوم أحد ولو التقوا مع جيش المشركين لكانت أرزاؤهم كثيرة ولو انتصروا على المشركين...[3]»

يقول الزمخشري:« ﴿**وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ**﴾ وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وأنزل الذين ظاهروا الأحزاب من أهل الكتاب من صياصيهم من حصونهم » [4]

[1] أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مادة(وكف)، ج6، ص139.

[2] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص717.

[3] محمّد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج21، ص310.

[4] جار الله أبو القاسم الزمخشري، الكشاف، ص853 .

.قوله تعالى:﴿ **فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة:181]، وقد تحقق النبر هنا على حرف (الباء)، فكان المقصود هو الفعل (بدّل)، أمّا لو نبرنا (الدّال) فهنا يقع اللّبس ويتوهم السامع أنّ (بدّله) تتكون من كلمتين الفعل (بدّ) والجار والمجرور (له)، والفعل (بدّ) فيه «الباء والدال في المضاعف أصل واحد، وهو التفرق وتباعد ما بين الشيئين .يقال: فرس أبد، وهو البعيد ما بين الرجلين. وبددت الشيء: إذا فرقته. »[1]

جاء في لسان العرب: «(بدد) التبديد :التفريق؛ يقال: شمل مبد، وبدد الشيء فتبدد :فرقه فتفرق، وتبدد القوم إذا تفرقوا .وتبدد الشيء: تفرق، وبده يبده بدا: فرقه، وجاءت الخيل بداد أي متفرقة متبددة»[2]

أمّا: (**بدّله**) «الباء والدال واللام أصل واحد، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب، يقال: هذا بدل الشيء وبديله .ويقولون بدلت الشيء: إذا غيرته وإن لم تأت له ببدل » [3]

يقول الراغب الأصفهاني:« الإبدال والتَّبديل والتَّبَدُّل والاستبدال :جعل شيء مكان آخر، وهو أعمّ من العوض، فإنّ العوض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول، والتبديل قد يقال للتغيير مطلقا وإن لم يأت ببدله، قال تعالى :﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ**﴾ [البقرة : 59]، ﴿**وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً**﴾[النور : 55] وقال تعالى :﴿**فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ**﴾ [الفرقان : 70]» [4]

---

[1] أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مادة(بدّ)، ج1، ص176.

[2] جمال الدين بن منظور، لسان العرب، مادة (بدد)، ج3، ص77.

[3] أحمد بن فارس،مقاييس اللغة، مادة(بدل)، ج1، ص210.

[4] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص111.

وهذا هو المعنى المقصود، فقد ذهب أهل التّفسير هذا المذهب إذ ذكر أبو حيان في تفسير الآية: «الظاهر أن الضمير يعود على الوصية بمعنى الإيصاء، أي: فمن بدل الإيصاء عن وجهه إن كان موافقا للشرع، من الأوصياء والشهود بعد ما سمعه سماع تحقق وتثبت..» [1]

يقول ابن عاشور:« والمراد من التبديل هنا الإبطال أو النقص؛ وما صدق "من بدله" هو الذي بيده تنفيذ الوصية من خاصة الورثة كالأبناء، ومن الشهود عليها بإشهاد من الموصي أو بحضور موطن الوصية، كما في الوصية في السفر المذكورة في سورة المائدة ﴿**لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا ولَوْ كانَ ذا قُرْبى ولا نَكْتُمُ شَهادَةَ اللَّهِ إنّا إذًا لَمِنَ الآثِمِينَ**﴾ [المائدة: ١٠٦] فالتبديل مستعمل في معناه المجازي، لأن حقيقة التبديل جعل شيء في مكان شيء آخر، والنقض يستلزم الإتيان بضد المنقوض وتقييد التبديل بظرف "بعد ما سمعه"، تعليل للوعيد، أي: لأنه بدل ما سمعه وتحققه، وإلا فإن التبديل لا يتصور إلا في معلوم مسموع، إذ لا تتوجه النفوس إلى المجهول» [2]

.قوله تعالى:﴿ **فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾[الحديد:16]، لو أوقعنا النبر على حرف (الفاء) لأصبحت (فقست) كلمة واحدة وهي الفعل (فقس) ومعناه « فقس الرجل وغيره يفقس فقوسا :مات، وقيل: مات فجأة، وفقس الطائر بيضه فقسا :أفسدها »[3]

«فَقَسَ فُقوساً، أي مات .وفَقَّسَ الطائر بيضه فَقْساً، أي أفسده»[4]

[1] مُحَمَّد أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج2، ص26.

[2] مُحَمَّد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص152

[3] جمال الدين بن منظور، لسان العرب، مادة (فقس)، ج6، ص163.

[4] إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص895.

«فقس يفقس فقوسا :مات، والطائر بيضه: كسرها وأخرج ما فيها، أو أفسدها، والحيوان: قتله، وعن الأمر: وقمه، وفلانا: جذبه بشعره سفلا، وهما يتفاقسان يفقس فُقوسا: مات،والطائرُ ببيضها كسرها وأخرج ما فيها، أو أفسدها »[1]

أمّا إذا نبرنا (القاف) أصبحت (فقست) مكونة من كلمتين هما (الفاء) حرف عطف و(قست) من الفعل (قسا) ومعناه «قسا قلبه قسوة قساوة وقساء بالفتح والمد، وهو غلَظ القلب وشدَّته»[2]

جاء في لسان العرب:« القسوة: الصلابة في كل شيء، وحجر قاس: صلب. وأرض قاسية: لا تنبت شيئا. وقال أبو إسحق في قوله تعالى :﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ**﴾؛ تأويل قست في اللغة غلظت ويبست وعست، فتأويل القسوة في القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه»[3]

وهو المعنى الذي ذهب إليه المفسرون، كما ذهب إلى ذلك أبو حيان فقال أي «صَلُبَتْ بِحَيْثُ لا تَنْفَعِلُ لِلْخَيْرِ والطّاعَةِ»[4]

قال ابن عطية:«" قست" معناه: صلبت وقل خيرها وانفعالها للطاعات وسكنت إلى معاصي الله تعالى ففعلوا من العصيان والمخالفة ما هو مأثور عنهم»[5].

---

[1] مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت (لبنان)، ط8، 1426هـ، 2005م، ص563.

[2] إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص938.

[3] جمال الدين بن منظور، ابن منظور، لسان العرب،مادة (قسا)، ج15، ص180، 181.

[4] مُحَمَّد أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج8، ص222.

[5] عبد الحق بن عطية. المحرر الوجيز،ج5، ص264.

إنّ الأثر المعنوي عن اختلاف نبر الكلمة كثير في غير ما موضع من القرآن الكريم وأمثلته كثيرة ومن ذلك أيضا:

. قوله تعالى:« **إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**»**[البقرة من الآية:260]** الالتباس يقع في نبر الياء حيث يصبح المعنى أو المنطوق (ربّ يا الذي يحيي ويميت) وكأنه نداء.

. قوله تعالى:« **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**»[العلق:1] هنا أيضا يقع الالتباس حين ننبر الكاف فيصبح المعنى وكأنّه (اقرأ باسم رب كالذي خلق) يعني بعدما كان المعنى هو (اقرأ باسم الله الخالق)، يصبح المعنى (إقرأ باسم الله الذي يشبه الخالق) تعالى الله عن ذلك.

. قوله تعالى:« **لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**»**[الأنعام:127]**، نبر المقطع الثاني (هم) يجعل اللام في (لهم) حرف توكيد يعني (هم دار السلام)، أمّا إذا نبرنا اللام تصبح الكلمة جار ومجرور يعني (لديهم) وهذا التفسير ذهب إليه أبو حيان: « أيْ: لهم الجنة، و(السَّلامُ) اسم من أسماء الله – تَعالى – كما قيل في الكعبة بيت الله»[1]

لقد أدت قرينة النّبر وظيفة ملموسة في التّفريق بين الكلمات المتشابهة والمتقاربة كتابة والمتباينة نطقا، وهو أمر يغفل عنه الكثيرون، وتزداد المسألة سوءا عندما يقع في هذا اللّحن الخفي أكابر القراء ومجودو القرآن الكريم، فهذا يتوقف عليه صحة المعنى أو سقمه.

[1] مُحَمَّد أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط، ج4، ص222.

ثانيا: التنغيم:

1.تعريف التنغيم:

من الظواهر الصّوتية التي تلعب دورا هاما في تحديد معنى المنطوق هي التّنغيم فقد نبّه الفراء (ت.207هـ) إلى ظاهرة التنغيم في كتابه معاني القرآن لضبط بعض المسائل النّحوية في إطار المنهج الصوتي:« التّنغيم من الحقائق الصّوتية في اللّغات المختلفة وهو مرتبط بالارتفاع والانخفاض في نطق الكلام نتيجة لدرجة توتر الوترين الصوتيين مما يؤدي إلى اختلاف الوقع السّمعي»«وهو تنويع أداء النغمات من حيث الحدة والغلظ»[1]

وقيل أنّه «عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معيّن» [2]

يقول عنه إبراهيم أنيس أنّه «هو موسيقى الكلام»[3]

كما ذهب تمام حسان إلى أنّه « الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق»[4]

2. أهمية قرينة التنغيم:

للتنغيم أهمية بالغة في فهم الخطاب شأنه شأن النبر، فالهيئة الصّوتية التي يطرح فيها الكلام تختلف من شخص إلى آخر، ومن حالة إلى أخرى، ولذلك وجب الأخذ بعين الاعتبار أسلوب المتكلم وطريقة إلقائه

[1] عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني، ص204، القاهرة، ط2، 2002م

[2] أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة:أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، 1419هـ، 1998م.

[3] إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ص123.

[4] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص226

للرسالة وقد « لجأ الأصوليون إلى القرائن الحالية واللّفظية –وفي مقدّمتهم التنغيم– لتأويل الخطاب، وهذه القرائن ترافق إلقاء الخطاب، لذلك رجّح الشاطبي وهو الأصولي الخبير بعلمي التّجويد والقراءات تأويلات الصّحابة للنّصوص القرآنية بسبب حضورهم لحظة الإلقاء»[1].

فيقول: « يترجح الاعتماد عليهم في البيان من وجهين:

أحدهما: معرفتهم باللّسان العربي فإنّهم عرب فصحاء لم تتغيّر ألسنتهم ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صح اعتماده من هذه الجهة.

والثاني: مباشرتهم للوقائع والنّوازل وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة فهم أقعد في فهم القرائن الحالية وأعرف بأسباب التنزيل ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك والشّاهد يرى ما لا يرى الغائب»[2]

3. صور التنغيم: يتّخذ التنغيم عدّة أشكال أو صور، وهي:

– **التنغيم الصاعد:** ويكون بأن يبدأ الكلام (الكلمة) بنغمة هابطة تتلوها أخرى صاعدة.

–**التنغيم الهابط:** وذلك حين يبدأ المتكلّم بنغمة صاعدة تعقبها نغمة هابطة.

–**التنغيم المستوي:** وذلك يكون باستواء النغمتين صعودا أو هبوطا.

[1] أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ص153.

[2] إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج3، دت، دط، ص338.

-التنغيم الصاعد الهابط: وذلك بأن تكون البداية هابطة يعقبها صعود يليه هبوط في النّغمة.

-التنغيم الهابط الصاعد: ويتمثل ذلك في أن يبدأ الكلام بنغمة صاعدة تليها نغمة هابطة وهكذا.[1]

4.وظائف التّنغيم:

يقوم التنغيم ببعض الوظائف الأساسية فـ«اللغة العربية خلت من نظام الترقيم، ولكن تنغيم الجملة يفهم من المعنى دون الاتّكال على الكتابة، وأثره يظهر على معاني الجمل فيتّضح تباينها دون أن يطرأ تغيير على بنيتها، وربطه الفارابي(ت.339هـ) بانفعال النّفس:" ومن فصول النّغم نشير لها دالة على انفعالات النّفس والانفعالات عوارض النّفس مثل الرحمة والقسوة والحزن والخوف والطرب والغضب واللّذة والأذى وأشباه هذه" »[2]

فللتنغيم وظائف كثيرة في مختلف اللّغات لكن بعض هذه الوظائف عام بمعنى أنّه موجود في معظم اللّغات ومن هذه الوظائف:

-وظائف فونولوجية أو دلالية: ونعني بها هنا التّفريق بين المعاني: فالكلمة مثلا تنطق بقالب نغمي معيّن فيكون لها معنى، فإذا نطقت بقالب نغمي آخر، كان لها معنى آخر....

-وظائف نحوية: ويعني بها التّفريق بين أنواع الجمل وبيان وظائفها، وما يتّصل بذلك من معانيها، فنحن نقول في العربية (وصل القطار) بنغمة هابطة، فتكون الجملة إخبارا، وإذا نطقناها بنغمة صاعدة كانت استفهاما، وهكذا يمكن أن تحمل الجملة معنى (التهديد أو السخرية أو التّهكم أو التّعجب أو غير ذلك تبعا لصورة التّنغيم لتي نطق بها)

---

[1] ينظر: عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني، ص204.

[2] أبو زكريا يحي بن زياد الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير، تحقيق: غطاس عبد الملك، ج1، ص107، نقلا عن: بن فطة عبد القادر، أصالة التنغيم في القرآن الكريم، مجلة حوليات التراث، مستغانم، العدد: 18، 2018، ص73.

-**وظائف تأثيرية أو تعبيرية:** ونعني بها الدلالة على ما يجش في نفس المتكلّم من فرح أو غضب ومن دهشة أو تأمل أو غير ذلك من الانفعالات النّفسية، وهذه الوظيفة تتّصل بالمتكلّم أكثر من اتّصالها بنظام اللّغة، وتأمل نغمة المصمم على شيء مثلا ستجدها صاعدة، وكذلك الشخص الثائر، أما الهادئ المستنفر فإنّ التّنغيم الهابط مرتبط به»[1]

يضاف إلى ذلك أيضا:

-**وظيفة دلالية سياقية:** «حيث ينبئ اختلاف النغمات، وفقا لاختلاف المواقف الاجتماعية عن حالات أو وجهات نظر شخصية في عملية الاتصال بين الأفراد، وهذه النّغمات تؤدي دورها في هذا الشأن بمصاحبة ظواهر صوتية أخرى من ظواهر التطريز الصّوتي (Prosodic features) وظواهر خارجية غير لغوية (Paralinguistics features) تتعلق بالظروف والمناسبات التي يلقى فيها الكلام، يظهر ذلك مثلا في حالات الرضا والقبول والزجر والتّهكم والغضب والتّعجب والدهشة والدعاء».[2]

-يقول تمام حسان:« والتنغيم في الكلام يقوم بوظيفة الترقيم في الكتابة غير أنّ التّنغيم أوضح من التّرقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة، وربّما كان ذلك لأن ما يستعمله التنغيم من نغمات أكثر ممّا يستعمله التّرقيم من علامات كالنقطة والفاصلة والشرطة وعلامة الاستفهام وعلامة التّأثر وربّما كان ذلك لسبب آخر »[3]

بناء على هذه الوظائف التي يؤديها التنغيم، والتغييرات التي يحدثها على مستوى الجملة أو النص بأكمله، فإنّه يمكننا أن نلمس بعض الفروق الأساسية انطلاقا من هذه الظاهرة الصّوتية وما تؤديه من دلالات مختلفة في النّص القرآني.

---

[1] عبد العزيز علام، عبد الله الربيع، علم الصوتيات، مكتبة الرشد، بيروت، 1430هـ، 2009م، دط، ص322.

[2] كمال بشر، علم الأصوات، ص540.

[3] تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص226، 227.

5. أثر التنغيم في تحديد الفروق اللّغوية في القرآن الكريم:

.قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا** ﴾[مريم:83]

قال أبو السعود:« تعجيب لرسول الله ﷺ مما نطقت به الآيات الكريمة السالفة، وحكته عن هؤلاء الكفرة والغواة والمردة العتاة من فنون القبائح من الأقاويل والأفاعيل، والتمادي في الغي والانهماك في الضلال، والإفراط في العناد، والتصميم على الكفر من غير صارف يلويهم، ولا عاطف يثنيه، والإجماع على مدافعة الحق بعد اتضاحه، وانتفاء الشك عنه بالكلية، وتنبيه على أن جميع ذلك منهم بإضلال الشياطين وإغوائهم[1] »

وهذا الأسلوب إنشائي تعجبي، وإن كان ظاهره الاستفهام فالغرض منه تعجيب الرسول ﷺ من عمل هؤلاء، من معاندتهم وإصرارهم على طريق الغي والضلال.

يقول الشوكاني:« وسياق هذه الآية لتعجيب رسول الله – ﷺ – من حالهم وللتنبيه له على أن جميع ذلك بإضلال الشياطين وإغوائهم، وجملة: تؤزهم أزا في محل نصب على الحال، أو مستأنفة على تقدير سؤال يدل عليه المقام، كأنه قيل ماذا تفعل الشياطين بهم ؟ ﴿**فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ**﴾ بأن تطلب من الله إهلاكهم بسبب تصميمهم على الكفر وعنادهم للحق وتمردهم عن داعي الله سبحانه»[2]

قال ابن عاشور: «والاستفهام في (ألم تر) تعجيبي، ومثله شائع في كلام العرب يجعلون الاستفهام على نفي فعل، والمراد حصول ضده بحث المخاطب على الاهتمام بتحصيله، أي كيف لم تر ذلك، ونزل إرسال

[1] مُحَمَّد أبو السعود العمادى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج5، ص281.

[2] مُحَمَّد بن علي الشوكاني، فتح القدير، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 1428هـ، 2007م، ج16، ص900.

الشياطين على الكافرين لاتضاح آثاره منزلة الشيء المرئي المشاهد، فوقع التعجيب من مرآه بقوله: (ألم تر ذلك)[1]».

.قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[النحل:27]

قال ابن عاشور:« و(أين) للاستفهام عن المكان، وهو يقتضي العلم بوجود من يحل في المكان، ولما كان المقام هنا مقام تهكم كان الاستفهام عن المكان مستعملا في التهكم؛ ليظهر لهم كالطماعية للبحث عن آلهتهم، وهم علموا أن لا وجود لهم ولا مكان لحلولهم. وإضافة الشركاء إلى ضمير الجلالة زيادة في التوبيخ؛ لأن مظهر عظمة الله تعالى يومئذ للعيان ينافي أن يكون له شريك، فالمخاطبون عالمون حينئذ بتعذر المشاركة[2]»

يقول أبو حيان:« وجمع بين الإهانة بالفعل، والإهانة بالقول بالتقريع والتوبيخ في قوله :يخزيهم ويقول أين شركائي، أضاف تعالى الشركاء إليه، والإضافة تكون بأدنى ملابسة، والمعنى: شركائي في زعمكم، إذ أضاف على الاستهزاء»[3].

قد يأتي الاستفهام أيضا لا لانتظار الرد على الأمر المستفهم منه، وإن"ما لغرض التّهكم وإظهار نوع من السخرية والتعجيز كما ورد في الآية الكريمة، وهذا يفهم من نغمة الكلام إن كان المتكلم حاضرا أو من سياق الحال إن كان النص مقروءا كما هو الشأن في القرآن الكريم، فيستحيل أن يكون السؤال هنا عن مكان الشركاء لأنّ الله بكلّ شيء عليم ولا يعجزه علم بشيء.

[1] مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، التحرير والنوير،ج16، ص165.

[2] مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، المرجع نفسه، ج14، ص136

[3] مُحَمَّد أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط،ج5، ص471

.قوله تعالى:﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾[غافر:41]

يقول أبو حيان:« وبدأ أولا بجملة اسمية، وهو الاستفهام المتضمن التعجب من حالتهم، وختم أيضا بجملة اسمية ليكون أبلغ في توكيد الأخبار. وجاء في حقهم ﴿ وَتَدْعُونَنِي ﴾ بالجملة الفعلية التي لا تقتضي توكيدا، إذ دعوتهم باطلة لا ثبوت لها، فتؤكد و﴿ مَا لَيسَ لِى بِهِۦ عِلم﴾ هي الأوثان، أي: لم يتعلق به علمي، إذ ليس لها مدخل في الألوهية ولا لفرعون»[1].

يقول أبو السعود:« ﴿ وَيَٰقَومِ مَا لِىَ أَدعُوكُم إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدعُونَنِىَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ كرر نداءهم إيقاظا لهم عن سنة الغفلة، واعتناء بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه، ومدار التعجب الذي يلوح الاستفهام دعوتهم إياه إلى النار ودعوته إياهم إلى النجاة كأنه قيل: أخبروني كيف هذه الحال أدعوكم إلى الخير وتدعونني إلى الشر، وقد جعله بعضهم من قبيل: ما لي أراك حزينا ؟»[2]

يظهر أيضا في هذه الآية التّعجب الذي جاء على هيئة الاستفهام، وهذا الأسلوب في لغة القرآن الكريم كثير وأغراضه متعدّدة، وقد كان غرضه في هذا المقام التّعجب والحيرة ممّا يفعله المشركون في مقابل ما يدعوهم إليه من الحق وسبيل النّجاة، فلا شك أنّه لا ينتظر منهم جوابا وإنّما يحتار لأمرهم ويشفق على حالهم.

.قوله تعالى:﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[البقرة:28]

قال ابن عاشور: « والاستفهام هنا مستعمل في التعجيب والإنكار بقرينة قوله ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا ﴾ إلخ أي أن كفركم مع تلك الحالة شأنه أن يكون منتفيا لا تركن إليه النفس الرشيدة لوجود ما يصرف عنه وهو

[1] محمّد أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط،ج7، ص447.

[2] محمّد أبو السعود العمادى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،ج7، ص277.

الأحوال المذكورة بعد، فكان من شأنه أن ينكر، فالإنكار متولد من معنى الاستفهام ولذلك فاستعماله فيهما من إرادة لازم اللفظ، وكأن المنكر يريد أن يقطع معذرة المخاطب فيظهر له أنه يتطلب منه الجواب بما يظهر السبب فيبطل الإنكار والعجب حتى إذا لم يبد ذلك كان حقيقا باللوم والوعيد»[1]

ذكر القرطبي:«" ... كيف" سؤال عن الحال، وهي اسم في موضع نصب ب"- تكفرون"، وهي مبنية على الفتح وكان سبيلها أن تكون ساكنة، لأن فيها معنى الاستفهام الذي معناه التعجب فأشبهت الحروف، واختير لها الفتح لخفته، أي هؤلاء ممن يجب أن يتعجب منهم حين كفروا وقد ثبتت عليهم الحجة[2]».

.قوله تعالى:﴿ **هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا** ﴾[الإنسان:1]

قال أبو السعود:« ﴿**هَلْ أَتَى**﴾ استفهام تقرير وتقريب، فإن "هل" بمعنى قد، والأصل "أهل أتى." ﴿ **عَلَى الْإِنْسَانِ** ﴾ قبل زمان قريب»[3]

قال ابن عطية: «" هل" في كلام العرب قد تجيء بمعنى "قد"، حكاه سيبويه، لكنها لا تخلو من تقرير، وبابها المشهور الاستفهام المحض، والتقرير أحيانا، فقال ابن عباس :هي هنا بمعنى "قد" »[4]

[1] مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص374.

[2] مُحَمَّد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص373.

[3] مُحَمَّد أبو السعود العمادى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،ج9، ص70.

[4] عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز،ج5، ص408.

قال ابن عاشور: « استفهام تقريري والاستفهام من أقسام الخطاب وهو هنا موجه إلى غير معين ومستعمل في تحقيق الأمر المقرر به على طريق الكناية لأن الاستفهام طلب الفهم، والتقرير يقتضي حصول العلم بما تقرر به وذلك إيماء إلى استحقاق الله أن يعترف الإنسان له بالوحدانية في الربوبية إبطالا لإشراك المشركين.

يُستفاد من تقديم هذا الاستفهام ما فيه من تشويق إلى معرفة ما يأتي بعده من الكلام، فجملة ﴿ **هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ** ﴾ (تمهيدا وتوطئة للجملة التي بعدها وهي﴿**إنّا خَلَقْنا الإنْسانَ مِن نُطْفَةٍ أمْشاجٍ** ﴾ [الإنسان:2] ، و(هل) حرف يفيد الاستفهام ومعنى التحقيق، وقال جمع: أصل (هل) إنها في الاستفهام مثل (قد) في الخبر، وبملازمة (هل) الاستفهام كثر في الكلام حذف حرف الاستفهام معها فكانت فيه بمعنى (قد)، وخصت بالاستفهام فلا تقع في الخبر، ويتطرق إلى الاستفهام بها ما يتطرق إلى الاستفهام من الاستعمالات، وقد تقدم بيان ذلك عند قوله تعالى﴿ **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا أنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ**﴾ [البقرة:210]، وقد علمت أن حمل الاستفهام على معنى التقرير يحصل هذا المعنى. والمعنى :هل يقر كل إنسان موجود أنه كان معدوما زمانا طويلا، فلم يكن شيئا يذكر، أي لم يكن يسمى ولا يتحدث عنه بذاته – وإن كان قد يذكر بوجه العموم في نحو قول الناس: المعدوم متوقف وجوده على فاعل، وقول الواقف: حبست على ذريتي، ونحوه فإن ذلك ليس ذكرا لمعين ولكنه حكم على الأمر المقدر وجوده – وهم لا يسعهم إلا الإقرار بذلك، فلذلك اكتفي بتوجيه هذا التقرير إلى كل سامع»[1]

فقرينة التنغيم في هذه المواضع من الآيات الكريمة قامت بوظائف دلالية، وانتقلت بالنص القرآني من البنية السطحية إلى البنية العميقة، فأحدثت فروقا واضحة في فهمه وتأويله، فأُنهي الغموض وأُزيل الالتباس وتوضح المقصود.

[1] . مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج29، ص372.

ثالثا: الوقف:

هو من التلوينات الصوتية التي تحفظ توازن مقاطع السلسلة الكلامية، والذي يحكم هذه العملية بالدرجة الأولى هو المتكلم طبعا، فهو المسؤول بنسبة كبيرة عن إيضاح الرسالة وتبيين مواقفه، وتقديمها للمتلقي وذلك يرجع إلى الطريقة التي يلقي بها خطابه، بضبط التّوازن الشكلي في درجات الأداء اللّغوي واحترام مستوى التّغاير النطقي في هذه العملية، والتي تتحكم فيها مجموعة من العناصر اللّغوية وغير اللّغوية.

1.تعريف الوقف:

قال عبد الله بن مُحَمَّد التكزاوي (ت.683هـ)« باب الوقف عظيم القدر جليل الخطر، لأنّه لا يتأتّى لأحد معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلاّ بمعرفة الفواصل»[1]

عرّفه السّيوطي بقوله:« الوقف عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض، ويكون في رؤوس الآي وأوساطها، ولا يأتي في وسط الكلمة، ولا فيما اتّصل رسمًا»[2]

«وهو بيان موضع الوقف عند الاستراحة لغرض الفصل، إذ لا يجوز الفصل بين كلمتين في حالة الوصل، فتقف عند اللّفظ الذي لا يتعلّق ما بعده به، ويحدث غالبا عند آخر حرف من الفاصلة كما يحدث في سواه»[3]

[1]السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 1/ ص230.

[2]السيوطي، المرجع نفسه، 1/ ص244

[3]مُحَمَّد حسين الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، ص105.

2.أهمية الوقف:

ذكر الزركشي أنّه: «فن جليل، وبه يُعرف كيفية أداء القرآن، وبه تتبيّن معاني الآيات، ويؤمن الاحتراز من الوقوع في المشكلات»[1]

«أمّا في اللّغة العربية فإنّ الوقف يقوم بدور هام على صعيد الفصل بين المقاطع، وخاصة فيما يتعلّق بالقرآن الكريم، ولا يرى اللّغويون العرب فيه نهاية المجموعة النّفسية التي يرتاح عندها المتكلّم فحسب، بل يعتقدون كذلك أنّ الوقف عملية يستعملها المتكلم بغية إفهام السّامع المضمون الدّلالي للمُرسلة فهم يحدّونه بكونه "قطع القراءة في نهاية كلمة أو عبارة أو جملة ليرتاح القارئ، وإمّا لإتاحة الفرصة أمام السّامع للفهم" وغالبا ما يكون الوقف بالتسكين كما له أشكالا عديدة منها الوقف بالإشمام والتّضعيف وبالرّوم، وبالنّقل»[2]

«ولنأخذ كلمة "نعم" في موضعين من القرآن في حالتي الوقوف وعدمه:

.قال تعالى: ﴿**وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾[الأعراف:44]، فالاختيار الفني الوقوف الطبيعي عند (نعم)، لأن ما بعدها غير متعلق بها، إذ ليس (فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ) في الآية من قول أهل النار.

[1] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 342.

[2] بسام بركة، علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، ص103.

. قال تعالى:﴿ **أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (17) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (18)**﴾[الصافات: 17. 18]، فالاختيار الأدائي عدم الوقوف عند (نعم) بل وصلها بما بعدها، لتعلقه بما قبلها، وذلك لأنه من تمام القول وغير منفصل عنه»[1]

فالوقف إذن يوضح الكلام، ويفرق بين التراكيب المتصلة والمنفصلة، ويميّز المواضع التي يوقف عندها والتي يمكن أن يتسبب الوقف عندها إلى اختلال المعنى وتغييره جذريا.

3. **أشكال الوقف**: للوقف عدّة أشكال ومنها:

أ. **الإسكان المحض**: «وهو الأصل، لأن العرب لا يبتدئون بساكن ولا يقفون على متحرك، إذ الابتداء بالساكن متعذر أو متعسر، والوقف بالسكون، قال بعضهم: إنّه واجب شرعي يثاب على فعله يعاقب على تركه ولا يخفى ما في ذلك من المشقة العظيمة»[2]

ب. **الروم**: إضعاف شكل الحركة دون أن تختفي تماما على الأذن.

مواضعه: في المجرور والمرفوع من المعرب نحو: ﴿**ٱلرَّحِيمِ**﴾، ﴿**نَستَعِينُ** ﴾ وكذلك المكسور والمضموم من المبني نحو﴿ **هَٰٓؤُلَآءِ**﴾ و﴿ **حَيثُ**﴾، وعند أداء الروم لا بدّ من حذف التنوين لأنّ التنوين المجرور والمرفوع يحذف وقفا، نحو﴿ **كَفُورًا**﴾، فيوقف عليه مثلا بالسكون والروم، وكذلك تحذف صله هاء الضمير، نحو: ﴿**إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ**﴾[المائدة:116]، ﴿**وَاشْكُرُوا لَهُ**﴾،﴿**فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ**﴾[البقرة:181][3]

[1] مُحَمَّد حسين الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، ص106.

[2] مُحَمَّد مكي نصر الجريسي،نهاية القول المفيد في علم التجويد، ص285.

[3] يُنظر: سعاد عبد الحميد، تيسير الرحمن في تجويد القرآن، دار التقوى، مصر، ط1، 1430هـ، 2009م، ص237.

ج. الإشمام: عدم النطق بالضمة ولكن مع الإشارة بالشفتين إليها فلا يدركه إلا من يرى شفتي المتكلم أي أنّ الإشمام لا قيمة له بالنسبة للأعمى ولا المبصر عن الإظلام، ويذكر النحاة أنّ معناه مرتبط بالفرق بين الساكن أصلا فلا إشمام فيه وبين المسكن بالوقف ففيه إشمام.

مواضعه:

-قد يكون بضم الشفتين بُعيد إسكان الحرف حال الوقف نحو:﴿**نَستَعِينُ**﴾

-قد يكون الإشمام بضم الشفتين مقارنا لسكون الحرف المدغم في نحو﴿**تَأمَنَّا**﴾ هو أن تضم شفتيك بُعيد إسكان النون الأولى مباشرة وقبل انتهاء الغنة والنطق بالنون الثانية، وهنا يكون في وسط الكلمة.

-إشمام حرف بحرف أي خلط صوت حرف بحرف آخر كخلط صوت الصاد بالزاي في نحو﴿**ٱلصِّرَاطَ**﴾ في قراءة حمزة.

-إشمام حركة بحركة أي خلط صوت حركة بحركة أخرى كخلط الكسرة بالضمة في نحو:﴿**قيل**﴾ على قراءة الكسائي وهشام.[1]

د. الإبدال: هو إبدال الألف من تنوين المنصوب وتنوين إذاً ومن نون التوكيد الخفيفة وكذلك إبدال الهاء من تاء التأنيث التي تلحق الأسماء.

مواضعه: له حالتان:

الحالة الأولى:

- في مدّ العوض: وهو إبدال التنوين المنصوب، ألفًا وقفًا كما في الحالات الآتية:

[1] يُنظر: سعاد عبد الحميد، تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص238.

- التنوين في الاسم المنصوب سواء رسمت الألف أم لا، نحو قوله تعالى:﴿ **وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا**﴾، وقوله تعالى: ﴿**كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً**﴾ وفي لفظ"إذًا" ﴿ **إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ**﴾، وفي الاسم المقصور نحو:﴿ **وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى**﴾.
- إبدال نون التوكيد الخفيفة بعد الفتح ألفا لدى الوقف، نحو قوله تعالى:﴿ **لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ** ﴾، وقوله تعالى:﴿ **لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ** ﴾

الحالة الثانية: تاء التأنيث المربوطة تقرأ تاء في الوصل، وتبدل هاء في الوقف، نحو قوله تعالى:﴿**بِٱلحِكمَةِ**﴾، ﴿ **نِعمَةَ** ﴾، فإن كانت منونة نحو قوله تعالى:﴿ **وَتِلكَ نعمةٌ**﴾، ﴿ **رَحمَةٌ** ﴾، يحذف منها التنوين وقفا، وتبدل هاء ويوقف عليها بالسكون المحض فقط.[1]

هـ. الحذف: هو حذف التنوين من آخر النون مرفوعا كان أو مجرورا ومن آخر المقصور مطلقا، وحذف إشباع الضمير في (به) و(له)، وحذف ياء المنقوص المنكر.تمام حسان، اللّغة العربية، معناها ومبناها،

مواضعه:

-التنوين من المرفوع والمجرور نحو قوله تعالى:﴿ **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ**﴾ فيحذف عند الوقف عليه، ويوقف على المضموم بالروم والإشمام، وعلى المكسور بالسكون والروم فقط.

- صلة هاء الضمير: نحو قوله تعالى:﴿ **بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا**﴾ تحذف وقفا.

- الياءات الزوائد: نحو قوله تعالى:﴿ **فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ**﴾ فله وجهان وقفا: الحذف والإثبات من طريق الشاطبية، أما وصلا فقد أثبتها مفتوحة.[2]

[1] يُنظر: سعاد عبد الحميد، تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص250.

[2] يُنظر: سعاد عبد الحميد، المرجع نفسه، ص249.

و. **الزيادة:** هي زيادة هاء السّكت بعد الفعل المعتل المحذوف الآخر نحو: أعطه، وأرجه، وعه، وقه، وكذلك بع ما الاستفهامية لحاجة الصيغة إليها.

ز: **النقل:** هو تحويل حركة الحرف الأخير من الكلام إلى الساكن قبله لبيان حركة الإعراب أو التّخلص من التقاء الساكنين إلا إذا كان ما قبل الآخر ممنوعا تحريكه.

ح. **التّشديد:** وهو تشديد الحرف الساكن الأخير لإرادة التأكيد، أو أي معنى آخر مناسب.[1]

4. أقسام الوقف:

ينقسم الوقف عند أكثر القراء وعلماء التجويد بحسب نوعه إلى أربعة أقسام:

« تام مختار، وكاف جائز، وحسن مفهوم، وقبيح متروك:

فالتّام: هو الذي لا يتعلّق بشيء ممّا بعده، لقوله تعالى:﴿ **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾، وأكثر ما يوجد عند رؤوس الآي كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ وكذا ﴿ **وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ ثم يبتدئ بقوله: ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾

والكافي: منقطع في اللفظ متعلق بالمعنى، فيحسن الوقف عليه والابتداء أيضا بما بعده، نحو: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ** ﴾، هنا الوقف ثم يبتدئ بما بعد ذلك.

والحسن: هو الذي يحسن الوقوف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده، لتعلّقه به في اللّفظ والمعنى، نحو: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ و﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ والوقف عليه حسن، لأنّ المراد مفهوم، والابتداء

[1] يُنظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص272.

بقوله:﴿ **رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ و﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ لا يحسن لأنّ ذلك مجرور، والابتداء بالمجرور قبيح لأنّه تابع.

القبيح: هو الذي لا يفهم منه المراد نحو الحمد فلا يوقف عليه، ولا على الموصوف دون الصفة... وأقبح من هذا الوقف على قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا**﴾ [المائدة:17]، ﴿ **وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ**﴾[الأنبياء29]، والابتداء بقوله:﴿ **إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ**﴾[المائدة: 73]، وقوله تعالى:﴿ **إِنِّي إِلَهٌ**﴾ [الأنبياء من الآية: 29]، لأن المعنى يستحيل في هذا الابتداء، ومن تعمدّه وقصد معناه فقد كفر، ومثله في القبح الوقف على:﴿ **فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ**﴾ [البقرة من الآية: 258] و﴿ **مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ**﴾[النساء:11] ، وشبهه، ومثله: ﴿ **وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ**﴾ [النساء من الآية:11]، وأقبح من هذا وأشنع الوقف على النفي دون حروف الإيجاب، نحو: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ**﴾[مُحَمَّد:19] وكذا:﴿ **اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (9) وَالَّذِينَ كَفَرُوا...**﴾[المائدة: 09. من الآية:10] وقوله تعالى:﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (1) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**﴾[مُحَمَّد من الآية:1 .2] [1]

«قد يقبح الوقف على كلمة لإيهام الوقف عليها معنى فاسدًا، ولو كان هذا المعنى مع تمام الكلام، كان هذا الوقف أقبح، وذلك المعنى الفاسد على ضربين:

أحدهما: ما اعتقاده كفر، كما في الوقف على:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ**﴾[النساء من الآية:43] وعلى:﴿ **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ**﴾[الماعون:4] وعلى﴿ **لَا إِلَهَ** ﴾ ...

[1] ينظر: بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص352. 353

والضرب الثاني: ما ليس اعتقاده كفرا كالوقف على:﴿ **إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى**﴾[الأنعام من الآية:36] ولم يتم الكلام في هذا المثال...»[1]

5. الوقف القبيح وأثره في تغيير المعاني وإنتاج الفروق الدلالية في النص القرآني:

.قوله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا**﴾ [الكهف:1. 2] فالواجب الوقف عند (عوجا) وعدم وصلها ب(قيّما)، لئلاّ يُتوهم أنّ (قيّم) هي صفة لـ(عوج)) إذ العوج لا يكون قيّما.

يؤيد ذلك ما قاله ابن عطية في تفسيره: « وقوله تعالى: "قيما" نصب على الحال من "الكتاب"، فهو بمعنى التقديم مؤخر في اللفظ، أي: أنزل الكتاب قيما، واعترض بين الحال وذي الحال قوله :﴿**ولم يجعل له عوجا**﴾ .ذكر الطبري هذا التأويل عن ابن عباس رضي الله عنهما، ويجوز أن يكون "منصوبا" بفعل مضمر تقديره: أنزله، أو جعله قيما، وفي بعض مصاحف الصحابة" :ولم يجعل له عوجا لكن جعله قيما"، قاله قتادة، ومعنى "قيم" مستقيم، هذا قول ابن عباس، والضحاك، وقيل: معناه أنه قيم على سائر الكتب بتصريفها. ذكره المهدوي[2]».

يقول الزمخشري: « وتقديره: ولم يجعل له عوضا جعله قيما، لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة، فإن قلت: ما فائدة الجمع بين نفى العوج وإثبات الاستقامة، وفي أحدهما غنى عن الآخر؟ قلت: فائدته التأكيد، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السير والتصفح.

[1] مُحَمَّد بن أبي بكر المرعشلي، جهد المقل، تحقيق: غانم القدوري الحمد، ص259

[2] عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز،ج3 ، ص495.

وقيل: قيما على سائر الكتب مصدقا لها، شاهدا بصحتها. وقيل: قيما بمصالح العباد وما لا بدّ لهم منه من الشرائع. وقرئ قيما[1]».

. قوله تعالى: ﴿ **قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**﴾[يوسف من الآية:66] فيقف على (قال) وقفة لطيفة، لئلا يُتوهم كون الاسم الكريم فاعل (قال)، وإنّما الفاعل يعقوب عليه السلام.

قال ابن عطية:« أراد يعقوب عليه السلام أن يتوثق منهم، والموثق "مفعل" من الوثاقة، فلما عاهدوه أشهد الله بينه وبينهم بقوله :﴿ **اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ** ﴾، والوكيل: القيم الحافظ... وانظر أن يعقوب عليه السلام قد توثق في هذه القصة، وأشهد الله تعالى، ووصى بنيه، وأخبر بعد ذلك بتوكله، فهذا توكل مع تسبب، وهو توكل جميع المؤمنين إلا من شذ في رفض السعي، وقنع بماء وبقل البرية ونحوه، فتلك غاية التوكل، وعليها بعض الأنبياء عليهم السلام»[2].

إلى هذا المعنى ذهب الطبري:« يقول: فلما أعطوه عهودهم "قال"، يعقوب :﴿ **اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**﴾ ... يقول: هو شهيد علينا بالوفاء بما نقول جميعًا[3]»

.قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾[يونس:65] فينبغي الوقوف على (قولهم) وقفة قصيرة ثم الابتداء ب(إن العزة لله) لأن في وصلهما توهم أن المقصود لا يحزنك ما قالوه أن العزة لله، وهذا فهم سقيم بلا ريب. يقول ابن عاشور:« وجملة ﴿ **إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** ﴾ تعليل لدفع الحزن عنه، ولذلك فصلت عن جملة النهي كأن النبي ﷺ يقول: كيف لا أحزن والمشركون يتطاولون علينا ويتوعدوننا وهم أهل عزة ومنعة، فأجيب بأن عزتهم كالعدم لأنها محدودة وزائلة والعزة الحق لله الذي

[1] جار الله أبو القاسم الزمخشري، الكشاف، ص612.

[2] عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز،ج3، ص261.

[3] محمّد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،ج13، ص236.

أرسلك.... ويحسن الوقف على كلمة قولهم لكي لا يتوهم بعض من يسمع جملة ﴿ **إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** ﴾ فيحسبه مقولا لقولهم فيتطلب لماذا يكون هذا القول سببا لحزن الرسول ، وكيف يحزن الرسول ﷺ – من قولهم ﴿ **إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ** ﴾ وإن كان في المقام ما يهدي السامع سريعا إلى المقصود[1]».

قال أبو حيان في قراءة أخرى: « وقرأ أبو حيوة: (أن العزة) بفتح الهمزة وليس معمولا لقولهم: لأن ذلك لا يحزن الرسول ﷺ، إذ هو قول حق، وخرجت هذه القراءة على التعليل، أي: لا يقع منك حزن لما يقولون، لأجل أن العزة لله جميعا[2]».

.قوله تعالى:﴿ **قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُون** ﴾[القصص:35]

يقول ابن عاشور:« ويجوز أن يتعلق بـ ﴿**نَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا**﴾، أي سلطانا عليهم بآياتنا حتى تكون رهبتهم منكما آية من آياتنا، ويجوز أن يتعلق بـ ﴿فلا يصلون إليكما﴾ أي يصرفون عن أذاكم بآيات منا كقول النبيء ﷺ »نصرت بالرعب . «ويجوز أن يكون متعلقا بقوله "الغالبون" أي تغلبونهم وتقهرونهم بآياتنا التي نؤيدكما بها. وتقديم المجرور على متعلقه في هذا الوجه للاهتمام بعظمة الآيات التي نؤيدكما بها. وتقديم المجرور على متعلقه في هذا الوجه للاهتمام بعظمة الآيات التي سيعطيانها»[3]

[1] مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج11،ص221.

[2] مُحَمَّد أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج5، ص174.

[3] مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج20، ص118.

قال أبو السعود:« ﴿**بآياتنا**﴾ متعلق بمحذوف قد صرح به في مواضع أخر، أي: اذهبا بآياتنا، أو بـ نجعل، أي: نسلطكما بآياتنا، أو بمعنى لا يصلون، أي: تمتنعون منهم بها، وقيل: هو قسم وجوابه لا يصلون، وقيل: هو بيان للغالبون في قوله تعالى :﴿**أنتما ومن اتبعكما الغالبون**﴾»[1]

قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ**﴾**[البقرة:116]** ينبغي الفصل بين القولين أي بين قوله تعالى:﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا**﴾، وقوله تعالى: ﴿ **سُبْحَانَهُ** ﴾ حتى لا يتوهم أحد أنّ التنزيه للولد وإنّما هو لله جلّ في علاه.

قال ابن عاشور: « وقوله سبحانه تنزيه لله عن شنيع هذا القول. وفيه إشارة إلى أن الولدية نقص بالنسبة إلى الله تعالى وإن كانت كمالا في الشاهد لأنها إنما كانت كمالا في الشاهد من حيث إنها تسد بعض نقائصه عند العجز والفقر وتسد مكانه عند الاضمحلال، والله منزه عن جميع ذلك، فلو كان له ولد لآذن بالحدوث وبالحاجة إليه[2]».

قال ابن عطية:« واختلف على من يعود الضمير في "قالوا"؟ فقيل: على النصارى لأنهم قالوا :المسيح ابن الله وذكرهم أشبه بسياق الآية، وقيل: على اليهود، لأنهم قالوا :عزير ابن الله، وقيل: على كفرة العرب لأنهم قالوا: الملائكة بنات الله، و"سبحانه" مصدر معناه تنزيها له وتبرئة مما قالوا» [3]

[1] مُحَمَّد أبو السعود العمادى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،ج7، ص13.

[2] مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،ج1، ص685.

[3] عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز،ج1، ص201.

قال أبو حيان:« ولما كانت هذه المقالة من أفسد الأشياء وأوضحها في الاستحالة، أتى باللفظ الذي يقتضي التنزيه والبراءة من الأشياء التي لا تجوز على الله تعالى، قبل أن يضرب عن مقالتهم ويستدل على بطلان دعواهم،وكان ذكر التنزيه أسبق؛ لأن فيه ردعا لمدعي ذلك، وأنهم ادعوا أمرا تنزه الله عنه وتقدس»[1]

يعتبر الوقف من التلوينات الصّوتية التي يمكنها أن تقوم بدور هام في إبلاغ الخطاب بطرائق شتى، لذلك فمن الضروري مراعاة كيفية الوقوف على الآيات القرآنية لأن ذلك من شأنه أن يخل بالمعنى ويغيّره تغييرا جذريا، وخاصة فيما يتعلّق بالوقف القبيح الذي يحدث فروقا واضحة تؤدي إلى سقم المعنى وفساده، وهذا بلا شك من التحريف في كلام الله سبحانه وتعالى والافتراء على معاني القرآن الكريم.

[1] مُحَمَّد أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1،ص532.

البـــــــاب الثاني:

الفصـــــل الأول:

القرائن الصرفية ودورها في تحديد الفروق اللّغوية القرآنية

الفصـــــل الثاني:

القرائن النحوية ودورها في تحديد الفروق اللّغوية القرآنية

الفصـــــل الأول:

القرائن الصرفية ودورها في تحديد الفروق اللّغوية القرآنية

المبحث الأول : علم الصّرف وأهميته في الدراسات اللّغوية وعلاقته بدراسة النص القرآني.

- **موضوع علم الصّرف ومكانته.**
- **مكونات النّظام الصّرفي في اللّغة العربية.**
- **تعريف الميزان الصّرفي وفوائده.**
- **تداخل المستوى الصّرفي بالفروع اللّغوية.**
- **الدّلالة التّصريفية في القرآن الكريم.**
- **مكونات النّظام النّحوي في اللّغة العربية.**
- **الإعجاز التركيبي في القرآن الكريم.**

المبحث الثاني: دور القرائن الصوتية في معرفة المعاني وتمييز مختلف الفروق اللّغوية القرآنية.

- **قرينة المطابقة.**
- **قرينة مبنى الصيغة.**

المبحث الأول: المستوى الصّرفي في الدّراسات اللّغوية وعلاقته بالقرآن الكريم.

إنّ العناية بعلم الصرف في دراسة اللّغة لا يقل أهمية عن سابقه أي علم الأصوات، وكأنّ أصوات اللّغة هي جذورها التي تستمد منها مصدر حياتها، ويليها الصّرف والذي يعتبر بمثابة السّاق الذي يصل الجذور بأوراق تلك الشجرة الوارفة التي تعكس لنا رموز هذه اللغة المعبرة عن شتى الأغراض الإنسانية.

1.تعريف الصّرف:

أ. لغة: ورد في المعجم الوسيط :«صرّف الأمر: دبّره ووجّهه ، ويقال:صرّف الله الرّياح وكذا بيّنه، وفي التنزيل العزيز، قوله تعالى :﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا**﴾ [الإسراء:89]، وصرّف الألفاظ:اشتق بعضها من بعض، والصّرف: صروف الدّهر: نوائبه، وعند أهل اللّغة:علم تعرف به أبنية الكلام واشتقاقه.»[1]

جاء في لسان العرب:«الصّرف : التّقلب والحيلة...ومنه التّصرف في الأمور، وقيل: الصّرف والوزن والعدل، والكيل، وصرفنا الآيات: أي بيّناها، وصرف الشيء: أعمله في غير وجه،كأنّه يصرفه عن وجه إلى وجه آخر».[2]

كما وردت في معاجم أخرى مفاهيم ومعان مختلفة للفظة: الصّرف، ومنها ما جاء في معجم اللّغة العربية المعاصرة:«تصرفت الكلمة (نح): اشتقت منها كلمات أخرى، وتصريف الأفعال بعضها من بعض، وإسناد الأفعال إلى الضمائر»[3]

ظهرت كلمة صرْف في القرآن الكريم في عدّة مواضع ، ومنها: قوله سبحانه :﴿ **ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ**﴾ [التوبة: من الآية 127]، وقوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ**﴾[يوسف:24]، وقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ**﴾ [الفرقان:65] والتّصريف مأخوذ من الصّرف، ومنه قوله تعالى :﴿ **وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ**

[1] يُنظر:مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر،ط.4،1425هـ،2004م،ص513.

[2] ينظر: جمال الدين بن منظور، لسان العرب، ج09، ص189.

[3] أحم مختار عمر، معجم اللّغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ، 2008م، ص1291.

فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[البقرة من الآية164].

كلّ هذه المعاني اللّغوية تجتمع بالمعنى الاصطلاحي في دلالتها المجملة، ذلك أنّ مفهوم الصّرف:

ب.اصطلاحًا: «يحمل معنيين:

–المعنى العملي: تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعانٍ مقصودة، و لا تحصل إلاّ به، أي بهذا التّحويل، كاسم الفاعل، واسم المفعول واسم التّفضيل، والتثنية، والجمع ...إلى غير ذلك.

–وبالمعنى العلمي: علم بأصول يُعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء، والأبنية (ج) بناء، وهي الكلمة .....من حركة وسكون، وعدد حروف، وترتيب»[1]

فالصّرف بهذا المعنى هو المقصود في هذا الصّدد أي في دراستنا للمستوى الصّرفي، ويتضمن كلّ ما يتعلق ببناء الكلمة ، والتغييرات الحاصلة في بنيتها.

أمّا المحدثون فهم يرو ون أنّ الصّرف :«كلّ دراسة تتصل بالكلمة أو بأحد أجزائها، وتؤدي إلى خدمة العبارة أو الجملة ،بعبارة بعضهم تؤدي إلى اختلاف المعاني النّحوية، كلّ دراسة من هذا القبيل هي صرف».[2]

يذكر عبد المقصود محمد عبد المقصود أنّ :«الدّرس الصّرفي الحديث، هو فرع من فروع اللّسانيات، ومستوى من مستويات التّحليل اللّغوي يُعنى بتناول البنية التي تمثلها الصّيغ والمقاطع والعناصر الصّوتية التي تؤدّي معاني صرفية أو نحوية، ويطلق الدارسون المحدثون على هذا الدّرس: مصطلح المورفولوجي»[3]

فالدّرس الصّرفي عندهم هو أهم الفروع المعتمدة في التّحليل اللّغوي لتعلّقه ببنية المفردات المكونة للّغة، غير أنّ ما نلمحه هو التّأثر الملحوظ الذي شهدته الدّراسات اللّغوية العربية ببعض المصطلحات الأجنبية، فأطلق على المستوى الصّرفي: المستوى المورفولوجي في غالب الدّراسات الحديثة، ويعود ذلك إلى نسبته للوحدة الأساسية في التّحليل الصّرفي، يقول محمود فهمي الحجازي: «المصطلح الأساسي في التّحليل

[1] محمد بن أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصّرف، دار الكيان ، الرّياض، د.ط،د.ت، ص49.

[2] كمال بشر، التّفكير اللّغوي بين القديم والجديد، دار غريب، القاهرة، دط، 2005، ص423.

[3] عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصّرفية في ضوء اللّسانيات الوصفية، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط1، 2006م، ص93.

الصّرفي الحديث هو مصطلح المورفيم (Morpheme)، أي الوحدة الصّرفية، فالباحث اللّغوي يحاول تقسيم السّلسلة الكلامية، إلى عناصرها المكونة، ثم يصف هذه العناصر، وهناك تعريفات كثيرة للمورفيم عند مدارس البحث اللّغوي الحديث، غير أنّه تعدّ الوحدة الصّرفية أصغر وحدة في بنية الكلمة تحمل معنى أو لها وظيفة نحوية في بنية الكلمة.»[1]

فالمورفيم هو الوحدة الأساسية التي يحاول الباحث اللّغوي الصّرفي البحث فيها، وفي مكوناتها والتّغيرات التي تطرأ عليها، وفي العوامل التي تخضع لها، وفوق كل هذا وذاك: الوصول إلى المعنى الذي تحيل إليه، فكل تغيير في البنية الصّرفية يؤدي إلى تغيير في المعنى العام للفظة، ولذلك وجب علينا معرفة موضوع علم الصّرف ومكانته وأهميته.

2. موضوع علم الصّرف ومكانته:

إنّ جلّ القدامى والمحدثين يتفقون على أنّ موضوع الصّرف هو المفردة اللّغوية والبحث في بنيتها للوصول إلى دلالتها، ولذلك ذكر أحمد طاهر حسنين أنّ: «الصّرف يهتم بشيئين رئيسين: الأسماء المتمكنة (المعربة)، والأفعال المتصرّفة (المشتقة) ، و ذلك من حيث البحث في كلٍّ منهما عن كيفية صياغتها وإمكاناتها اللّغوية التي تُفيد المعاني المختلفة، وكذلك يدرس الصّرف ما يطرأ عليها من إعلال أو إبدال أو قلب أو إدغام, وما إلى ذلك، ويجيء هذا متماشيًا مع المعنيين: اللّغوي والاصطلاحي في تعريف الصّرف.»[2]

فهذه المباحث هي أهم المحاور التي يتناولها المستوى الصّرفي، أي يتناول المفردات من حيث: صياغتها، واشتقاقاتها، ومن حيث البحث في أحوالها: من صحة وإعلال، ومن حيث حالتها: مجردة أم مزيدة.....إلى غير ذلك .

أكدّ ذلك محمد محي الدّين عبد الحميد بقوله:«والحق أنّ علم الصّرف من أجلّ العلوم العربية موضوعاً، وأعظمها خطرا، وأحقها بأن نُعنى به، ونتكبُّ على دراسته، ولا نذّخر وسعًا في التّزود منه، ذلك بأنّه يدخل في الصّميم من الألفاظ العربية، ويجري منها مجرى المعيار والميزان وعلى معرفته وحده المعول في ضبط

[1] محمود فهمي الحجازي، مدخل إلى علم اللّغة ، دار قباء، القاهرة ،دط، دت، ص90.

[2] أحمد طاهر حسنين، النّظرية اللّغوية عند العرب(الأصوات ،الصّرف، المعاجم، النّحو)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010م، ص91.

الصّيغ ومعرفة تصغيرها، والنسبة إليها وبه وحده يقف المتأمل فيه على ما يعتري الكلم من إعلال أو إبدال أو إدغام، ومنه يُعلم ما يطّرد في العربية وما يقل وما يندر وما يشذ من الجموع والمصادر والمشتقات»[1]

أمّا في أهمية هذا الفرع يقول ابن عصفور: «التّصريف أشرف شطري العربية وأغمضها، فالذي يبيّن شرفه احتياج جميع المشتغلين باللّغة العربية إليه، لأنه ميزان العربية، ألا ترى أنه قد يُؤخ ذ جزء كبير من اللّغة بالقياس ...ولا يُتوصل إلى ذلك إلا عن طريق التصريف»[2]

إن العناية بعلم الصرف يسعى أولا وآخرا إلى تقويم اللّسان وحفظه من الخطأ أو الوقوع في اللّحن الذي يؤدي إلى فساد المعنى، فمعرفة قواعد الصّرف يهدف إلى سلامة اللّغة للوصول إلى الدلالة الصحيحة التي تختزن وراء ألفاظها وعباراتها ومن ثمّ نصوصها أيًّا كان نوعها.

3. مكونات النّظام الصّرفي في اللّغة العربية:

يقوم أي مستوى في أي نظامٍ لغوي (سواء أكان : صوتيًا ، صرفيًا، نحويًا أم دلاليًا)، على مجموعة من الأسس التي تُعين الباحث على إدراك قواعد هذه اللّغة، والنّظام الصّرفي للغة العربية كغيره من المستويات، ينبني .كما ذكر تمام حسان . على ثلاثة دعائم هامة:

-مجموعة من المعاني الصّرفية، التي يرجع بعضها إلى تقسيم الكلم، ويعود بعضها الآخر إلى تصريف الصّيغ.

- طائفة من المباني بعضها صيغ مجرّدة، وبعضها لواصق، وبعضها زوائد، وبعضها مباني أدوات.

- طائفة من العلاقات العضوية الايجابية، وهي وجوه الارتباط بين المباني، وطائفة أخرى من القيم الخلافية أو المقابلات ، وهي وجوه الاختلاف بين هذه المباني[3]

فهذه هي أهم المحاور التي يتناولها النّظام أو المستوى الصّرفي في معالجته للّغة، وتطرقه لبنيتها، وهذا الأمر ظاهر واضحٌ عند القُدامى و المحدثين، إلاّ فيما يتعلق باختلافات في المصطلحات والألفاظ، غير أنّ غايته واحدة لم يظهر من خلالها اختلاف كبير بين الدّراسات السّابقة والحديثة.

---

[1] محمد محي الدّين عبد الحميد، دروس التّصريف ، الدّار النموذجية للنشر، بيروت ،دط، 1416هـ، 1995م، ص07.

[2] علي بن مؤمن بن محمد (ابن عصفور الإشبيلي)، الممتع في التّصريف، تحقيق: فخر الدّين قباوة، دار المعرفة، بيروت، ج1، ط1، 1407هـ، 1987م،ص27

[3] يُنظر: تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، د.ط، 1994م، ص82.

ولمعرفة أصول الكلمة وتقلباتها واشتقاقاتها أو لمعرفة حالتها من حيث الصّحة والاعتلال، أو التّجريد والزّيادة، وغير ذلك من المسائل الصّرفية ينبغي أن نضبط ذلك كلّه بما يسمّى: (الميزان الصّرفي)، وهو من الأساسيات المهمة في التّصريف.

4. تعريف الميزان الصّرفي:

يعدّ الميزان الصّرفي من المباحث التي لها أولوية في الدّرس الصّرفي، ولذلك ذكر هادي نهر أنّ :« من أبدع ما وضعه الصّرفيون لضبط اللّغة (الميزان الصّرفي)، فهو مقياس دقيق للكلمة تعرف به أحوالها وحركاتها، والمزيد والمجرد منها، وقد يطلق على الميزان الصّرفي أحيانًا اسم (المثل) ، فالمثل هي الأوزان الصّرفية» .[1]

تعتبر الغاية الأساسية من معرفة الميزان الصّرفي هو إدراك عدد حروف المادّة، لذلك ورد في تعريف آخر له أنّه: «معيار لفظي اصطلح علماء الصّرف على اتّخاذه من أحرف (ف، ع، ل)، ليزنوا به ما يدخله التصّريف من أنواع الكلم العربية، فكما احتاج الصّائغ مثلاً إلى ميزان يُعرف به القدر الذي يصوغه، احتاج الصّرفي إلى ميزان يعرف به عدد حروف المادّة، وترتيبها وما فيها من أصول، وزوائد وحركات، وسكنات»[2]

وللميزان الصّرفي فوائد كثيرة ذكرتها خديجة الحديثي في كتابها (أبنية الصّرف) ، والتي أجملت أهمها فيما يلي:

ـ يبيّن حال الكلمة وما طرأ عليها من تغييرات (حذف أو قلب)، و أيضًا ما فيها من حروف أصلية أو زائدة، وذلك بلفظ موجز.

ـ يمكّن المتعلم من معرفة عدد الحروف الأصلية في الكلمة، ومن هنا نستطيع التفرقة بين ما هو ثلاثي وما هو رباعي أو خماسي، كما يعرف الأصلي من الزّائد ويعرف موضع الزّائد في الكلمة.

ـ إفهام المتعلّم التغييرات الصّرفية التي تحدث في الكلمات دون إضاعة وقت أو جهد في الشرح النّظري الطويل.

[1] هادي نهر، الصّرف الوافي(دراسة وصفية تطبيقية)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م، ص17.

[2] أيمن أمين عبد الغني، الصّرف الكافي، ص23.

ـ يعطينا الميزان الصّرفي فكرة عمّا يحدث في الكلمة من حذف أو تغيير في مواضع حروفها بالتقديم والتّأخير، فإذا قلت إنّ وزن (عدّة) هو(علّة)، عُلم من ذلك أنّ المحذوف هنا هو : فاء الكلمة وهي المقابلة للواو، أو بالأحرى الواو المقابلة لها ، لأنّ الميزان هو الأصل.

ـ الميزان الصّرفي فوق كلّ هذا يُعطينا فكرة أوضح عن سبب الاختلافات الصّرفية حول ما يُحذف أو يُقلب، وهو الأمر الذي نجده في كتب التراث القديم التي تزخر بخلافات بين العلماء الأقدمين .[1]

وهذه المسألة الأخيرة أو الفائدة الأخيرة للميزان الصّرفي هي ما جعلت فهم النّص القرآني، يختلف من مفسّر لآخر بحسب تحليله للصيغة الصّرفية: إن كانت اسم فاعل أو اسم مفعول أو صفة مشبهة، أو صيغة مبالغة...الخ، ومن ثَمّ تعددت طرائق تفسير وتأويل آي القرآن الكريم، إلاّ أنّ هذا الاختلاف مبني على الحجة القوية والدليل المنطقي، لا على إتباع الهوى، وسوء الفهم، وهذا ما جعل الكثير من العلماء لا يردّون بعض التّفاسير لموافقتها للّغة، وعدم تضاربها مع ما ورد من لسان العرب، كما أنّها قُبلت لعدم معارضتها مع المقتضى الشّرعي.

5. تداخل النّظام الصّرفي بالفروع اللّغوية الأخرى:

إنّ النّاظر في الدّرس الصّرفي يجد أنّه ثمة صلة وثيقة بينه وبين باقي أنظمة اللّغة، وهذا ما أشارت إليه فاطمة الهاشمي بكوش بقولها :«شغلت المباحث الصّرفية بحسب تصور اللّسانيين العرب منطقة وسطى ما بين المبحث الصّوتي المبحث النّحوي، فعلم الصّرف يعتمد في مسائله وقضاياه على نتائج البحث الصّوتي، وهو في الوقت نفسه يخدم النّحو، ويسهم في توضيح مشكلاته».[2]

هذه الحلقة المهمة التي تربط هذه المستويات بعضها ببعض، قد تنبّه لها القُدامى فضلاً عن المحدثين، وإلى ذلك أشار أحمد محمد قدور بقوله: «قد تنبّه علماؤنا القُدامى إلى الصّلة الوثقى بين الأصوات والتغييرات الصّرفية، حين قدّموا لأبواب الإدغام والبدل، ونحوهما بعرضٍ للأصوات العربية ومخارجها وصفاتها، وما يأتلف منها في التركيب، وما يختلف، وما يعدّ حين اجتماعه مردودًا أو مقبولاً أو حسناً»[3]

---

[1] يُنظر: خديجة الحديثي، أبنية الصّرف في كتاب سيبويه، مكتبة النّهضة، بغداد، ط1،1385هـ، 1965م، ص128.129.

[2] فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدّرس اللّساني العربي الحديث (دراسة في النّشاط اللّساني العربي)، دار إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004م، ص120.

[3] أحمد محمد قدور ، مبادئ اللّسانيات، دار الفكر ، دمشق، ط1، 1996م، ص186.

لذلك جعله القدماء في مرتبة وسط بين علمي الأصوات و النّحو، فهو يأخذ من الأول خدمة للثاني، فيحصل التكامل بين علوم اللّغة كلّها.

كان السّيوطي (ت. 911هـ) يعدّ الصّرف قسيمًا للإعراب، ولم يتفرّد السيوطي بهذا الموقف، وإنّما عدّ معظم الدّارسين القُدامى الدّرس النحوي علمًا شاملاً للصّرف، حتّى انفصلا عن بعضهما البعض وبدا الصّرف مستقلا عنه، كما وُضعت له حدودًا ومفاهيم يُعرف بها وتميّزه عن غيره.

إنّ علم الصّرف مقدّم على علم النّحو، كما ذكر جرجي شاهين بقوله: «لأنّه يبحث عن ذات المفردات، والنّحو عن صفة المركبات، والمفرد قبل المركّب، والذّات قبل الصّفة، أي يبحث في بنية الكلمة وتحويلها من هيئة إلى هيئة أخرى، إمّا لتغيير في المعنى، وإمّا لتسهيل في اللّفظ، وإمّا للأمرين جميعًا» .[1]

في هذا الصّدد يقول ماريو باي: «إنّ الحدود بين هذه المستويات الأربع غير واضحة تماماً ومتشابكة ، فأصوات اللّغة مثلاً تتأثر كثيرًا بالصّيغ ، والعكس كذلك صحيح ، والصّوت والصّيغة كلاهما يتأثران – غالبًا- بالمعنى ، كذلك يوجد تبادل مطّرد بين الصّرف والنّحو، كما هو الحال بالنّسبة لبعض اللّغات ، حين نستعمل واحدًا منهما ونستغني عن الآخر ، ولهذا فإنّ الصّرف والنّحو كثيرًا ما يُجمعان تحت اسم واحد هو التركيب القواعدي (Grammatical Structure) ».[2]

خلاصة ذلك كلّه أنّه ثمة تدّرج لل فروع اللّغوية، وهو أمر انتهجته اللّسانيات الحديثة، يبدأ من أصوات اللّغة إلى بُنيتها الصّرفية، فتركيبها النّحوي، وصولاً إلى دلالتها، والتي تمثل قمة هذا التّسلسل.

6. الدّلالة التّصريفية في القرآن الكريم:

اهتم دارسو القرآن الكريم بالبحث في الدّلالة التّصريفية لأبنية الكلمة وتنوع اشتقاقاتها، وما توحي إليه قصد الوصول إلى المعنى الكلّي المقصود في النّص، وقد عرفت الدّلالة التّصريفية أنّها :«الأثر المعنوي المستفاد من بنية الكلمة، ومن التغييرات التي تحوّلها إلى أبنية مختلفة... فلكلّ بُنية دلالة معيّنة، والبُنية ضمن ما يحدّد نوع الكلمة: هل هي من الأسماء أم الأفعال، أم المشتقات، أم المصادر، وكلّ من هذه الأنواع له

[1] جرجي شاهين ، سلم اللّسان في الصّرف والنّحو والبيان، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ط4، د.ت، ص04.

[2] ماريو باي، أسس علم اللغة ،ترجمة: أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة، 1419هـ، 1998م، ص44، 45.

بُنى فرعية ذات دلالات معيّنة، فكلٌّ من : سامع، وسمّاع، ومسموع أوصاف، إلاّ أنّ سامعًا، يدل على الحدث ومن قام به، وسمّاع يدل على كثرة الحدث، ومسموع يدلّ على من وقع عليه الحدث»[1]

فتنوع الصّيغ يؤدي التي تنوع دلالتها، ولهذا الغرض – أي الأثر المعنوي– المستفاد من اللّفظة، ومدى تأثيره على النّفس، نستطيع أن نلمس ذلك الإعجاز المتجسّد في المفردة القرآنية في حسن انتقائها وكيفية صياغتها ممّا يعكس أثرًا عميقًا لدى المستمع، ولهذا قال محمود السيّد شيخوان: «إذا تأملت في الكلمات التي تتألّف منها الجمل القرآنية ، رأيتها تتميّز بميزات ثلاث رئيسية هي:

1. جمال وقعها في النّفس ، 2. اتّساقها الكامل مع المعنى ، 3. اتّساع دلالتها لما لا تتّسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والمدلولات .»[2]

إذن المحلّل لألفاظ القرآن الكريم لا يجب أن يتوقف عند صورتها السّطحية وحسب، بل لا بدّ من أن ينتبه لأبعادها العميقة، وهذا أمر لا يُؤتاه إلاّ ذو بيان وعقل وفطنة، ومن كان في زمرة أولي الألباب والرّاسخين في علم التّفسير والتّأويل ، إذ «استنبط المفسّرون ممّا توحي به الصّيغة الصّرفية، كثيرًا من المعاني اللّطيفة، والأحكام الفقهية، والعقدية، كما أنّ التأويل لمعاني هذه الصّيغ سمة لبعض الفروق المختلفة»[3]

هذا يعني أنّ معرفة الصّيغ الصرفية وتنوعاتها وشتى صورها كفيل بتنوع المعاني وتوسعها وهو كما ذكر صبحي الصالح مظهر من مظاهر الغنى والثراء في اللّغة وسبيل إلى النّماء اللّغوي، والتّبحر في المستوى الصّرفي في معرفة دلالة النّص القرآني كفيل بمعرفة أسراره والكشف عن وجه من وجوه إعجازه، وقد ذكر يوسف المرعشلي ما يؤيد ذلك، فقال:«تبقى التّنوعات الصّرفية أهم الرّوافد التي تعمّق البحث عن أسرار المعاني التي تقف وراء قوالبها، وتميّز المفردة عن شبيهاتها في الخطاب القرآني، فهي بذلك تعطي كلّ مفردة حقّها من المعنى المراد حتّى يجدها النّاظر أو الدّارس فيها مختارة، بحيث لو أراد وضع مفردة مكان أخرى لا يستطيع، لتغيّر المعاني بذلك، وهذا ما يدلّ على تمام القدرة والحكمة، وهنا يكمن الإعجاز».[4]

[1] فريد عبد العزيز الزّامل، الخلاف التّصريفي وأثره الدّلالي في القرآن الكريم، دار ابن الجوزي ، القصيم، ط1، 1427هـ، ص62.

[2] محمود السيّد شيخوان، الإعجاز في نظم القرآن ، مكتبة الكليّات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1378هـ، 1978م، ص77.

[3] فريد بن عبد العزيز الزّامل، الخلاف التّصريفي وأثره الدّلالي في القرآن الكريم، ص64.

[4] يوسف المرعشلي، إعجاز القرآن والدّلالات الصّرفية ،دار ابن حزم، بيروت، ط1، 20011م، ص14.

من هنا تتضح لنا أهمية المستوى الصّرفي في تفسير القرآن الكريم ، وأنّه لا غنى لمبتغي تفسير القرآن تفسيرًا صحيحًا منطقيًا ومعقولاً عنه، ولذلك ذكر الزركشي (ت 794هـ) أنّ علم التّصريف إحدى الرّكائز الأساسية للتّفسير اللّغوي، حيث يقول: «وفائدة التّصريف حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد، فالعلم به أهم من معرفة النّحو في تعرّف اللّغة، لأنّ التصريف نظرٌ في ذات الكلمة، والنّحو نظرٌ في عوارضها، وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسّر»[1] .

المعاني الحاصلة التي يقصدها الزركشي من قوله، هي تلك النّاتجة عن الاشتقاقات الحاصلة من الكلمة الواحدة، أي المنحدرة من أصل واحد، وتنجم عنها دلالات عدّة من مثل: اسم المفعول، اسم الفاعل، صيغة المبالغة، الصّفة المشبهة، المصادر، اسما الزّمان والمكان... وغيرها، بالإضافة إلى ما توحي إليه التّغيرات الحاصلة في الأفعال من: تجريد وزيادة وتضعيف وتشديد ، وتعدية ولزوم... وغيرها، والتي تؤدي هي الأخرى فروقا دلالات ومعان مختلفة تتغير بحسب تغيّر حالة هذه الأفعال، وكلّ هذه الظّواهر الصّرفية لها انعكاس في تفسير نصوص القرآن الكريم، وفهمها فهمًا مستقيمًا لا مرية فيه، ومن ثَمّ بدا اهتمام المفسرين بالمستوى الصّرفي واضحًا وضوح الأثر الذي يُخلّفه في النّص القرآني.

المبحث الثاني:

دور القرائن الصرفية في معرفة المعاني وتمييز مختلف الفروق اللّغوية القرآنية:

تعدّ القرائن الصرفية من القرائن اللّفظية التي تعين على فهم المعنى، وتساعد القارئ على الوصول إلى مقاصد الخطاب القرآني، أهمها:

أولا: قرينة المطابقة:

1.مفهوم المطابقة وأنواعها: المطابقة في اللّغة: وهو:« أن تجعل الشيء فوق آخر بقدره، ومنه :طابقت النعل، قال الشاعر :إِذَا لاَوَذَ الظِّلُّ القَصِيرَ بِخُفِّهِ ... وكَانَ طِبَاقُ الخُفِ أَوْ قُلْ زَائِدًا»[2]

[1] بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، قدّم له : مصطفى عبد القادر عطا الله، دار الكتب العلمية ،ج 1 ،ط 1 ، 1408هـ، ص373.

[2] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص514.

ويُقال: «طابقت بين الشيئين، إذا جعلتهما على حذو واحد، ولذلك سمينا نحن ما تضاعف من الكلام مرتين مطابقا» [1]

فمعنى المطابقة يدور حول الموافقة والائتلاف والاتّفاق والتّساوي.

فالمطابقة من الظواهر اللّغوية التي يجب على اللّغوي التّوقف عندها في دراسته لبعض المباحث النحوية والصّرفية فقد «أدرك النحاة وجود ضروب من التّطابق في التركيب اللّغوي بدونها يضطرب معناه، فيفقد بهذا الاضطراب خصيصة من أهم خصائصه، ودراسات النحاة عن التّطابق لا توجد منفصلة مستقلة عن دراساتهم لغيره من خصائص الجملة العربية، وإنّما هي مبثوثة هنا وهناك بين جزيئات الأحكام النحوية وما يتصل بها من قواعد وتعليلات»[2]

غير أنّ المطابقة لا تظهر في الأدوات ولا في الظروف، يقول تمام حسان:« مسرح المطابقة هو الصيغ الصّرفية والضمائر فلا مطابقة في الأدوات ولا في الظروف مثلا إلا النواسخ المنقولة عن الفعلية فإن علاقاتها سياقية تعتمد على قرينة المطابقة وأمّا الخوالف فلا مطابقة فيها إلا ما يلحق "نعم" من تاء التأنيث» [3]

قرينة المطابقة تتجسد وتظهر في: 1. العلامة الإعرابية، 2. الشخص (التكلم والخطاب والغيبية)، العدد (الإفراد التثنية والجمع)، 4. النوع (التذكير والتأنيث)، 5. التعيين (التعريف والتنكير).

لقد نصّ الصرفيون :«على وجوب المطابقة في هذه الأنواع الخمسة؛ لأنّها من عناصر التوافق الشكلي للسياق، ووسيلة من وسائل ترابط الأبواب فيه»[4]

«ولا يعبّر عن هذه المعاني بالصيغ الصرفية، ولا بالصور الشكلية، ولكن يعبّر عنها بواسطة اللواصق والزوائد، فالتكلّم والخطاب والغيبة يعبّر عنها في الفعل الماضي بالضمائر المتصلة، وفي المضارع بحروف المضارعة، وليس في صيغة الأمر إلاّ معنى المخاطب»[1]

[1] أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص440.

[2] علي أبو المكارم، الظواهر اللّغوية في التراث النحوي، دار غريب، القاهرة، ط1، 2006م، ص127.

[3] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص211

[4] تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1400 هـ، ص249.

أ.**المطابقة في العلامة الإعرابية:**

هي من أهم الظواهر التي ميزت اللغة العربية «نلحظ أنّ التطابق في الموقف الإعرابي محدود إلى أبعد الحدود، فلا يوجد مطردا إلاّ في التّوابع وحدها، وكذلك الأمر في التعريف والتنكير، ولعلّ السر في ذلك أنّ الاتّفاق في الموقف الإعرابي لا يستلزم بالضرورة اتّفاقا فيما وراء هذا الموقف، لأنّ صور التّطابق الممكنة في الموقف الإعرابي وهي: الرفع والنّصب والجرّ- ويمكن أن نلحق بها الجزم أيضا كما في التّوكيد اللّفظي للفعل المضارع المجزوم- ليست مقصورة على وجود صلة حقيقة بين متطابقيها، ومن ثمّ فإنّ التّوافق فيها مجرد موقف شكلي قد لا يدل في أحيان كثيرة على علاقة بين طرفي هذا التّوافق»[2]

«فالعلامة تكون للأسماء والصفات وللفعل المضارع، فيتطابق بها الاسمان والاسم والصفة والمضارعان المتعاطفان»[3] ، أي أنّ المطابقة في العلامة الإعرابية تميّز بين العديد من الأسماء المتشابهة وتفرق بين التراكيب المتقاربة وتحدد العلاقات الإسنادية المختلفة.

ب.**المطابقة في الشخص:** « وأمّا الشخص فإنّه تمايز الضمائر بحسبه بين التّكلم والخطاب والغيبة، ومن ثم تتّضح المقابلات بحسبه في إسناد الأفعال، وإذا كان الفعل مسندا إلى الاسم الظاهر فهذا الاسم في قوة ضمير الغائب، أمّا إذا كان الفعل نواة جملة خبرية مبتدؤها ضمير فإنّ الفعل لابدّ أن يطابق من حيث الشخص ما تقدّمه من ضمير»[4]

فالشخص هو المتكلم ويندرج تحته ضمائر المتكلم(أنا، نحن)، أو المخاطب ويندرج تحته ضمائر المخاطب(أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتن، أنتم)، الغائب ويندرج ضمنه ضمائر الغائب(هو، هي، هما للمذكر والمؤنث، هن، هم) فلا بدّ من المطابقة في الشخص ، ويتجلى ذلك خصوصا في العلاقات الإسنادية.

[1] تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة، ص249

[2] الظواهر اللّغوية، علي أبو المكارم، ص206، 207.

[3] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص212.

[4] تمام حسان، المرجع نفسه، ص201.

ج.المطابقة في العدد: العدد «يميّز بين الاسم والاسم وبين الصفة والصفة وبين الضمير والضمير(سواء كان ضميرا للشخص أو للإشارة أو الموصول)، ومن هنا يتطابق الاسم والاسم والصفة والصفة، والاسم والصفة، والضمير والمبتدأ وإسناد الفعل الذي في جملة خبره من حيث الإفراد والتثنية والجمع، ثم ما يعود على كلّ ذلك من الضمائر يكون مطابقا له في العدد»[1]

فلا بدّ من المطابقة في العدد بين الأسماء وبين الصفات، وبين الضمائر، من حيث الإفراد والتثنية والجمع، خصوصا فيما يتعلق بالتّوابع وغيرها.

د.المطابقة في النوع: ونقصد بالنوع التذكير والتأنيث «يكون أساسا للأسماء والصفات والضمائر (بأنواعها) وتتطابق الأفعال مع هذه الأقسام عند إسنادها إليها أو إلى ضمائرها العائدة إليها كما تتطابق هذه الأقسام في ذلك في مواضع التّطابق»[2]

تظهر المطابقة في النوع أي من حيث التذكير والتأنيث، فلا يجوز مثلا أن يكون المبتدأ مذكر وخبره مؤنث، أو أن تكون الصفة مؤنثة وموصوفها مذكر، أو أن نأتي بالفعل بصيغة المذكر للفاعل المؤنث وهكذا...

و.المطابقة في التعيين (التعريف والتنكير):لا يكونان إلاّ للأسماء فالمعلوم أنّ التعريف هو من خصائص الأسماء فلا يكون التعريف للأفعال أو الضمائر، والمطابقة بين الأسماء في التعريف والتنكير لا يظهر إلاّ في بعض الحالات التي توجب التّطابق بينهما فلا نجد التّطابق في التعريف بين الحال وصاحبها، أو بين المبتدأ وخبره، في حين تتأكد بين الصفة والموصوف، والتّوابع الأخرى .

لفهم ظاهرة التّطابق ودورها في التّفريق بين مختلف التّراكيب ارتأينا دراسة بعض النماذج النحوية، ومعرفة الفروق بينها التي تميّزها عن غيرها وتكسبها خصوصية، انطلاقا من قرينة التطابق كقرينة صرفية، وبذلك يتجلى مدى التكامل بين العلمين للوصول إلى مقاصد الخطاب.

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص212.

[2] تمام حسان،المرجع نفسه، ص212

2. المطابقة بين العناصر النحوية:

أ.المطابقة بين المبتدأ والخبر: العلاقة بين المبتدأ والخبر هي علاقة إسنادية اسمية، و «بتأمل ما تناوله النحويون من صور التّطابق بين المبتدأ والخبر نلحظ أنهم أقروا ضمنا بوجود التوافق بين كل من المبتدأ والخبر في الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث...»[1]

أمّا بالنسبة لمطابقته له في النوع : «لابدّ من المطابقة بينهما في النوع، أي في التذكير والتأنيث- إذا كان الخبر مفردا- فلا يذكّر أحدهما ويؤنث الآخر، لأن ذلك يحل عقدة التّرابط ولا يخرج الكلام عن هذه المطابقة إلا فيما يسمح الوضع اللّغوي به مثل قوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾[من الآية: 185 آل عمران]، حيث اكتسب المبتدأ (كلّ) التأنيث من المضاف إليه "نفس"، فأخبر عنه بمؤنث، لأنّ معنى "كلّ نفس" النفوس»[2]

في قوله تعالى:﴿**قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (8) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ**﴾[النازعات:8، 9]، «قلوب مبتدأ أول نكرة وسوغ الابتداء بها وصفها بواجفة، و(أبصارها) مبتدأ أول نكرة وسوغ الابتداء بها وصفها (بواجفة)، و(أبصارها) مبتدأ ثان و(خاشعة) خبر المبتدأ الأول، والرابط (ها) في أبصارها»[3]

قوله تعالى :﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ** ﴾[البقرة من الآية :228] فالخبر جملة (يتربصن) وقد اشتملت على ضمير يربطها بالمبتدأ وهو نون النسوة التّربص معناه الانتظار»[4]

---

[1] علي أبو المكارم، الظواهر اللغوية، ص214.

[2] محمد عبد اللطيف حماسة، بناء الجملة العربية، ص97.

[3] جميل أحمد ظفر، النحو القرآني، (قواعد وشواهد) ، ط2، 1418هـ، 1998م، مكة المكرمة، ص212.

[4] جميل أحمد ظفر، المرجع نفسه، ص212.

ونحو قوله تعالى:﴿**إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ**﴾ [البقرة:258]

وقوله تعالى:﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[البقرة:44]

وقوله تعالى:﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾[الإخلاص:1] ونحو قوله تعالى :﴿**فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[الأنبياء من الآية:97]

أمّا مطابقته له في العدد : «(أي الإفراد والتثنية والجمع)، فلا يقال "المحمدان ناجح، ولا المحمدون ناجح، ولا محمد ناجحان ولا محمد ناجحون"ولا يخرج الجزءان عن هذا الضرب من المطابقة إلا في مواضع يسمح بها الوضع اللّغوي مثل قوله تعالى ﴿ **وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ** ﴾[التحريم من الآية: 4] حيث جاء الخبر ظهير مفردا مع كون المبتدأ "الملائكة" جمعا، لأنّ الخبر"ظهيرا" على وزن فعيل وهو مما تجريه اللّغة أحيانا مجرى المصدر فيلزم الإفراد والتذكير لأن " المصدر لا يثنى ولا يجمع بل يعبر بلفظة الواحد عن التثنية والجمع"»[1]

كما في قوله تعالى:﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ** ﴾[الحج:19]، ف(هذان) اسم إشارة للمثنى المذكر واقع موقع المبتدأ، و(خصمان) خبره، وكما نلاحظ وجود التّطابق بين المبتدأ وخبره في التثنية.

وقوله تعالى:﴿**سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ** ﴾[الأعراف:193]، فالمبتدأ في الآية هو لفظة (أنتم) وهو ضمير منفصل يدل على الجمع المذكر، وخبره (صامتون) وهو أيضا يدّل على الجمع المذكر فالمطابقة بينهما واضحة.

وقوله تعالى:﴿ **هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً** ﴾[الأعراف من الآية: 73] والأمر نفسه يقع على المبتدأ (هذه) الذي جاء اسم إشارة للمفرد المؤنث، وقابله الخبر وطابقه على الهيئة نفسها والجنس نفسه، فوقع الخبر (ناقة) مفرد مؤنث واتّضح التّطابق بينهما.

[1] محمد عبد اللطيف حماسة، بناء الجملة العربية ، ص97.

ب. المطابقة بين الفعل والفاعل: العلاقة بين الفعل وفاعله هي علاقة إسنادية فعلية، وهما بدورهما يتطابقان في بعض الظواهر كالنوع والعدد.

. **وأمّا مطابقته له في النوع:** فنلحظ أنّه «يؤنث الفعل للفاعل المؤنث بتاء ساكنة في آخر الماضي، وبتاء متحركة في أول المضارع، فالأول كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ**﴾[يوسف:51]، والثاني كما في قوله تعالى :﴿ **وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[يونس:101]»[1]

كما يجوز «مجيء الفاعل مؤنثا مجازيا منفصلا عن الفعل مع تذكير الفعل له كما في قوله تعالى :﴿**فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ** ﴾[البقرة:275]، فقد قال: جاءه ولم يقل: جاءته وذلك جائز»[2]

. **مطابقته له في العدد** : **ف**«المشهور أنّ فعل الفاعل يوحد مع تثنية الفاعل وجمعه كم يوحد مع مفرده فكما يقال: قام أخوك يقال: قام أخواك وإخوتك ونسوتك كما في قوله تعالى :﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون**﴾[المؤمنون: من الآية: 01]، وقوله تعالى:﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ** ﴾[يوسف من الآية: 30] ، أمّا في لغة طيء وأسد فيروون موافقة الفاعل لمرفوعه فيلحقون بالفعل علامة التثنية والجمع عن إسناده إلى اسم ظاهر مثنى أو جمع ...وهذه اللغة يسميها النحاة لغة (أكلوني البراغيث)، وبعضهم يسمونها لغة (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار، وقد وردت شواهد على هذه اللّغة في التنزيل كما في قوله تعالى:﴿**وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ** ﴾[الأنبياء:03]، قال الأنباري عن (الذين) "هو فاعل (أسر) على لغة من قال (أكلوني البراغيث)...»[3]

[1] جميل أحمد ظفر، النحو القرآني، ص192.

[2] جميل أحمد ظفر، المرجع نفسه، ص193.

[3] جميل أحمد ظفر،المرجع نفسه، ص190، 191

ج.المطابقة بين الصفة والموصوف:

تتجسد أكثر صور المطابقة الممكنة بين الصفة والموصوف، فنجدهما يتطابقان في: الحركة الإعرابية، في الشخص، في النوع، في العدد، في التعيين فـ «الأصل تطابق الصفة والموصوف، إذ الصفة أساسا لتكملة الموصوف وتوضيحه، ولا سبيل إلى جعل هذه التكملة موضحة إلا بتحقيق ضروب من التّوافق بين كلّ من الصفة والموصوف، وتتعدد ضروب هذا التّوافق وتتنوع، ولكنّها تلتقي في آخر الأمر في صور ثلاث تحدد شكل التّطابق بين الصفة والموصوف» [1] وتتمثل هذه الأمور الثلاثة في:الحركة الإعرابية، في التعريف والتنكير، في التذكير والإفراد وفروعهما.

«يختلف النعت عن غيره من ضروب التوابع في أنّه يأتي مفردا وغير مفرد (أي جملة وشبه جملة) والمفرد منه يكون قد يكون اسما –وهو النعت الحقيقي– ومركبا اسميا يتم فيه الاسم بمرفوع بعده وهو النعت السببي، وفي كل من النعت الحقيقي والسببي قد يكون المنعوت نكرة أو معرفة ولابدّ من تطابق النعت معه في التّعيين أي التّعريف والتّنكير فضلا عن المطابقة الإعرابية، وينفرد النعت الحقيقي بأنّه يطابق منعوته في العدد (الإفراد والتثنية والجمع)، والنوع (التذكير والتأنيث) »[2]

أمّا في العلامة الإعرابية فـ « يعلّل سيبويه اتّباع النعت والمنعوت في العلامة الإعرابية بأنّهما كالاسم الواحد قال:"فأمّا النعت الذي جرى على المنعوت فقولك: مررت برجل ظريف قبلُ، فصار النعت مجرورا مثل المنعوت لأنهما كالاسم الواحد"، وكذلك أوضح الفارسي أنّ الصفة بمنزلة الجزء من الاسم الموصوف إذ كان الموصوف لا يُعرّفُ إلاّ بالصفة فلا يُستغنى به دون الصفة»[3]

.في قوله تعالى: ﴿**فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ** ﴾[الرحمن:66]، «وقد طابق هذا منعوته في التذكير والتأنيث والتثنية والرفع، ونضاختان من النضخ وهو دون الجري أو هو الامتلاء وعدم الانقطاع، وقوله تعالى:﴿**وَقَالُوا**

[1] علي أبو المكارم، الظواهر اللغوية، ص219

[2] محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص176.

[3] محمد أحمد الخضر، الإعراب والمعنى، ص96.

اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾[الأنبياء: 26] فـ(مكرمون) نعت لعباد، و(عباد) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: بل هم عباد، وقد جاء النعت في الآية جمع مذكر سالما، وقوله تعالى: ﴿ **وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ**﴾[الفتح من الآية:25] وقد جاء النعت هنا جمع مؤنث سالما »[1]

.قوله تعالى:﴿ **فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ** ﴾[الشعراء:32]، فـ(مبينٌ) صفة لـ(ثعبان)، وقد تطابقا في الحركة الإعرابية وفي النوع وهو التذكير وفي العدد أي الإفراد، وفي التعيين أي التنكير، ومثله قوله تعالى:﴿**إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ** ﴾[يوسف من الآية: 31]، وقوله تعالى :﴿ **فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16)**﴾**[الغاشية:12]، وقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** ﴾[الحجر:87]، وقوله تعالى:﴿**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ**﴾[القارعة:7]

يحتاج النعت إلى رابط يربطه بـالمنعوت فحينما يكون النعت جملة فعلية يشترط لها النحاة أن تقترن بضمير يعود على المنعوت ويشترط في ذلك الضمير التطابق مع المنعوت، فلا بدّ من المطابقة بينهما في النوع والعدد ومن ذلك قوله تعالى :﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[آل عمران: 133]، فالنعت هنا كان جملة هي (عرضها السموات والأرض)، قال الزمخشري (ت. 538هـ): «والمراد وصفها بالسعة والبسطة، فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه[2]»

قال أبو السعود (ت. 282هـ):« أي: كعرضهما صفة لـ"جنة" وتخصيص العرض بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة والبسطة على طريقة التمثيل»[3]

[1] جميل أحمد ظفر، النحو القرآني (قواعد وشواهد) ، ص460.

[2] جار الله أبو القاسم الزمخشري، الكشاف، ص195.

[3] محمد العمادي (أبو السعود)، إرشاد العقل السليم، ج2، ص85.

ما نلحظه في هذه الجملة الواقعة موقع النعت لل .(جنّة) اتّصالها بالضمير (ها) وهو ضمير متصل بمثابة الرابط الذي يعود المنعوت، وهو يعبر عن ضمير الغيبة أي (هي) ، وهذا الرابط يحمي الجملة من التفكك والانفصال.

د.المطابقة بين الحال وصاحبها:

«تنشأ علاقة الارتباط بين الحال المفردة وصاحبها، وسبيل البيان في هذه العلاقة أنّ الحال تبيّن هيئة صاحبها وقت وقوع الفعل، وهذا البيان ضروري في فهم معنى الجملة، لأنّ المعنى الدّلالي المستفاد من الجملة معنى واحد لا عدّة معان، ويظهر هذا واضحا في قوله تعالى :﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا**﴾[النساء من الآية:93]، وقوله تعالى:﴿**وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى** ﴾[النساء من الآية:142]»[1]

فعلاقة الارتباط بين الحال وصاحبها ضرورية لتمييزه عن باقي العلاقات التركيبية، ويعتبر التّطابق بينهما في بعض الميزات من أهم ما يفرقه عن غيره، وقد «قرر النحاة وجوب التّطابق بين الحال وصاحبها ضمنا حين تناولوا بالتحديد شروط الحال، وجعلوا من بين هذه الشروط كونه مشتقا »

يخرج من هذا التّعميم ما علم اختلافه عنه كالحركة الإعرابية كون وجوب نصب الحال، ومن ناحية التعريف والتنكير، كونه يأتي نكرة.

الأصل في الحال أن يكون نكرة، وأما صاحب الحال فالأصل فيه أن يكون معرفة، ولكن قد يأتي هذا الأخير نكرة فيتطابق مع الحال وذلك في بعض المواضع منها:

[1] مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية للنشر لونجان دار نوبار، القاهرة، ط1، 1997م، ص171.

-أن تتقدم عليه الحال كما في قوله تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا**﴾[آل عمران: 15] فالظرف (عند) يحتمل أن يكون حالا من (جنات) فصاحب الحال نكرة، والمسوغ لذلك تقدم الحال عليه.

-أن يتخصص صاحب الحال بوصف أو بإضافة فتخصيصه بالوصف كما في قوله تعالى :﴿**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (4) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ** ﴾[الدخان:4، 5] و(أمرا) المنصوب بمعنى (مأمورا) حال من أمر الأول المجرور وهو نكرة والمسوغ لمجيء الحال منه تخصيصه بحكيم.

-أن يقع صاحب الحال بعد نفي أو شبهه،كما في قوله تعالى :﴿**وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ**﴾[الشعراء:208] فجملة (لها منذرون) حال من قرية وهي نكرة عامة لأنها في سياق النفي.

كما يمكن أن يأتي صاحب الحال نكرة بدون مسوغ، نحو قوله تعالى:﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا**﴾[البقرة:259] فجملة (وهي خاوية) حال من (قرية) بدون مسوغ.[1]

. قوله تعالى:﴿**ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا** ﴾[الحج من الآية: 05] قال ابن عاشور (ت.1393هـ) في تفسير الآية «وقوله (طفلا) حال من ضمير (نخرجكم)، أي حال كونكم أطفالا. وإنما أفرد (طفلا) لأن المقصود به الجنس فهو بمنزلة الجمع»[2].

يقول القرطبي (ت.671هـ): «أي أطفالا، فهو اسم جنس ، وأيضا فإن العرب قد تسمي الجمع باسم الواحد، قال الشاعر : يلحينني في حبها ويلمنني ... وإن العواذل ليس لي بأمير

ولم يقل أمراء، وقال المبرد: وهو اسم يستعمل مصدرا كالرضا والعدل، فيقع على الواحد والجمع، قال الله تعالى :﴿**أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَم يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ ٱلنِّسَآءِ** ﴾»[3]

[1] يُنظر:جميل أحمد ظفر النحو القرآني (قواعد وشواهد)، ص349، 350

[2] محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج17، ص200.

[3] محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 14، ص321.

يجوز أن يتعدد الحال كما في قوله تعالى:﴿ **لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ**﴾ [الفتح من الآية: 27]، قال ابن عاشور:« حال من ضمير آمنين وعطف عليه ومقصرين والتحليق والتقصير كناية عن التمكن من إتمام الحج والعمرة وذلك من استمرار الأمن على أن هذه الحالة حكت ما رآه رسول الله ﷺ في رؤياه...وجملة ﴿**لَا تَخَافُونَ**﴾ في موضع الحال فيجوز أن تكون مؤكدة لـ "آمنين" تأكيدا بالمرادف للدلالة على أن الأمن كامل محقق، ويجوز أن تكون حالا مؤسسة على أن "آمنين" معمول لفعل "تدخلن" وأن "لا تخافون "معمول لـ "آمنين"، أي آمنين أمن من لا يخاف، أي لا تخافون غدرا»[1]

كما قد يأتي صاحب الحال متصلا بضمير يعود على الحال نحو قوله تعالى:﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُم لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلأبصَٰرُ مُهطِعِينَ مُقنِعِى رُءُوسِهِم لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِم طَرْفُهُم وَأَفْـِٔدَتُهُم**﴾[إبراهيم: 42، 43].

يقول الفراء (ت. 207هـ):« وقوله :﴿**مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ** ﴾ ، "مهطعين"، منصوب على الحال، المعنى: "إِنَّما يُؤَخِّرُهم لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ أبْصارُهم مُهْطِعِينَ"، أي: مسرعين، قال الشاعر:

بِدَجْلَةَ أَهْلَهَا وَلَقَدْ أَرَاهُمْ بِدَجْلَةَ مُهْطِعِينَ إِلَى السَّمَاعِ

أي: مسرعين، و"مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ": رافعيها، ملتصقة بأعناقهم، و "المقنع": الرافع، و"المقنع": المرتفع، قال الشاعر:

يُبَادِرْنَ العُضَاةُ بِمُقْنِعَات *** نَوَاجِذُهُنَ كَالحَدَإِ الوَقِيعِ»[2]

فالضمير "هم" في "رؤوسهم" يربط بين الحال الذي هو(مقنعي) وصاحبه (رؤوسهم)، وقد تقدم الحال على صاحبه، وطابقه في التذكير أي النوع، كما طابقه في الجمع أي العدد.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج26، ص200.

[2] يحي بن زياد الفراء، معاني القرآن، ج2،ص78.

مّا سبق نخلص إلى أنّ قرينة التّطابق قد تكون حاضرة كليا أي بجميع أشكالها، أو جزئيا أي في بعض المظاهر، إلاّ أنّها في كلّ الحالات تعيننا على التّفريق بين مختلف التّراكيب والعلاقات النّحوية، وتكسب كلّ منها خصوصيات تميّزها عن غيرها.

ثانيا: قرينة مبنى الصيغة:

1.**مفهوم الصيغة وأهميتها** : جاء في كشاف اصطلاحات الفنون: «الصيغة بالكسر عند أهل العربية هي الهيئة الحاصلة من ترتيب الحروف وحركاتها وسكناتها...فهي الهيئة الحاصلة لكلّ لفظ من الحركات والسّكنات ومن عدد الحروف عند الوضع، والمقصود في هذا الفن أي فن الصّرف المنقول العرفي وليس المنقول الاصطلاحي...»[1]

فمعنى الصيغة الصرفية ينبأ عن علاقاتها السياقية، ومثال ذلك أن الفعل الثلاثي اللازم الذي يهمز أو يضعفّ يصير متعديا، ومن هنا تصير الصيغة ودلالتها ذواتى أثر نحوي يتمثل في علاقاتهما السياقية.[2]

« ولشدة الارتباط بين الصيغة والدلالة أجمع أصحاب المعاني على أنّ كل زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا**﴾ [نوح:10] ف(غفّار) تدل على كثرة المغفرة دون(غافر) التي لا توجد فيه هذه المبالغة»[3]

فللصيغة الصّرفية لها دلالتها في التّركيب، فتزيد في المعنى وتكسبه قوة، وتجلي صورته، فيتضح المقال وتُفهم درجة الخطاب، ولكن لا بدّ من التّفريق بين الصيغة والميزان الصرفي «فالتفريق بين الصيغة وهي مبنى صرفي، و بين الميزان و هو مبنى صوتي تفريق هام جدا له من الأهمية ما يكون منها للتفريق بين علمي

[1] محمد التاهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م، ص1107.

[2] ينظر:تمّام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص211.

[3] نادية رمضان النجار، القرائن بين اللغويين والأصوليين، دار الكتب العلمية، بيروت(لبنان)، 2015م، 125.

الصرف والأصوات وقد يتفق هيكل الصيغة مع هيكل الميزان وقد يختلفان، فالفعل (ضرب) يتفق فيه الأمران أما الفعل (وقى) في الأمر فلا تلتقي صيغة الفعل التي هي(افعِل)مع الصيغة الصرفية التي هي(قِ)»[1]

فوجب معرفة الاختلاف بين الصيغة الصرفية والميزان الصرفي، حيث يقصد بالأولى الصورة اللّفظية للكلمة أو بالأحرى الشكلية، أمّا الوزن فهو الصورة المنطوقة أو الصوتية له.

2. الصيغ الصرفية الفعلية والاسمية ودلالاتها:

أ.المصادر: « مصدر كل شيء أصله الذي يخرج منه، ولهذا يقول البصريون: «إنّ المصدر أصل المشتقات، وهو يدل على الحدث فقط كالفهم -النّصر- السّجود،...أمّا الفعل يدل على الحدث والزمن معًا، نحو:فَهِمَ- نصَرَ- سَجَدَ...الخ، فالمصدر إذن هو اللّفظ الذي يدل على الحدث مجردا عن الزمان، متضمنا أحرف فعله لفظًا، نحو: فَهِمَ فَهمًا- نَصَرَ نَصْرًا،....أو تقديرا نحو: خَاصَمَ خِصَامًا- قَاتَلَ قِتالاً،...أو معوضا ممّا حذف بغيره، نحو: وصَف صفَةً- سبّح تسبيحًا،...إلخ»[2]

فالمصدر وإن أُتّفق على أنّه يدل على الحدث مجردا من الزمن، إلا أنّه وقع تضارب في الأقوال في أيهما يعدّ أصلا للمشتقات فقد «اختلف القدماء حول المصدر والفعل، أيهما أصل وأيهما فرع؟ فذهب البصريون إلى أنّ المصدر أصل الفعل، وذهب الكوفيون إلى أن الفعل أصل المصدر...والمصدر يختلف عن الفعل في أنّه اسم ويتفق مع الفعل في أنّه يدلّ على الحدث بالإضافة إلى دلالته على الزمان »[3]

تنبّه سيبويه إلى ما يوحي إليه تعدد المصادر ففرقٌ بين الحياة والحيوان: يقول سيبويه (ت. 180هـ):«ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك: النّزوان والنَّقران والقَفزان، وإنّما هذه

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص145.

[2] أيمن عبد الغني، الصرف الكافي، ص145.

[3] عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص66.

الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع...ومثل هذا الغليان، لأنّه زعزعة وتحرّك، ومثله الغثيان، لأنّه تجيش النفس وتثور»[1]

1.**صوغها**: للمصادر صيغ كثيرة يصعب حصرها، ذكرها أهل اللّغة في كتبهم الصّرفية بإسهاب، وكلّ صيغة لها معان متعدّدة ودلالات مختلفة فليُرجع إليها.

2. أنواعها:

– المصدر الأصلي : «وهو ما يدّل على معنى مجرد، وليس مبدوءا بميم زائدة، ولا مختوما بياء مشدّدة زائدة، بعدها تاء تأنيث مربوطة، ومن أمثلته: علم، فهم، تقدّم، استضاءة،...بلاء، نضال، ويدخل في نوع المصدر الأصلي المصدر الدال على المرة والهيئة فوق دلالته على المعنى المجرد، ولكنّه لا يذكر إلاّ مقيّدا بذكر المرة والهيئة»[2]

فمصدر المرّة: «يُصاغ للدلالة على المرة من الفعل الثلاثي على وزن "فَعْلَة" بفتح فسكون، كـ"جَلسَ جَلْسةً"، و"أَكَلَ أَكْلَةً"، وإذا كان بناء مصدره الأصلي بالتاء، فيدلّ على المرة بالوصف، كـ"رحِمَ رَحْمَةً واحدة"» وأمّا مصدر الهيئة فـ«يُصاغ للدلالة على الهيئة مصدر على وزن "فِعْلَة" بكسر فسكون، كـ"جَلَسَ جِلسَة"، وفي الحديث:" إذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَة"»[3]

-**المصدر الميمي**: وهو ما يدلّ على معنى مجرّد، وفي أوله "ميم" زائدة، وليس في آخره ياء مشدّدة زائدة بعدها تاء تأنيث مربوطة، ومن أمثلته: مطلب، مضيعة، مَجلبة، معدل،...

– **المصدر الصناعي**: ويطلق على كلّ لفظ (جامد أو مشتق، اسم أو غير اسم) زيد في آخره حرفان، هما: ياء مشدّدة بعدها تاء تأنيث مربوطة، ليصير بعد زيادة الحرفين اسما دالاّ على معنى مجرّد لم يكن يدّل عليه قبل الزيادة، وهذا المعنى المجرّد الجديد هو مجموعة الصفات الخاصة بذلك اللّفظ، مثل كلمة: "إنسان"

[1] سيبويه، الكتاب، ج2، ص218.

[2] عباس حسن، النحو الوافي، ص181، 186.

[3] أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص119

مصدرها الصناعي:"إنسانية" "إشتراكي" مصدرها الصناعي"إشتراكية"..إذ يراد منها في وضعها الجديد معنى مجرد.[1]

ب.اسم الفاعل : «اسم مشتق يدل على معنى مجرد، حادث وعلى فاعله، فلا بدّ أن يشتمل على الأمرين معا، هما المعنى المجرد الحادث، وفاعله، مثل كلمة (زاهد) وكلمة (عادل)، في قول القائل: جئني بالتَّمر الزاهد أجئك بالمستبد العادل، فكلمة (زاهد) تدل على أمرين معا، هما العدل مطلقا والذات التي فعلته، أو ينسب إليها، ومثلهما كلمتي: (واش وسائل)...»[2]

1.صوغه: يُصاغ اسم الفاعل «من الثلاثي على وزن فاعل غالبا، نحو: ناصر، غالب، ضارب، وقابل، ومادّ، وراق، وطاو، وبائع، فإن كان فعله أجوف معتلاً قلبت ألفه همزة ... ومن غير الثلاثي على زنة مضارعه، بإبدال حرف المضارعة ميما مضمومة، وكسر ما قبل آخره، كمُدحرِج، ومُنطلِق، ومستخرِج، وقد شذ من ذلك ثلاثة ألفاظ، وهي: أسهب فهو مُسهَب، وأحصن فهو مُحصَن، وألفج بمعنى أفلس فهو مُلفَج، وقد جاء من أفعل على فاعل، نحو: أعشب المكان فهو عاشب، وأورس فهو وارس، وأيفع الغلام فهو يافع، ولا يقال فيها: مفعَل.»[3]

«أمّا إذا كانت فاء الفعل همزة، نحو: أكل، أمر، أفل، أخذ،...فإنّها تمد في اسم الفاعل فتقول: آكل، آمر، آفل، آخذ، ومنه قول الله عز وجلّ :﴿ **وَشَجَرَةَ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ**﴾[المؤمنون:20]، وقوله:﴿ **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ** ﴾ [الأنعام:76]، وقوله:﴿ **وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ**﴾[هود:56]، كما يصاغ اسم الفاعل من الفعل الثلاثي المضعّف نحو: مدّ، ردّ، شقّ،

[1] يُنظر:عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر،ج3، ط4، دت، ص186، 187.

[2] فاضل السامرائي، معاني النحو، ص238.

[3] أحمد بن محمد الحملاوي، شذا العرف، ص121.

شكّ...، على وزن فاعل)، فتقول: مادّ، رادّ، شاقّ، شاكّ،... والأصل: مادد، رادد، شاقق، شاكك،...ومنه قول الله:﴿ **وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ**﴾[يونس من الآية:107]»[1]

2.الفروق في دلالة اسم الفاعل:

في القرآن الكريم نلحظ سعة في التعبير، فنجد مثلا صيغة تدل على اسم الفاعل، غير أنها تختلف في المعنى الذي تصبو إليه، والدلالة التي ترمي إليها ومن ذلك:

– **دلالة الزمن الماضي:** كما في قوله تعالى:﴿ **أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ**﴾[إبراهيم من الآية:10]، بمعنى فطر السموات والأرض على جهة الثبوت، وذلك مثل قوله تعالى :﴿ **وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِ**﴾ [الكهف من الآية:18] حكاية حال ماضية.

– **دلالة الزمن المضارع:** كما في قوله تعالى:﴿ **فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ**﴾[المدثر:49]

الدلالة على الاستقبال: نحو قوله تعالى :﴿ **وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ**﴾[البقرة من الآية:30]، وقوله تعالى:﴿ **رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ**﴾[آل عمران:9]

ج.اسم المفعول:«اسم مشتق، يدّل على معنًى مجردٍ، غير دائم، وعلى الذي وقع عليه هذا المعنى، فلابدّ أن يدّل على الأمرين معًا، وهما: المعنى المجرّد، وصاحبه الذي وقع عليه، مثل لكلمة:(محفوظ)، و(مصروع) في قولهم: "العادل محفوظ برعاية ربّه، والباغي مصروع بجناية بغيه"، ف(محفوظ) تدل على الأمرين، المعنى المجرّد أي: الحفظ، والذات التي وقع عليها الحفظ، وكذلك (مصروع) تدل عل الأمرين أيضا: المعنى المجرّد، أي: الصّرع، والذات التي وقع عليها ...»[2]

[1] أيمن أمين عبد الغني، الصرف الكافي، مراجعة: عبده الراجحي وآخرون، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، دط، دت، ص176.

[2] عباس حسن، النحو الوافي، ص271.

1. صوغه: يُصاغ اسم المفعول على حسب تنوع الفعل من صحة واعتلال وزيادة والتّجريد، غير أنّ القاعدة العامة في صياغته أنّه «يصاغ قياسا على وزن (مفعول) من مصدر الماضي الثلاثي المتصرف، مثل:(محفوظ) من(حفظ)، و(مصروع) من(صرع)، و(منسوب) من (نسب)، و(معلوم) من (علم)، و(مجهول) من (جهل) و(معروف) من (عرف)، ومثل (محمود) من (حمد)، في قول الشاعر:

لَعَلَّ عَتْبَكْ مَحْمُودٌ عَوَاقِبَهُ وَ رُبَّما صَحَّتْ الأَجْسَامُ بالعِلِلِ»[1]

أي أنّه يُصاغ من الفعل الثلاثي المبني للمجهول على وزن (مفعول) سواء أكان صحيحا، أم معتلا.

-يُصاغ من الصحيح: سواء أكان سالما نحو (مشهود) من(شُهِد)، أم (مهموزا)، نحو(مسئول) من(سُئل)، أم مضعّفا نحو (مردود) من (ردّ)، ومنه قوله تعالى :﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ(103) وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ**﴾ [هود:103، 104]، (فمجموع) اسم مفعول من(جُمِعَ)، و(مشهود) اسم مفعول من(شُهد)، و(معدود) اسم مفعول من (عُدّ)...

-يُصاغ من المعتل: سواء أكان مثالا، نحو: (مورود) من: (وُرِد)، أم أجوف، نحو:(مَقُول، مَبيع)، من (قيل، بيع)، أم ناقصا نحو:(مدعُوّ، مهديّ) من (دُعِيَ، هُدِيَ)، أم لفيفًا مفروقًا نحو:(مَوْفِيّ، مَوْقِيّ) من(وُفِيَ، وُقِيَ)، أم مقرونا نحو:(مَرْويّ، مثْوِيّ)، من:(رُوِيَ، ثُوِيَ)، ومنه قول الله حكاية عن فرعون :﴿**يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ**﴾[هود:98].[2]

أمّا من غير الثلاثي ف «يُصاغ اسم المفعول من غير الثلاثي ـالرباعي والخماسي والسداسيـ على وزن المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل الآخر، نحو: أُكْرِمَ - يُكْرِمُ فاسم المفعول:مُكْرَمْ، استغفر- يستغفرُ فاسم المفعول منه: مُستغفِر، وسبّح- يسبّح فاسم المفعول منه: مُسبِّح،

[1] عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص272

[2] يُنظر:أيمن أمين عبد الغني، الصرف الكافي، ص200.

ومنه قوله تعالى :﴿ **وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمتُ حَيّا**﴾[مريم:31]، فـ(مُبارك) اسم مفعول من: بُورك الذي مضارعه يُبارك»[1]

د. صيغ المبالغة : «وهي أسماء تشتق من الأفعال للدلالة على معنى اسم الفاعل مع تأكيد المعنى وتقويته والمبالغة فيه، ومن ثم سميت صيغ المبالغة، وهي لا تشتق إلا من الاسم الثلاثي»[2]

1.**صوغها**: «تأتي صيغ المبالغة في الغالب على خمسة أوزان هي:

(فعّال، فعول، مِفْعال، فَعِيل، فَعِلْ)، وإليك التفصيل:

1. **فعّال**: نحو: حلاّف، همّاز، مشّاء، منّاع، علاّم، قوّال،...ومنه قوله تعالى :﴿ **وَلَا تُطِع كُلَّ حَلَّاف مَّهِينٍ**﴾[القلم:12]
2. **فَعُول**: نحو: شَكُور، صَدُوق، صَبُور، غَفُور، وَدُود... ومنه قول الشاعر:

إذا مَاتَ منَّا سَيِّدٌ قَامَ سَيِّدٌ قَؤولٌ بِمَا قَال الكِرَامُ فَعُول.

ونحو: المخلص صدوق قوله، وَصُولٌ أهله، شَكُورٌ ربّه، صَبُورٌ عند البلاء.

3. **مِفْعَال**: نحو: مِفْرَاح، مِحذار، مِحجام،...

ومنه قول الشاعر: وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إذَا الدَّهْرُ سَرَّنِي ولا جَازِعٍ مِنْ صَرْفِهِ المتحَوِّلِ

4. **فَعِيل**: نحو: سَميع، عليم، رجيم، عزيز، حكيم، بصير، قدير، ومنه قوله تعالى :﴿ **رَبَّنَا لَا تَجعَلنَا فِتنَة لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَٱغفِر لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلعَزِيزُ ٱلحَكِيمُ**﴾ [الممتحنة:5]

[1] أيمن عبد الغني، الصرف الكافي، ص201.

[2] عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص77.

5. **فَعِل**: نحو: حَذِر، يَقِظ، عَجِل، فَطِن، جَزِع،...ومنه قول الشاعر:

حَذِرْ أُمُورًا لاَ تَضيرُ وآمِن مَا لَيْسَ يُنْجيهِ مِنَ الأَقْدَارِ

ونحو: كُنْ يَقِظًا ولا تَكُنْ عَجِلاً.[1]

«وقد سُمعت ألفاظ للمبالغة غير تلك الخمسة، منها: (فِعِّيل)، بكسر الفاء وتشديد العين مكسور كـ(سِكِّير)، و(مِفْعِيلْ): بكسر فسكون كـ(مِعْطير)، و(فُعَلَة): بضم ففتح، كـ(هُمَزة ولُمَزة)، و(فَاعُول) كـ(فَارُوق)، و(فُعَال) بضم الفاء وتخفيف العين أو تشديدها كـ(طُوَال وكُبار، وبالتشديد أو التخفيف وبهما قرئ قوله تعالى:﴿ **وَمَكَرُوا مَكْرا كُبَّارا**﴾[نوح:22]»[2]

هـ.**الصفة المشبهة**:«وهي اسم يُصاغ من الفعل اللازم للدلالة على معنى اسم الفاعل، من ثم سموه "الصفة المشبهة" أي التي تشبه اسم الفاعل في المعنى، على أنّ الصرفيين يقولون إنّ الصّفة المشبهة تفترق عن الاسم الفاعل في أنّها تدل على صفة ثابتة»[3]

1.**صياغة الصفة المشبهة**:

أولاً: إذا كان الفعل على وزن (فَعِلْ) كانت الصفة المشبهة على الأوزان التالية: فَعِلْ، أَفْعَلْ، فَعْلاَنْ.

– فَعِلْ: تأتي الصفة المشبهة على هذا الوزن إذا دلّ فعلها على فرح أو حزن، نحو: فَرِحَ، حَزِنَ، مَرِح، قَلِقَ...نقول في الصفة المشبهة: فَرِحْ، حَزِنْ، مَرِحْ، قَلِقْ... ومنه قوله تعالى :﴿ **وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ**﴾[هود:10]

[1] يُنظر: أيمن عبد الغني، الصرف الكافي، 190. 191.

[2] الحملاوي، شذا العرف، ص122.

[3] عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص79

– **أَفْعَلْ**: تأتي الصفة المشبهة على هذه الصيغة ومؤنثه (فَعْلاءْ) إذا كان فعلها يدلّ على لون أو عيب، نحو:حَمِرَ، خَضِرَ، عَرِجَ، كَحِلَ، عَمِيَ...وتقول في الصفة المشبهة: أحمر، أخضر، أعرج، أكحل، أعمى... والمؤنث: حمراء، خضراء، عرجاء، كحلاء، عمياء،...ومنه قوله تعالى :﴿ **وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا** ﴾[الإسراء: 72]، وقوله تعالى :﴿ **إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ**﴾[البقرة: 69]

– **فَعْلان**: ومؤنثه (فَعْلى)، تأتي الصفة المشبهة على هذا الوزن إذا دلّ فعلها على خلو أو امتلاء، نحو: عَطَشَ، جَوَعَ، غَضَبَ، ظَمَأَ...تقول في الصفة المشبهة: عَطْشان، جَوْعَان، غَضْبان، ظمْآن،...والمؤنث: عَطْشى، جَوْعى، غَضْبى، ظَمْأى،...ومنه قوله تعالى :﴿ **وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا**﴾[الأعراف من الآية: 150].

ثانيا: إذا كان الفعل على وزن (فَعُلْ) كانت الصفة المشبهة على الأوزان التالية: فَعُلٌ، فُعُلٌ، فَعَالٌ، فُعَال.

– **فَعُلْ**: نحو: حَسَنٌ، بَطَلٌ... من: حَسُنَ، بطُلَ،.. ومنه قوله تعالى :﴿ **مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ**﴾[الحديد من الآية: 11]

– **فُعُلْ**: مثل: جُنُبْ، وهو قليل، ومنه قوله تعالى:﴿ **وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ**﴾[المائدة من الآية:6].

– **فَعَالٌ**: مثل: حَصَانٌ، جَبَانٌ، من: حَصُنَ، جَبُنَ،... نحو: هذه امرأة حَصَانٌ، أي: عفيفة.

– **فُعَالْ**: مثل: شُجَاعٌ، من شَجُعَ، نحو: المسلم الصادق شُجَاعٌ عند الزّحف.

وهناك أوزان مشتركة بين البابين هي: فَعْلٌ، فِعْلٌ، فُعْلٌ، فَعِلٌ، فَاعِلٌ، فَعِيلٌ.

– **فَعْلٌ**: مثل: سَبْطٌ، ضَخْمٌ، عَذْبٌ، سَمْحٌ...، من: سَبِطَ، ضَخُمَ، عَذُبَ، سَمُحَ،...

– **فِعْلٌ**: مثل: صِفْرٌ، مِلْحٌ،...من: صَفِرَ، مُلِحَ،..

– **فُعْلٌ**: مثل: صُلْبٌ، حُلْوٌ، مرٌّ،... من: صَلُبَ، حَلُوَ، مَرِرَ...

– **فَعِلٌ**: مثل: فَرِحٌ، نَجِسٌ، من: فَرِحَ، نَجُسَ...

– **فَاعِلٌ**: مثل: بَاسِلٌ، طَاهِرٌ، من: بَسُلَ، طَهُرَ..

– **فَعِيلٌ**: نحو: بَخيلٌ، كريم،... من: بَخِلَ، كَرُمَ، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَة وَرِزق كَرِيم﴾[الحج: 50].[1]

فللصفة المشبهة أوزان تفرّق بينها وبين صيغ المبالغة وتميّزها عنها، وإن كان للسياق الدور البالغ في تحديد المعنى بحكم اشتراكهما في بعض الصيغ.

و.اسما الزمان والمكان: من الأسماء المشتقة اسما الزمان والمكان وهما: اسمان يصاغان من المصدر الأصلي للفعل بقصد الدلالة على أمرين معًا هما: المعنى المجرد الذي يدلّ عليه ذلك المصدر، مزيدا عليه الدلالة على زمان وقوعه، أو كان وقوعه، أو يُقال: اسم الزمان ما يدلّ –بكلمة واحدة– على المعنى المجرّد وزمانه، واسم المكان ما يدلّ–بكلمة واحدة– على المعنى المجرّد ومكانه.[2]

[1] يُنظر: أيمن عبد الغني، الصرف الكافي، ص213، 214، 215

[2] عباس حسن، النحو الوافي، ص318.

1.صياغتهما: يصاغ اسما الزمان والمكان من الثلاثي وغير الثلاثي على النحو التالي:

أولا: صياغتهما من الثلاثي:

أ-يصاغ اسما الزمان والمكان من الثلاثي الماضي(مَفْعَلْ) في موضعين:

-إذا كان الفعل معتل الآخر: نحو: أوى، سعى، رمى، ...نحو قوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَى**﴾[النازعات:41]

-إذا كان الفعل صحيحا وكانت عينه مضمومة أو مفتوحة في المضارع، نحو: قَعَدَ، طَلَعَ، نَهِلَ، بَدَأَ،...فالمضارع: يَقْعُدُ، يَطْلَعُ، يَنْهَلُ، يَبْدَأُ،... ومنه قوله تعالى :﴿**إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰت وَنَهَر (54) فِى مَقعَدِ صِدقٍ عِندَ مَلِيك مُّقتَدِرٍ**﴾[القمر:54، 55]

ب- يُصاغ اسما الزمان والمكان من الثلاثي على وزن (مَفْعِلْ) في موضعين:

-إذا كان الفعل مثالا واويا، صحيح اللام، نحو: وَعَد، وَسَم، وَزَن، وَلَدَ،...ومنه قوله تعالى :﴿ **إِنَّ مَوعِدَهُمُ ٱلصُّبحُ أَلَيسَ ٱلصُّبحُ بِقَرِيب**﴾[هود من الآية:81].

-إذا كان الفعل صحيحا وكانت عينه مكسورة في المضارع، نحو: رَجَعَ، عَرَضَ، هَبَطَ، نَزَلَ،...فالمضارع: يَرْجِعُ، يَعْرِضُ، يَهْبِطُ، يَنْزِلُ،...ومنه قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ إِنَّ مَرجِعَهُم لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ**﴾[الصافات:68].[1]

ثانيا: صياغتهما من غير الثلاثي:

يُصاغ اسما الزمان والمكان من غير الثلاثي على وزن اسم المفعول، أي على وزن المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل الآخر، نحو: أنزل، استقرّ، اسْتودَعَ، أرسى، اجتمع،...فيصبح: مُنْزَلَ، مُستَقَر، مُستودَع، مُرْسَى، مُجتَمَع... ومنه قوله تعالى :﴿ **وَقُل رَّبِّ أَنزِلنِى مُنزَلا مُّبَارَكا وَأَنتَ خَيرُ**

[1] يُنظر: أيمن عبد الغني، الصرف الكافي، ص248.

﴿ٱلۡمُنزِلِينَ﴾[المؤمنون: 29]، ونحو قوله تعالى :﴿ **وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَا**﴾[هود من الآية: 6]، ونحو قوله تعالى :﴿ **يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا**﴾[النازعات:42].[1]

ز.**اسم الآلة:** هو«اسم يُصاغ –قياسا– من المصدر الأصلي للفعل الثلاثي المتصرف–لازما أو متعدياً– بقصد الدلالة على الأداة التي تستخدم في إيجاد معنى المصدر، وتحقيق مدلوله، وليس الوصول إلى تلك الدلالة المعنوية مقصورا على صيغة اسم الآلة القياسي، فمن الممكن الوصول إلى تلك الدلالة بأساليب مختلفة، ليس في واحد منها الصيغة القياسية التي تخص اسم الآلة، ولكن هذا الوصول يتطلّب ألفاظا، وكلمات متعدّدة لا يتطلبها صوغ اسم الآلة القياسي»[2]

صوغ اسم الآلة: يُصاغ اسم الآلة على الأوزان التالية:

– **مِفْعَال:** مثل: فَتَحَ: مِفتاح، زَمَرَ: مِزْمَار، نَشَرَ: مِنْشَار.

– **مِفْعَل:** مثل: شَرطَ: مِشْرَط، صَعَدَ: مِصْعَدْ، قصّ: مِقَصّ.

– **مِفْعَلة:** مثل: سَطَرَ: مِسْطَرَة، لَعِقَ: مِلْعَقَة، بَرِيَ: مِبْرَاة.

وهناك صيغ أخرى أقرّها المحدثون، هي: فاعلة مثل: ساقية، فاعول مثل: ساطور، فعالّة مثل: كسّارة، ثلاجة، خرّامة، كما أنّه هناك أسماء آلة جاءت على غير هذه الأوزان شذوذا، وذلك مثل: مُنخَل، مُكْحُلَة، مُسْعُطْ، ثمّ إنّ هناك أسماء آلة ليست أفعال، فهي أسماء جامدة غير مشتقة، وهي لا تضبط تحت قاعدة معيّنة، مثل: سكّين، سيف، قدوم، فأس، شوكة، قلم، شِص، رُمح، دِرع...الخ.[3]

[1] يُنظر: أيمن عبد الغني، الصرف الكافي، ص249.

[2] عباس حسن، النحو الوافي، ص334.

[3] عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص88. 89.

ب. في الأفعال:

ينقسم الفعل من حيث الصحة والاعتلال إلى صحيح ومعتل، وإلى متعد ولازم من جهة التعدي واللّزوم، غير أنّنا سنتناول في هذا الموضع انقسامه من حيث التّجرد والزيادة لتبيين بعض الفروق بين أبنية الفعل المزيد، والمعاني الدالة عليها.

ينقسم الفعل من حيث التجرد والزيادة إلى: مجرد ومزيد، فالمجرد: ما كانت جميع حروفه أصلية، لا يسقط حرف منها في تصاريف الكلمة بغير علة، والمزيد: ما زيد فيه حرف أو أكثر على حروفه الأصلية.[1]

أولا: المجرد: وينقسم المجرد إلى مجرد ثلاثي ومجرد رباعي، أمّا المجرد الثلاثي فله أوزانا ستة:

- **فَعَل يَفْعُلُ:** نحو: نَصَرَ يَنْصُرُ، مدَّ يَمُدُّ، قَال يَقُولُ، دَعَا يَدْعُو،...
- **فَعَلَ يَفْعِلُ:** نحو: ضَرَبَ يَضْرِبُ، وَعَدَ يَعِدُ، بَاعَ يَبِيعُ، أتَى يَأْتِي،...
- **فَعَلَ يَفْعَلُ:** نحو: فَتَحَ يَفْتَحُ، وَقَعَ يَقَعُ، قَرَأ يَقْرَأُ،...
- **فَعِلَ يَفْعَلُ:** نحو: فَرِحَ يَفْرَحُ، خَافَ يَخَافُ، بَقِيَ يَبْقَى،...
- **فَعُلَ يَفْعُلُ:** نحو: كَرُمَ يَكْرُمُ، حَسُنَ يَحْسُنَ، شَرُفَ يَشْرُفُ،...
- **فَعِلَ يَفْعِلُ:** نحو: حَسِبَ يَحْسِبُ، وَرِثَ يَرِثُ،...

أمّا المجرد الرباعي، فليس له إلا وزن واحد هو: فَعْلَلَ، مثل: بَعْثَر، عَرْبَدَ، غَرْبَلَ، وَسْوَسَ، زَلْزَلَ،..غير أنّه هناك أوزان أخرى يقول الصرفيون أنها ملحقة بالوزن الأصلي أهمها: فَوْعَل نحو: جَوْرَبَ، فَعْوَلَ نحو: دَهْوَرَ، فَيْعَلَ نحو: بَيْطَرَ، فَعْيَلَ نحو:عَثْيَرَ، فَعْلَى نحو:سَلْقَى.[2]

[1] أحمد بن محمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص61.

[2] يُنظر: عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص28.

ثانيا: المزيد: ينقسم المزيد إلى ثلاثي ورباعي ولكل واحد منهما أوزان، ومن أوزان الثلاثي المزيد:

1. مزيد الثلاثي بحرف:

- الثلاثي المزيد بهمزة قطع، ووزنه: **أفعل** نحو: أخرج، أكرم، أوفى...ومن معانيه: التّعدية، التعريض، الصيرورة، المصادفة، السّلب، الدخول في الشيء زمانا أو مكاناً، الحينونة.

- الثلاثي المزيد بحرف من جنس عينه، أي تضعيفها، ووزنه: **فَعَّلَ** نحو:كبّر، قدّم، ربّى،... ومن معانيه: التكثير، التعدية، نسبة المفعول إلى أصل الفعل، السّلب، التّوجه إلى أخذ الفعل منه، اختصار حكاية المرّكب، الدلالة على أنّ الفاعل يشبه ما أخذ منه الفعل.

- الثلاثي المزيد بألف بين الفاء والعين ليصير على وزن: **فاعل**، نحو:جادل، دافع، واعد،... ومن معانيه:المفاعلة، التكثير، الموالاة[1]

2.مزيد الثلاثي بحرفين: يأتي على خمسة أوزان:

– **انفعل**: بزيادة الألف والنون، مثل:انكسر، انفتح، انقاد،..ويأتي لمعنى واحد وهو المطاوعة.

– **افتعل**: بزيادة الألف والتاء، مثل: افتتح، افترش، اشتاق، اصطبر،... ويأتي لخمسة معان: المطاوعة، اتّخاذ فاعله ما تدلّ عليه أصول الفعل، التشارك، التّصرف باجتهاد ومبالغة، الدلالة على الاختيار.

– **تَفَاعَلَ**: بزيادة التاء والألف، مثل:تقاتل، تناوم، تبايع، تشاكى،...وأشهر معانيه: المشاركة، التّكلف، المطاوعة.

– **تفعّل**: بزيادة التاء وتضعيف العين، مثل: تكبّر، تقدّم، توعّد،...ويأتي لمعان ستة:المطاوعة، التّكلف، الاتّخاذ، التّجنب، الدلالة على أنّ الفعل قد حدث مرة بعد مرة، الطلب.

[1] يُنظر: عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص30.

– **افْعَلَّ**: بزيادة الألف وتضعيف اللام، مثل: احمرّ، اصفرّ، اسودّ،... ومعناه للمبالغة في الألوان والعيوب وإظهار قوتها[1]

3. مزيد الثلاثي بثلاثة أحرف، ويأتي على أربعة أوزان:

– **استفعل**: بزيادة الألف والسين والتاء، مثل:استغفر، استمدّ، استقام،...ويأتي لمعان وهي: الطلب ، التّحول، المصادفة، اختصار حكاية الجمل، المطاوعة.

– **افعَوْعَل**:بزيادة الألف والواو وتكرير العين، مثل: اخشوشن،...

– **افْعَالّ**:بزيادة ألف الوصل، ثم ألف وتكرير اللام، مثل: احمارّ، اخضارّ،...

– **افْعَوّلَ**: بزيادة الألف وواو مضعفة، وهو يستعمل قليلا، مثل: اجلَوّزَ (أي أسرع)..[2]

ومن أوزان الرباعي المزيد:

1. **الرباعي المزيد بحرف**: يأتي على وزن واحد وهو(**تَفَعْلَلَ**) بزيادة تاء في أوله، نحو: تدحرج، تبعثر،.. ويأتي معناه للمطاوعة.

2. **الرباعي المزيد بحرفين**: يأتي على وزنين:

– **افْعَنْلَلَ**: بزيادة الألف والنون، نحو: احرنجمت الإبل أي جُمعت، ويحمل معنى المطاوعة.

– **افْعَلَلَّ**: بزيادة الألف ولام ثالثة في آخره، مثل: اطمأنّ، اقشعر،... ويأتي للمبالغة[3]

[1] يُنظر،عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص36 و: يُنظر: محمد محي الدين عبد الحميد، دروس في التصريف، ص82. 83.

[2] يُنظر:عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص40.

[3] عبده الراجحي، المرجع نفسه، ص42.

إنّ معرفة معاني أبنية الأفعال سواء كانت مجردة أو مزيدة ومعاني الزيادة يُعيننا على معرفة مختلف الفروق القائمة بين الأفعال المنبثقة من أصل اشتقاقي واحد، وهذا ما يقوي قاعدة أنّ كلّ زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى.

3.قرينة الصيغة ودورها في فهم دلالة النصوص وتمييز الفروق اللّغوية بين مختلف المباني:

أ. الافتراق في المصادر وأشباهها:

.**الخُسر والخسار والخُسران:** الخُسر: استعمل القرآن (الخُسر) لعموم الخسارة سواء كانت قليلة أم كثيرة فهو لمطلق الخسارة، قال تعالى: ﴿ **وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ** ﴾[العصر:1. 2]، وقوله تعالى:﴿**فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا** ﴾[الطلاق:9]، وهذه خسارة كبيرة.

وأمّا (الخسار) فاستعمله للزيادة في الخسارة، فإذا كان المرء خاسرا وازداد خسرانا على خسارته فهذه الزيادة سماها القرآن (خسارا)، ولم يستعمل القرآن (الخسار) في غير هذا، قال تعالى: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[الإسراء من الآية:82]، فالظالم خاسر فإذا نزل شيء من القرآن زادهم عنادا وظلما فزادت خسارتهم، وقال :﴿ **فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا** ﴾[فاطر:39]، فالكافر خاسر فمن زاد كفره زاد خسارا.

الخسران: أما "الخسران" فقد استعمله لأكبر الخسران وأعظمه ولم يستعمله للخسار القليل، قال تعالى:﴿**خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ** ﴾ [الحج:11]، وهل هناك أكبر من خسران الدنيا والآخرة؟ وقال تعالى:﴿ **قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ**﴾[الزمر من الآية: 15]، وقال تعالى :﴿ **وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا**﴾[النساء من الآية:119][1]

[1] يُنظر، فاضل السامرائي، أسرار التعبير القرآني، ص13.

فالألفاظ الثلاثة وإن اجتمعت في كونها مصادر إلاّ أنّ اختلاف صيغها أدّى إلى اختلاف معانيها فكلمة : (خُسر) دلت على مطلق الخسارة كانت قليلة أم كثيرة ولا يكاد إنسان يسلم من هذا النوع سواء من الجانب المادي أو المعنوي، وجاءت كلمة (خسار) لتدل على خسارة فوق الخسارة وهذا النوع لا يمس في الغالب إلاّ من ابتلي بسوء التّدبير وبُعد النظر وقلة الخبرة، ويأتي (الخُسران) ليدّل على أعظم الخسارة وأكبرها، والملاحظ أنّ كلّ زيادة في المبنى أدت إلى زيادة في المعنى وهذا ما أحدث فروقا بين هذه الصيغ مع اشتراكها في الجذر اللّغوي.

- **بين المصدر الميمي والمصدر العام:** نحو قوله تعالى :﴿ **غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوبِ شَدِيدِ ٱلعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ**﴾[غافر:3]، « التَّوْبُ :ترك الذنب على أجمل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فإنّ الاعتذار على ثلاثة أوجه: إمّا أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا، أو فعلت وأسأت وقد أقلعت، ولا رابع لذلك، وهذا الأخير هو التوبة» [1]، وقوله تعالى:﴿**وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا**﴾[الفرقان:71] يقول الراغب الأصفهاني:«أي :التوبة التامة، وهو الجمع بين ترك القبيح وتحري الجميل. عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتابِ»[2]

.**الحياة والمحيا:** « استعمل القرآن (الحياة) عامة لجميع أنواع الحياة سواء كانت حياة الناس أم غيره، واستعملها نكرة لقوله تعالى :﴿ **وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا**﴾[الفرقان من الآية: 3]، وقال أيضا:﴿ **يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ**﴾[الروم:7]، وقال: ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ**﴾[يونس من الآية:24]، وقال:﴿**وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ**﴾[المؤمنون:37]

[1] الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن، ص169.

[2] فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص11.

أمّا (المحيا) فاستعمله خاصا بحياة الناس ولم يستعمله إلا مضافا إلى ضميرهم ومقابلا للممات،قال تعالى:﴿ **أَم حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُوا ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ**﴾[الجاثية:21]»[1]

– بين المصدر العام واسم المرة:

.(الأخذ والأخذة) قال تعالى :﴿ **كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ**﴾[القمر:42]، وقال تعالى:﴿فعصوا رسول ربهم فأخذتهم أخذة رابية ﴾[الحاقة:10]، فالأخذ أعم من الأخذة، والأخذة أخص من الأخذ. فـ(الأخذ) هو مصدر عام اشتق منه مصدر المرة على وزن (أخذة)

.ومثله في: (البسط والبسطة) قال تعالى :﴿ **وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورٗا** ﴾ [الإسراء:29]، وقوله تعالى :﴿ **وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ**﴾ [البقرة:247].

ب. الفروق بين المشتقات:

.**آثم، أثيم**:«وردت صيغة اسم الفاعل (آثم) ثلاث مرات، كقوله تعالى :﴿ **وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ**﴾[البقرة من الآية:283]،وقوله تعالى:﴿ **فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا**﴾[الإنسان:24] ووردت صيغة الصفة المشبهة (أثيم) سبع مرات، كقوله تعالى :﴿ **يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ**﴾[البقرة:276]

﴿ **هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ**﴾[الشعراء: 221. 222] وقوله تعالى:﴿ **وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ(10) هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ(11) هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ**﴾[القلم: 10، 12].

[1] فاضل السامرائي ، التعبير القرآني، ص11.

.**آيات بينات، آيات مبيّنات:** في قوله تعالى :﴿ **وَلَقَد أَنزَلنَآ إِلَيكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَمَا يَكفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلفَٰسِقُونَ**﴾[البقرة:99]، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَد أَنزَلنَآ إِلَيكُم ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِكُم وَمَوعِظَةٗ لِّلمُتَّقِينَ**﴾[النور:34] «الفرق في المعنى بين (بيّنات) و(مبيّنات)، فهو أنّ صيغة (بيّنات) صفة مشبهة من اسم الفاعل (بائن) مثل: سيّد وسائد، وقيّم وقائم ، ولذلك فمعناها: واضحات بذاتها، لا تحتاج إلى شيء يوضحها لذوي العقول السليمة والفطر المستقيمة، لأنّها آتية من الفعل اللازم والفعل اللازم لا يتضمن مفعولية بل يقف عند الفاعلية، أمّا (مبيّنات) فهي اسم فاعل من الفعل الرباعي (بيّن) على وزن (مُفَعَّل) فمعناها موضحات للحق من الباطل، ومفصلات للمعاني الواردة في القرآن... »[1]

فكلمة (مبيّنات) تعني أنّها دلائل على غيرها، لأنّ معناها موضحات، والثانية لها دلالة على أنفسها لأن معناها واضحات.

.**حافظ وحفيظ:** «إنّ صيغة (حافظ) اسم فاعل، أمّا صيغة (حفيظ) فهي صيغة مبالغة، ولذلك الأصل أن تأتي الأولى في سياق لا تحتاج إلى توكيد، وأن تأتي الثانية في سياق يحتاج إلى توكيد...في قوله تعالى:﴿**إِن كُلُّ نَفسٖ لَّمَّا عَلَيهَا حَافِظٞ**﴾[الطارق:4] لم يكن المقصود التوكيد على الحفظ، وإنّما المقصود بيان القائم على النّفس، لأنّ التوكيد في السياق جاء بلفظتي (إنْ ولما)، وفي قوله تعالى ﴿ **فَٱللَّهُ خَيرٌ حَٰفِظٗا**﴾[يوسف من الآية:43] كان المقصود بيان النّوع، ولهذا جاءت كلمة (حافظا) تمييزا، وجاء التوكيد عن طريق التفضيل بكلمة (خير)، وفي قوله تعالى :﴿ **وَلَو شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشرَكُوا وَمَا جَعَلنَٰكَ عَلَيهِم حَفِيظٗا**﴾ نجد أنّ (حفيظا) جاءت جوابا على قوله:﴿ **وَلَو شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشرَكُوا** ﴾، والإشراك فعل مبالغ في السوء، ولذلك يناسبه صيغة فيها توكيد، فجاءت الصيغة توكيدية عن طريق استخدام صيغ المبالغة (حفيظا)، وفي قوله تعالى :﴿ **فَمَن أَبصَرَ فَلِنَفسِهِۦۖ وَمَن عَمِيَ فَعَلَيهَا وَمَآ أَنَا عَلَيكُم بِحَفِيظٖ**﴾[الأنعام من الآية:4]جاءت (حفيظ) لتؤكد أن الرسول الكريم بشير ونذير، وأن أفعال المرء راجعة إليه، فمن عمل خيرا

[1] عودة الله منيع القيسي، سر الإعجاز في تنوع الصّيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن الكريم، دار البشير، الأردن، ط1، 1416هـ، 1996م، ص140.

وجده، ومن عمل شرا وقع فيه ، وقد جاء المعنى الأخير بصيغة مجازية تجسم المعنى، وهذا ما أعطى المعنى قوة تستدعي أن يكون جوابه قويا، وكانت قوة الجواب عن طريق صيغة المبالغة (حفيظ)...»[1]

ج.تعدد المعنى الوظيفي للصيغ بتعدد مواضعها:

– صيغة (استفعل): تتعدد معاني صيغة (أفعل) بين الطلب نحو :﴿ **فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُوا رَبَّكُم إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارا**﴾[نوح:10]، والصيرورة نحو :﴿ **وَلَقَد رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَ**﴾[يوسف:32] واعتقاد الشيء على صفة نحو :﴿ **ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ**﴾[إبراهيم من الآية:3]، أي يروونها أجدر بالحب من الآخرة، والمطاوعة.....

– **صيغة (فاعل):** بالبناء عل الفتح فقد يكون معناها (أَفْعَلَ) بالبناء على الفتح أيضا نحو :﴿ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَة مِّن رَّبِّكُم**﴾[آل عمران من الآية: 133]، وقد تكون بمعنى المشاركة نحو :﴿ **فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ**﴾[الصافات:141]، ونحو:﴿**وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ**﴾[العنكبوت من الآية:46] وقد يكون بمعنى(فَعَلَ) بالبناء على الفتح نحو:﴿ **وَهَل نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ**﴾[سبأ من الآية:17]

– **صيغة (أَفْعَلَ):** معربة فقد تكون للتفضيل نحو :﴿ **وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ**﴾[الأنفال من الآية: 42]، وقد تكون صفة مشبهة نحو :﴿ **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ** ﴾ [الكوثر:3]، ونحو :﴿ **سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى**﴾[الأعلى:1].

– صيغة (فَعيل): قد تكون اسما نحو :﴿ **وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ**﴾[فاطر:33]، وقد تكون صفة مبالغة نحو:﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾[الأعراف من الآية: 105]، وقد تكون صفة مشبهة نحو:﴿ **لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ**﴾[الأنبياء:102].

– صيغة فَاعِل: الدالة على الوصف فتكون اسم فاعل حينا، كما في قوله تعالى :﴿ **وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِما** ﴾[يونس من الآية: 12] فالمعنى هنا على الحدوث والتّجدد لأن الإنسان لا يتكئ دائما ولا يقعد ولا يجلس إلا ريثما يتحول عن هيئته ووضعه، ومثله :﴿ **وَنَعۡمَة كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ**﴾[الدخان:27]... وتكون صفة مشبهة إذا دلت على الدوام والثبوت كما في قوله تعالى :﴿ **عَٰلِمُ**

[1] عودة الله منيع القيسي، سر الإعجاز في تنوع الصّيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن الكريم، ص150.

ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الجن:26]، وقوله :﴿**وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُم حَفَظَةً**﴾[الأنعام من الآية: 61]، وقوله:﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ** ﴾[الأنعام من الآية:95]...

– صيغة فَعْل: بسكون العين يتعدد معناها ما بين المصدر كلفظ (الحمد) في قوله تعالى :﴿ **ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ**﴾[الفاتحة: 2] والصفة المشبهة كما في لفظ (ربّ) في هذه الآية نفسها، والاسم نحو :﴿**وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا** ﴾[غافر:36]...[1]

فالواضح من ذلك أنّه لا يوجد صيغة صرفية إلا ويتعدّد معناها الوظيفي، وهذا من التّوسع اللّغوي الذي تتميّز به اللّغة العربية، ويكسبها فساحة التّعبير.

د. الافتراق بين الصيغة الفعلية والاسمية:

«يستعمل القرآن الكريم بنية الكلمة استعمالا في غاية الدقة والجمال، فمن ذلك استعمال الفعل والاسم، كقوله تعالى:﴿**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾[الأنفال :33]، إذ إن الفعل (يعذِّبهم) دالّ على التغير والتجدد، وذلك مع وجود رسولِ الله محمدا صلى الله عليه وسلَّم بين ظهراني المسلمين وهو بقاء متغيّر، وفي المقابل نتلمّس علاقة المسلم بربهِ متواصلة من دون وساطة، ولهذا رأينا التعبير القرآني قد عدل عن الصيغة الفعلية (ليعذِّبهم) إلى البناء الاسمي في قوله عز وجلّ: (معذّبهم) مع ربطه باستغفار المسلمين بعد وفاةِ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.»[2]

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ**﴾[الأنعام:95] «فاستعمل الفعل مع (الحي) فقال: (يخرج) واستعمل الاسم مع (الميت) فقال: مخرج) وذلك لأنّ أبرز صفات الحي الحركة والتجدد فجاء معه بالصيغة الفعلية الدالة على الحركة والتّجدد، ولأن الميت في حالة همود وسكون وثبات جاء معه بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات فقال:﴿ **وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّ** ﴾[الأنعام 95]»[3]

[1] يُنظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن، 38، 39.

[2] لقمان مصفى سعيد، التوجيه المعنوي للصيغة الصرفية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة صلاح الدين، أربيل، مجلة التربية والعلم، مجلد: 17، العدد:2، 2010م، ص173.

[3] فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص23.

ومثله قوله سبحانه في وصف المنافقين :﴿ **وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِم قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُم إِنَّمَا نَحنُ مُستَهزِءُونَ**﴾[البقرة:14] فقد فرق بين قولهم للمؤمنين وقولهم لأصحابهم، فقد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث ﴿**امَنَّا**﴾، وخاطبوا جماعتهم بالجملة الاسمية المؤكدة الدالة على الثبوت والدوام ﴿**إِنَّا مَعَكُم**﴾، ولم يسوّ بينهما فلم يقولوا (إنّ ا مؤمنون) كما قالوا (إنّا معكم)»[1] « وذلك إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه، إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك، وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد... وأما مخاطبة إخوانهم، فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر، والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به»[2]

هـ.الافتراق بين صيغ بعض الأفعال:

-**الفرق بين (فعل) و(أفعل): نحو:** (مدّ وأمدّ) «للفعل وجهان من الاستعمال العربي الفصيح، وكلاهما وقع في الكتاب العزيز: فالوجه الأول، وهو أقوى الوجهين أنّ مدّ تأتي للشر، وأمدّ تأتي في الخير، والعرب تقول: لأمدّنّك في باطلك، أي: لأتركنّك فيه، ولا أخرجنّك منه، ويقع المدّ في القرآن الكريم بمعنى الإمهال للكافرين من الحق سبحانه، بأن يُطيل لهم المدّة ويملي لهم، قال تعالى :﴿ **ٱللَّهُ يَستَهزِئُ بِهِم وَيَمُدُّهُم فِي طُغيَٰنِهِم يَعمَهُونَ**﴾[البقرة:15]، وقوله تعالى :﴿ **كَلَّا سَنَكتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ ٱلعَذَابِ مَدّا**﴾[مريم:79]، أما ما يقع بين المخلوقين من المدّ فهو الزيادة في الطغيان، قال تعالى :﴿ **وَإِخوَٰنُهُم يَمُدُّونَهُم فِي ٱلغَيِّ ثُمَّ لَا يُقصِرُونَ**﴾[الأعراف:202]، أما الإمداد ففي الخير، ومنه قول الحق سبحانه:﴿وَأَمدَدنَٰهُم بِفَٰكِهَة وَلَحم مِّمَّا يَشتَهُونَ ﴾[الطور:22]، ومنه قول الحق سبحانه :﴿ **وَٱتَّقُوا ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعلَمُونَ**﴾[الشعراء: 132، 133]»[3]

[1] فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ص12

[2] جار الله أبو القاسم الزمخشري، الكشاف، 456/1.

[3] محمد ياس خضر الدوري، دقائق الفروق اللّغوية في البيان القرآني، ص214، 215.

-**الفرق بين (فَعَلَ) و(افتعل):** نحو(**جرح واجترح**) :«إنّ الأصل اللّغوي للصيغيتين واحد، غير أنّ (اجترح) فيها زيادة معنى للزيادة الداخلة على المبنى، ولذلك استعملت (جرح) لتعني الخير أحيانا والشر أحيانا، فقوله تعالى:﴿**وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ**﴾[الأنعام من الآية:60] أي ما فعلتم من خير ومن شر، لأنّ أفعال العباد هكذا لا تقتصر على الخير وحده، واستعملت (اجترح) بمعنى الشر وحده، لأنّها خصصت بفعل السيئات في المرة الوحيدة التي وردت فيها في القرآن ﴿**أَم حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُوا ٱلسَّيِّـَٔاتِ**﴾[الجاثية من الآية:21][1]

-الفرق بين (تفعّل) و(استفعل): وذلك نحو (**تأخر واستأخر**): يختلف المعنى بين الصيغتين رغم أنهما من أصل واحد ومادتها واحدة، والسبب يعود إلى أنّ يتأخرون معناها أنهم يفعلون التأخر بإرادته، أمّا (لا يستأخرون) فمعناها أنّ عد التأخير لا يكون بإرادتهم، وإنما يكون خارجا عليها، وهو بإرادة الله، ففي قوله تعالى:﴿ **وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ**﴾[البقرة من الآية: 203]، أي ومن فعل التأخير بإرادته، ومثلها في المكانين الآخرين اللذين وردت فيهما، فقوله تعالى:﴿ **لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ**﴾[المدثر: 37] رُبط فيه التّقدم والتّأخر بالمشيئة (الإرادة)،...أمّا في قوله تعالى :﴿ **فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ**﴾[الأعراف من الآية: 34]، فالمعنى لا يسمح لهم الحق تعالى بالتّأخر ولا بالتّقدم،...ولهذا رافقها النفي، لأنّ إرادتهم منفية عن ذلك، أي لا دخل لإرادتهم بتحديد الوقت وعدم التّأخر.[2]

– الفرق بين (أفعل) و(فَعّل): وذلك نحو (أنزل ونزّل): بتتبع دلالات الإنزال والتنزيل يتّضح أن الإنزال يأتي مطلقا، أمّا التنزيل فله الدلالات الخاصة به، ومثال على ذلك الكتب السماوية، فإنّ القرآن الكريم يأتي معه التنزيل بل يمكن القول أنّه مختص به، لقوله تعالى :﴿**وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ**﴾[الشعراء:192]، وقوله تعالى :﴿ **تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ**﴾[فصلت:2]، أمّا الكتب المنزّلة الأخرى فلا يذكر معها التنزيل، وإنّما يُذكر معها الإنزال وسرّ ذلك أنّ التنزيل يدّل على التّدريج، والإنزال يقتضي المرة الواحدة، وظهور القرآن الكريم كان له نزولان: مزول من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا،

[1] عودة الله منيع القيسي، سر الإعجاز في تنوع الصّيغ المشتقة من أصل واحد في القرآن، ص53.

[2] عودة الله منيع القيسي، المرجع نفسه ، ص48.

ونزوله منجمًا بحسب الوقائع والأحداث مدة ثلاث وعشرين سنة، أمّا الكتب الأخرى فهي تنزل جملة واحدة، وما يثبت ذلك قوله تعالى:﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلحَىُّ ٱلقَيُّوم(2) نَزَّلَ عَلَيكَ ٱلكِتَٰبَ بِٱلحَقِّ مُصَدِّقا لِّمَا بَينَ يَدَيهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّورَىٰةَ وَٱلإنجِيلَ (3) مِن قَبلُ هُدى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلفُرقَانَ**﴾[آل عمران].[1]

إنّ تنوع مباني الصيغ يوحي لنا بأهمية مراعاتها في إدراك مختلف المعاني واستنباط الفروق بينها على توحد أصولها، وهذا إنّما يدلّنا على سعة اللّغة العربية وكونها لغة اشتقاقية غنية بالمفردات والألفاظ التي تحمل في طياتها معان عميقة.

[1] يُنظر: محمد ياس خضر الدوري، دقائق الفروق اللّغوية في البيان القرآني، ص221.

الفصـــــل الثاني:

القرائن النحوية ودورها في تحديد الفروق اللّغوية القرآنية

المبحث الأول: علم النحو وأهميته في الدرس اللّغوي وعلاقته بدراسة النص القرآني.

- **نشأة علم النّحو العربي.**
- **وظيفة النّحو وغايته.**
- **مكونات النّظام النّحوي في اللّغة العربية.**
- **الإعجاز التركيبي في القرآن الكريم.**

المبحث الثاني: العلاقات والقرائن النّحوية ودورها في معرفة المعاني وتمييز مختلف الفروق اللّغوية.

- **القرائن النّحوية اللّفظية:الرتبة، الذكر والحذف، التضام، الربط، الأداة، التعريف والتنكير.**
- **القرائن النحوية المعنوية: الإسناد، التّخصيص، النسبة.**

المبحث الأول:

القرائن النحوية وأهميتها في الدرس اللّغوي وعلاقتها بدراسة النص القرآني:

تميّز النّحو العربي بارتباطه المباشر بالقرآن الكريم، فقد كانت بداياته الأولى ترجع إلى ظهور اللّحن في القرآن، فكان من الواجب وضع قوانين وتسطير قواعد تحكم استعمال هذه اللّغة وتضبط وتقوّم أدائها، وتعصم اللّسان من الوقوع في الزلل وخاصة إذا تعلّق الأمر بلغة القرآن الكريم، وقد كان للمشتغلين بالدّراسات القرآنية اهتماما خاصا بعلوم اللّغة لأنّها السبيل لفهم كتاب الله واستعانوا بالنحو العربي لاستقراء النصوص القرآنية لاستنباط الأحكام الشرعية بعيدا عن مجانبة الصواب وبالتّالي فقد نال النحو العربي حظا وافرا من اهتمامهم وانشغالهم.

1. مفهوم النّحو:

أ.لغة: لقد عرّف النّحو في لسان العرب عند ابن منظور« أنّه القصد والطريق، نحاه ينحوه ينحاه نحوا وانتحاه، ونحو العربية منه إنما هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه، من الإعراب وغيره.» [1]

أي هو الطريق والجهة والجانب، وعلم النحو علم إعراب كلام العرب، وسمي هكذا لأن المتكلم ينحو به منهاج كلامهم إفرادا وتركيبا.

ب. اصطلاحًا: ذكر السيوطي فقال: «حدّ النحو في الاصطلاح: عبارة عن العلم بالأحكام المستنبطة من استقراء كلام العرب، أعني أحكام الكلم في ذواتها وما يعرض لها بالتركيب فأحكام الكلم في ذواتها: هو المبحوث عنه في التصريف، وما يعرض لها بالتركيب: هو المبحوث عنه في الإعراب، ويطلق النحو إطلاقا آخر على: ما يرادف الإعراب المقابل للتصريف» [2].

[1] جمال الدين بن منظور، لسان العرب، ج15، ص309، 310

[2] جلال الدين السيوطي، الحاوي للفتاوي، دار الكتب العلمية، بيروت(لبنان)، ط1، 1421هـ، 2000م،ج2، ص 269-270.

وعرّفه أبو عثمان ابن جني أنه: «انتحاء سم ت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب، والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم».[1]

إذن فالنحو في عمومه هو الطريق المتبع والمنهج الذي يُسلك لمعرفة القواعد التي تحكم كلام العرب وتضبط استعمال لغتهم، وقد عُلم بأن العرب منذ الجاهلية كانوا يتكلمون على الس ليقة أي أنّ لغتهم كانت سليمة من دون اللّجوء إلى علم يقيد استخدامها ، إلى أن ظهرت بوادر ودواعي استدعت وضع النحو.

2. نشأة علم النحو العربي:

اجتمعت أقوال جميع العلماء قديما وحديثا على أن نشأة النحو العربي كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم، وأنّ الدراسات النّحوية قد ترعرعت أساسا في أ حضان القرآن ودارت حوله ، حيث ذكر محمد أحمد مومن ذلك بقوله: «ترجع نشأة النحو العربي ح سب الروايات المتواترة إلى خشية المسلمين على القرآن الكريم من مخاطر اللحن والتحريف، فلمّا سمع الخليفة الثا لث عثمان بن عفان رضي الله عنه بأنّ هناك أناسا يفاضلون بين القراءات سارع إلى جمع كل ال سرور القرآنية في دار حفصة بنت عمر ...واستكتبهم مصحفا جمع بين شمل المسلمين أصبح يعرف فيما بعد مصحف عثمان ، إلاّ أن هذا المصحف كان يعوزه الشكل والتنقيط مما أدى إلى انتشار اللحن بين أقوام غير العرب قد دخلت في الإسلام وكان على المسلمين أن يضعوا حلا لهذه المعضلة.[2]

ذكر عبد الله بن يوسف الجديع ما نصّه: «إنّ العجمة حين شاعت في الناس أوجب ذلك أن يسير العلماء إلى تقنين الضوابط لتستقيم الألسنة بتلاوة القرآن، وهذا أصل ما قصدوه، لكنّها صارت قوانين عامة للغة العرب مطلوبة في كل كلام عربي، إذ قُبْح اللحن في كل كلام قد يترتب عليه ضرر كبير، فإن

[1] أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص ،ج1، ص34.

[2] أحمد مومن، اللسانيات (النشأة والتطور)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005، ص 36.

الناس إنما يظهرون مرادهم باللغات فإذا اختلت اللغة فسد الكلام ولم يدرك المراد ومن هنا تأتي أهمية معرفة علوم العربية لتقرأ القرآن كما أنزله الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم».[1]

كلامه هذا يؤيد ما ذكرناه سابقا في أن الدّافع القوي لوضع النحو هو الحفاظ على اللغة عموما من الفساد، وعلى وجه الخصوص الحفاظ على النص القرآني من الخطأ واللحن، ففساد اللفظ يستلزم فساد المعنى، وبالتالي سوء الفهم واختلال الدّلالة المقصودة في النّص، وإذا كان الأمر كذلك فالمستوى النحوي هو من الفروع اللغوية التي لا غنى لمفسر القرآن عنها، فالعلاقة بين النحو والتفسير وطيدة، وقد أكد عبد الله بن يوسف الجديع ذلك حين قال: «يبدو من السياق التاريخي لنشأة النحو العربي أن نزول القرآن الكريم بلسان عربي هو الذي وجّه الدراسات النحوية وجهة خاصة، فقد انتشر الإسلام في بقاع كثيرة ودخلت فيه أجناس مختلفة من غير العرب، فخلق ذلك أوضاعا اجتماعية وأخرى لغوية دفعت إلى دراسة اللغة وتحليلها، وتكوين تصور واضح لبنيتها وتراكيبها واستعمالاتها وصولا إلى فهم النص القرآني، ولاستعمالها كما نزل بها الوحي، لئلا ينقطع الاتصال بين المسلمين والقرآن الكريم».[2]

ذكر فيما قاله ابن سلام الجمحي حين قال: «كان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي...، وإنما قال ذلك حين اضطرب كلام العرب فغلبت السليقة، ولم تكن نحوية فكان الناس يلحنون، فوضع باب الفاعل والمفعول به والمضاف وحروف الرفع والنصب والجر والجزم، ثم صار هذا العلم إلى من بعد أبي الأسود، فزادوا فيه وبينوه ثم جاء زمن التصنيف فصنّفوا فيه وحرّروا، وتعدّدت فيه المدارس وعظُم في معرفته التنافس، وصار هذا العلم لكل أصحاب الفنون آلة لا بد من حوزها».[3]

هذا دليل آخر على الظروف التي أحاطت بالبدايات الأولى لنشأة النحو العربي على يد أبي الأسود الدؤلي ثم تطور بعده ، فكثرت فيه المصنفات وتعددت مدارسه ، وقد كان يشمل علوم العربية إلى أن اكتسب صفة العلمية وأصبح مستقلا بذاته.

[1] عبد الله بن يوسف الجديع، المنهاج المختصر في علم النحو والصرف، مؤسسة الريان، لبنان، ط3، 1428هـ/2007م، ص 06.
[2] عبد الحميد السيد، دراسات اللغة في اللسانيات العربية، دار الحامد، عمان، الأردن، ط1، 1424هـ/2004م، ص 164.
[3] عبد الله بن يوسف الجديع،المنهاج المختصر في علم النّحو والصّرف ، ص 08-09.

3. النّحو في الدراسات اللسانية الحديثة:

عرف المستوى النحوي مصطلحات عديدة في الدراسات اللسانية الحديثة، غير أنها في مجملها تتفق في دراسة التركيب أو الجملة و لذلك ذكر محمود فهمي حجازي فقال: «بناء الجملة أو النحو أو تركيب الجملة مصطلحات مألوفة في الكتابات المعاصرة للدلالة على مفهوم واحد، يتصل بالقواعد التي تحدد نظام الجملة في اللغة ، وتجعلها قادرة على أداء المعنى الذي يريده المتحدث أو الكاتب ، فيصل إلى المستمع أو القارئ...».[1]

فالمستوى النحوي (Syntax) كما ذكر ماريو باي: «يختص بتنظيم الكلمات في جمل أو مجموعات كلامية مثل نظام الجملة: ضرب موسى عيسى ، التي تقيد عن طريق وضع الكلمات في نظام معين : أنّ موسى هو الضارب وعيسى هو المضروب».[2]

يقول محمد يونس علي: «علم النحو أو علم التراكيب (Syntax): يتناول بنية الجمل اللغوية وأنماطها والعلاقات بين الكلمات وآثارها، والقواعد التي تحكم تلك العلاقات، ونظرا لكون التصريف يتناول قواعد بنية الكلمة، والنحو يتناول قواعد بنية الجملة، فقد يطلق على المجال الذي يجمع بين مباحث العلمين : علم القواعد Grammaire».[3]

فالنحو عند المحدثين لا يختلف عن ما هو عليه عند القدامى إلا في بعض المصطلحات ومناهج البحث والنظريات ، وخاصة فيما يتعلق بالنّحو عند الغرب والذي حاول العرب إسقاطه على النّحو العربي للإفادة منه.

4.وظيفة النحو وغايته :

يعدّ المستوى النحوي العمود الفقري للّغة وهو هيكلها الذي تبنى عليه وأساسها الذي ترتكز على أعمدته، وقد جاء في الأثر أن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «تعلموا النّحو فإن بني

[1] محمود فهمي الحجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص 108.
[2] ماريو باي، أسس علم اللغة، ص 44.
[3] محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات،2004م، ص 16.

إسرائيل كفروا بحرف واحد كان في الإنجيل الكريم مسطورا ، وهو: أنا ولّدت عيسى بتشديد اللام فخففوه فكفروا ولذلك قال العلماء بضرورة تعلم النحو: «إذ بمعرفته يُعقل عن الله عز وجل كتابه، وما استوعاه من حكمته واستودعه في آياته المبينة وحججه المنيرة وقرآنه الواضح ومواعظه الشافية وبه يُفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم آثاره المؤيدة لأمره ونهيه وشرائعه وسننه وبه يفهم في منطقه»».[1]

قد ذكرت نادية رمضان النجار بعض وظائف النحو وغاياته ومن أهمها ما يلي:

- يمكّن العلم بالقواعد من توخي الصّواب اللّغوي، فالقواعد تفسر الملكة اللّغوية ولا تكونها.
- حدّد القدماء غاية النّحو وفائدته بأنّها: الاستعانة على فهم الكلام والاحترا ز من الخطأ فيه ومعرفة صوابه من خطئه.
- يساعد النّحو على تفسير لغة المتكلم التي يحصلّها بوسائل أخرى.
- يساعد النحو على كشف العلاقات بين الكلمات وترابطها داخل التركيب.
- يميّز النحو بين التراكيب المتشابهة ويحدّد معانيها ودلالتها ، مثل: ما أحسنَ زيدٌ، ما أحسَن زيدًا !، ما أحسنُ زيدٍ؟ وكذلك الحال مع (نحن العربُ)، (نحن العربَ) فالأولى خبر والثانية مفعول منصوب على الاختصاص.
- يبيّن النّحو أيضا نوع الأداة كما في قوله تعالى :﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ** ﴾[الانشقاق: 01] فهناك إذا الظرفية وإذا الفجائية.
- حرص القدماء على دراسة النحو للإحاطة بالنص القرآني وفهمه، وامتلاك ناصيته لاستنباط الحكم الشرعي منه.
- استعان القدماء بالمعاني النحوية العامة لفهم المعنى الدلالي دون الاقتصار على المعاني النحوية الخاصة.
- أهمية الإعراب في استنباط الحكم الشرعي.[2]

هذه تمثل أهم الوظائف التي يمكن أن تستخلص من الدراسات النحوية قديما وحديثا، فهي تمزج بين ما كان وما هو كائن أي بين التراث والمعاصرة.

[1] خالد عبد الرحمان العك، من أصول التفسير وقواعده، دار النفاس، بيروت، ط2، 1406هـ/1986م، ص 157.

[2] يُنظر: نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء، الاسكندرية، دت، دط، ص 152.

5. مكونات النظام النحوي في اللغة العربية:

كما تناولنا سابقا مكونات النظام الصّرفي في اللغة العربية فإن النّحو أيضا له نظام خاص به يتكون منه، وهو ما أوضحه تمام حسان بقوله: «إن النّظام النحوي للغة العربية الفصحى يبنى على الأسس التالية:

- طائفة من المعاني النحوية العامة التي يسمونها معاني الجمل أو الأساليب.
- مجموعة من المعاني النحوية الخاصة أو معاني الأبواب المفردة كالفاعلية والمفعولية والإضافة ...إلخ.
- مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصة حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها، وذلك كعلاقة الإسناد والتخصيص، والنسبة، والتبعية.
- ما يقدمه علما الصوتيات والصّرف لعلم النحو من قرائن صوتية أو صرفية كالحركات والحروف ومباني التقسيم ومباني التصريف.
- القيم الخلافية أو المقابلات بين أحد أفراد كل عنصر مما سبق وبين بقية أفراده.»[1].

فتّمام حسّان يرى أنّ النّظام النّحوي يُبنى أساسًا على معاني نحوية تربط بينها علاقات، كما يتأثر بالفروع اللغوية الأخرى كالصّوتي والصّرفي بالإضافة إلى القيم الخلافية بين العناصر.

6. الإعجاز التركيبي في القرآن الكريم:

إنّ دراسة المستوى التركيبي في القرآن الكريم يقتضي بالضرورة بيان وجوه الإعجاز التركيبي في النص القرآني، وهو مستوى أعلى من المستوى الصرفي، فإذا كان هذا الأخير يمثل بنية المفردة، فإن المستوى النّحوي يهتم بهذه المفردة في حالة تركيبها وضمّها مع غيرها، وليس في حالة إفرادها ومن هنا يتبين لنا أنه كما وجدنا إعجازا على مستوى اختيار اللفظة، فإن ضمّها إلى غيرها دون تنافر أو تصادم يمثل مظهرا آخر من مظاهر الإعجاز القرآني، ولذلك يقول محمد السيد شيخوان: «إن دراسة الجملة القرآنية يتصّل اتصالا مباشرا بدراسة المفردة القرآنية لأن هذا هو أساس الجملة، ومنها تركيبها، وإذا كان علماء البلاغة يجعلون البلاغة درجات، فإنهم مقرّون دون جدال أن صياغة العبارة القرآنية في الطرف الأعلى من البلاغة هو الإعجاز ذاته، وللإعجاز فيها وجوه كثيرة، فمنها ما تجده من التلاؤم والاتّساق الكاملين من كلماتها

[1] يُنظر: تمّام حسّان ، اللغة العربية معناها ومبناها، ص178.

وبين تلاحق حركاتها وسكناتها، فالجملة في القرآن تجدها دائما مؤلفة من كلمات وحروف وأصوات يستريح لتآلفها السمع والصوت والمنطق».[1]

يرى مصطفى صادق الرافعي أن كل لفظة في القرآن العظيم تتناسب مع موق عها الذي وضعت فيه داخل التركيب والذي لا يمكن أن يستبدل بغيره من المواقع، وقد قال في هذا الصدد:«كان القرآن في نظمه وتركيبه على الأصل نمطا واحدا في القوة والإبداع، ولا تقع منه على لفظ واحد يُخل بطريقته، ما دامت تنعطف على جوانب هذا الكلام الإلهي، وما دام في موضعه من النظم والسياق، فإذا أنت حرّفت ألفاظه من مواضعها أو أخرجتها من أماكنها، وأزلتها عن روابطها حصلت معك ألفاظ كغيرها، كما يدور في الألسنة ويجري في الاستعمال... ورأيت لكلّ لفظة روحا في تركيبها من الكلام... فعلى كل لفظة معنى في الجملة كما أعطتها اللغة معنى في الإفراد، حتى إذا أبنتها وميّزتها من هذه الجملة ضعفت ونقصت، وتبيّنت فيها الوحشة والقلة، شبيه الذي يعرض للغريب إذا نزح عن موطنه وبان من أهله، وكان كلّ ذلك فيها طبيعيا، لأن حقيقة التركيب إنما هي صفة الوحي في هذا الكلام».[2]

إنّ الجملة القرآنية لها أثر عظيم في النفس السّوية التي لا تملك بعد تأمل تراكيبها واستشعار معانيها إلا الإذعان والاستسلام، وهذا الوقع العظيم في النفوس البشرية إنما يتأتى لشدة تلاؤمها وتناسقها في نظم فريد لا يُقدر على مضاهاته، فتصوِّر المعنى بأسمى عبارة وأوجزها ، فتقع في القلب وقع الماء البارد الذي ي ثلج الصدر، وهذه المعاني النفسية هي التي تحدث عنها محمد محمد داوود حين قال: «والجملة القرآنية تتبع المعنى النفسي، فتصوره بألفاظها لتلقيه في النفس، حتى إذا استكملت الجملة أركانها، برز المعنى ظاهرا فيه المهم و الأهم، فليس تقديم كلمة على أخرى صناعة لفظية فحسب، ولكن المعنى هو الذي جعل ترتيب الجملة ضرورة لا م عدى عنه ا، وإلاّ اختل البناء وانهار، خذ مثلا قوله تعالى :﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[الفاتحة:05] ، فترى تقديم المفعول هنا «إياك» ، لأنه موضع عناية العابد ورجاء المستعين، فلا جرم _وهو مناط الاهتمام_ أن يتقدم كما يتقدم كل ما يُهتم به ويُعنى».[3]

[1] محمد السيد شيخوان، الإعجاز في نظم القرآن، ص86.

[2] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص244، 245.

[3] محمد محمد داوود، كمال اللغة القرآنية بين حقائق الاعجاز وأوهام الخصوم، دار المنار، د ط، د ت، ص215.

ليس هذا الأمر بغريب على لغة القرآن المحكمة والمنزهة التي تعلو ولا يُعلى عليها مصداقا لقوله تعالى:﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾[النّجم:3]، وهذه خاصية من خصائص كلام رب البرية: دقة في التصوير في أوجز عبارة لحصول على ألطف معنى ، ومن هنا وبعد هذا التأمل في النص القرآني تتضح لنا المكانة التي يشغلها الجانب التركيبي (النحوي) في القرآن الكريم، وأنه لا يمكن أن يُفهم القرآن العظيم فهماً لا يجانب الصّواب إلا بالتّزود برصيد وباع كبيرين من معرفة لعلوم العربية وبخاصة نحوها، يقول عل ي أبو المكارم: «إن الحقيقة البارزة في حياة العربية الفصحى، والتي يجب وضعها في الاعتبار في أي بحث فيها وعلى أي مستوى من مستوياتها، وبخاصة مستوى التركيب هو التحامها التحاما، يكاد يكون عضويا بالنص القرآني، وقيمة القرآن مطلقة وليست تاريخية تقتصر به عند مراحل بعينها فكريا واجتماعيا، ومن ثَمّ فإنه يتصف بالبقاء والدّوام، ولذلك فإنّ لغته التي صيغ بها يتحتم أن تكون لها صفة الامتداد».[1]

هذا من حسن صنيع القرآن الكريم، وقدر جميله على اللغة العربية، فقد منحها صفة الديمومة والاستمرار والبقاء التي يتصف بها، فصار متلُوًّا بها، وأصبحت خالدة به، وكل ذلك لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى.

المبحث الثاني:

العلاقات والقرائن النّحوية ودورها في معرفة المعاني وتمييز مختلف الفروق اللّغوية:

يعدّ النظام النّحوي غاية في التعقيد والتشابك، فهو لا يمكن دراسته بمنأى عن باقي المستويات الأخرى كالصّرف مثلا الذي يعتبر جزء ا لا يتجزأ من النحو والعلاقة بينهما هي بمثابة احتواء أحدهما للآخر، ولذلك يقول علي زوين: «إنّ التركيب غاية من أهم الغايات التي يسعى إليها الباحث في اللّغة، ولما كانت الجملة تمثل العنصر التركيبي في اللّغات، فإن تحليلها إلى عناصرها الصّرفية ثم إلى عناصرها الصّوتية يقتضي فك هذا التركيب لتصل إلى السّمات العامّة والميزات الخاصة بكلّ لغة من اللّغات، فالتحليل إذن هو تجزئة، والتركيب هو جمع هذه الأجزاء، التحليل هو تبسيط للعناصر الأولية والتركيب هو تجميع لهذه العناصر تحت أنماط معينة».[2]

[1] علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، دار غريب، القاهرة، دط، 2005م، ص169.

[2] علي الزوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986، ص 72.

ويضم النظام النحوي مجموعة من القرائن بعضها لفظية وأخرى معنوية.

أولا: القرائن النّحوية اللّفظية:

1.قرينة الإعراب:

نظرا لأهمية الظاهرة الإعرابية جعلها بعض العلماء من أسرار جمال العربية ومصدر تطورها، حيث يقول صبحي الصالح: «ولما أصابت العربية حظا من التطور أضحى الإعراب أقوى عناصرها ، وأبرز خصائصها، بل سر جمالها، وأ مست قوانينه وضوابطه هي العاصمة من الزلل، المعوضة عن السليقة، لأن الناس أدركوا حين بدأ اختلاطهم بالأعاجم أنهم لولا خلاطهم لهم لما لحنوا في نطق، ولا شذّوا في تعبير...».[1]

فبالإعراب تميّز المعاني، ويوضح الكلام، وهو من أبرز خصائص اللغة العربية، ولذلك ذكر ابن فارس بقوله: «فأما الإعراب فيه تميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين»، وزاد أيضا: «من العلوم الجليلة التي خصت بها الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ...، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه لما مُيّز فاعل من مفعول ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد».[2]

تكمن أهمية الإعراب وتأثيره على المعنى، كما ساقها عبد السلام السيد حامد فيما يلي:

- أنّ العلامة الإعرابية قرينة مهمة من القرائن التي تُعين على تحديد المعنى الوظيفي للكلمة في الجملة ، وهذا غاية التحليل النّحوي.
- كون هذه القرينة اللفظية –رغم تضافر القرائن كلّها واستوائها لفظية ومعنوية – يجعل دلالتها أكثر وضوحا، أو على الأقل أكثر جذبا للانتباه إليها عن غيرها في كثير من الأحيان.

[1] صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، ص 117.

[2] أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1414هـ/1993م، ص161.

- مبالغة النّحاة الشديدة في الاحتفاء بهذه العلامة ووظيفتها حتىّ جعلوا الإعراب في كثير من نصوصهم مُرادفاً لعلم النحو.[1]

إنّ حديثنا عن الإعراب وأهميته يجعلنا نستحضر العلاقة الوثيقة بينه وبين فهم معنى النص القرآني، ولذلك اهتم المفسرون بهذا المبحث النحوي وجعلوه مُعينا لهم على استنباط الأحكام واستلهام المعاني الصحيحة للقرآن الكريم.

اهتم دارسو القرآن وخاصة الأصوليين والمفسرين بجميع العلاقات النحوية الكامنة في التركيب للبحث عن المعاني الخفية والدلالات للوصول إلى التأويل الصحيح والفهم السليم للنص القرآني، ولا يخفى ما للحركات الإعرابية من أثر في تغيير المعنى برُمته، ولذلك حاول المفسرون استقصاء هذه الظاهرة النحوية، وأولوها اهتماما زائدا نظرا لعلاقتها المباشرة بنشأة النحو، فقد ذكر إبراهيم عبد الله رفيدة سببا مباشرا لوضع النّحو، فقال:« النحو وضع لعلاج حالة عامة وداء اشترى، حُفظت لنا مرهبعض النماذج التي كانت لها صلة بواضع النّحو أو الدّاعي إلى وضعه، أو ما تعلق منها بموضوع له دلالته وو ضعهِ الخاص، وهذا الأخير أكثرها دورانا مع قصة نشأة النحو باعتباره سببا مباشرا لها. وذلك هو قراءة قوله تعالى: ﴿ **وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ** ﴾ [التوبة من الآية: 03] بكسر اللام من رسوله، وما يؤدي إليه هذا اللحن من فساد في المعنى».[2]

فكان التغيير في الحركة سببًا في تغيير المعنى كليا ، وبالتالي إفساد دلالة النص القرآني يقول صبحي الصالح: «أما ترتيلهم القرآن مُعرَباً، فلا نحسب عاقلا في الدنيا يرتاب فيه، ولم يزعم أحدٌ من العلماء في الشرق والغرب قديما وحديثا، عامية الأسلوب القرآني، أو تجرده من ظاهرة الإعراب لأن ما في القرآن من الألفاظ الصالحة لأن تقرأ رسماً بأكثر من وجه، كان السياق فيه غالبا يُعين قراءاته المثلى، ويُفرض وجهه الأفضل، ولا يُعين قراءة ما إلا تحريك الأواخر بالحركة الإعرابية المناسبة، ومن أوضح الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾[فاطر من الآية: 28] فالمعنى نفسه يفرض رفع العلماء

[1] عبد السلام السيد حامد، الشكل والدلالة (دراسة نحوية للفظ والمعنى)، دار العلوم، القاهرة، د ط، 2002م، ص61.

[2] إبراهيم عبد الله رفيدة، النحو وكتب التفسير، الدار الجماهيرية، الجماهيرية الليبية، ج1، ط3، 1990م، ص 36.

فاعلا، ونصب اسم الجلالة مفعولا، لأن المراد حصر الخوف من الله في العلماء، لا حصر الخوف من العلماء في الله، فإنما يخشى الله حق خشيته العلماء العارفون بجلاله».[1]

في هذا الصدد ساق علي كاظم أسد بعض أقوال العلماء في أهمية الإعراب حيث قال:« ذكر ابن عطية أنّ إعراب القرآن أصل في الشريعة لأن بذلك تقوم معانيه التي هي للشرع"، وجعل الشيخ الطوسي الإعراب أجل علوم القرآن، قال: "وأقول إن الإعراب أجل علوم القرآن، فإن إليه يفتقر كل بيان، وهو الذي يفتح من الألفاظ الأغلاق إذ الأغراض كامنة فيها، فيكون هو المشير إليها والباحث، وهو معيار الكلام الذي لا يبين نقصانه ورجحانه، حتى يعرض عليه، ومقياسه الذي لا يميز بين سقيمه ومستقيمه حتى يرجع إليه"».[2]

. في قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ** ﴾[المائدة من الآية: 06]، يقول ابن عاشور في تفسيره للآية: «قوله(أرجلَكم) ، قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص بن عاصم، وأبو جعفر ، ويعقوب بالنّصب، عطفًا على(أيديكم)، وتكون جملة (وامسحوا برؤوسكم) معترضة بين المتعاطفين...وقرأه البعض بالخفض(أرجلِكم)، وللعلماء في هذه القراءة تأويلات ، منهم من أخذ بظاهرها، فجعل حكم الرّجلين المسح دون الغسل...»[3]

يرى ابن عاشور أنّ للحركة الإعرابية أثرًا بالغًا في تحديد الدّلالة أو تغييرها الجذري ، ولا يقف الأمر عند مجرّد الاتّساع في المعنى، وإنّما يتوقف عليه الحكم الشرعي، وهذا ظاهر بيّن في هذه الآية القرآنية، فالقول بالنّصب (أرجلَكم)، يقتضي غسل الرّجلين، والقول بالخفض(أرجلِكم)، يقتضي مسح الرّجلين، وهنا يقع الخلاف بين الفقهاء في إطلاق الأحكام، نظرًا لتغيّر الحركة الإعرابية وتعدّد القراءات، غير أنّ كلّ فريق يرتكز على دلالة الحركة في استنباط الحكم من غسل ، أو مسح، ويبقى السّبيل – للخروج من الخلاف– مردّه إلى السّنة النبوية التي تفصّل ما جاء في القرآن وتبيّنه، فهاتان القراءتان ليس بينهما تناقض، وإنّما هما متكاملتان ، حيث أثبتت السّنة أنّ الرّسول (صلى الله عليه وسلم)، غسل رجليه وهو مقيم، ومسحا عند السّفر، فلكلّ حالة حكمها الشّرعي.

[1] صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص119.

[2] علي كاظم أسد، المفسر ومستويات الاستعمال اللغوي، الدار البيضاء، النجف (العراق)، ط1، 1428هـ،2007م، ص59،60.

[3] الطاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج05، ص130.

أمّا في قوله تعالى:﴿ **وَأَذَان مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ**﴾[التوبة من الآية: 3]، فيقول ابن عاشور: "عطف (رسولُه) بالرّفع عند القراء كلّهم، لأنّه من عطف الجملة لأنّ السّامع يعلم من الرّفع أنّ تقديره :(ورسولُه بريءٌ من المشركين)، ففي الرّفع معنى بليغ من الإيضاح للمعنى مع الإيجاز في اللّفظ، وهذه نكتة قرآنية بليغة."[1]

قال أبو حيان:« وأما قراءة الجمهور بالرفع فعلى الابتداء، والخبر محذوف أي: ورسوله بريء منهم، وحذف لدلالة ما قبله عليه»[2]

ففي الآية غرض بلاغي، فقد جمعت بين الإيجاز –بحكم عطف المفرد على الجملة– الذي هو من ضروب البلاغة والفصاحة، وبين إيضاح للمعنى، فحكم الرّفع جعلنا نفهم أنّ (رسوله) عطفت على جملة (أنّ الله بريء من المشركين) فاتّضح الأمر ولم يقع الالتباس الذي كان سيقع إذا خفضت (رسولِه)، فيقتضي ذلك عطفها على (من المشركين) ، وهذا ما حصل من قصة الأعرابي الذي كان فهمه وتحليله للّغة على السّليقة، ففهم من الخفض أنّ (اللهَ بريء من المشركين وبريء من رسوله) ، وهذا خطأ واضحٌ أدّى إلى فساد المعنى كلّه، سببه هو تغيير في الحركة الإعرابية.

فللقرائن النّحوية –عمومًا– وللإعراب على وجه الخصوص دور بالغٌ في توجيه المعنى، وتفسير نصوص الذّكر الحكيم، ونظرًا لهذه الأهمية البالغة لم يهمل المفسّرون –الرّاغبون في فهم معاني القرآن الكريم– هذا الفرع اللّغوي، واعتمدوه اعتمادًا واسعًا في دراساتهم القرآنية .

2. قرينة الرتبة:

أ. مفهومها: نجدها بهذا المصطلح في كتب النحو، وقد نجدها بمصطلح آخر وهو التقديم والتأخير وخاصة في كتب البلاغة والرتبة لغة: « المكانة والمنزلة يُقال: رتّب الشيء أي ثبت ولم يتحرك، ورتب رتوب الكعب أي: انتصب انتصابه ورتّبه ترتيبا: أثبته ... والرتبة والمرتبة: المنزلة »لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، مادة: رتب.

أمّا في الاصطلاح فهي: «قرينة نحوية ووسيلة أسلوبية، أي أنّها في النّحو قرينة على المعنى وفي الأسلوب مؤشر أسلوبي ووسيلة إبداع وتقليب عبارة واستجلاب معنى أدبي»[3]

---

[1] الطاهر بن عاشور ، التّحرير والتّنوير، ج10، ص116.

[2] محمد أبو حيان النحوي، البحر المحيط، ج5، ص8.

[3] البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني)، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1413هـ، 1993م، ط1.

يقول ابن جني(392هـ) في الخصائص في باب نقض المراتب إذا عرض هناك عارض: «ومن ذلك امتناعهم من تقديم الفاعل، في نحو:ضرب غلامه زيدًا، لم يمتنع من حيث كان الفاعل ليس رتبته التقديم، وإنما امتنع لقرينة انضمت إليه وهي إضافة الفاعل إلى ضمير المفعول وفساد تقدّم المضمر على مضمره لفظاً ومعنى»[1]

يقول عبد القاهر الجرجاني: «أن لا نظْم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلّق بعضها ببعض، ويُبنى بعضها على بعض، وتُجعل هذه بسبب من تلك»[2]

كما يقول في موضع آخر:« أنّ الكلم تترتّب في النطق بسبب ترتّب معانيها في النّفس، وأنّها لو خلت من معانيها حتّى تتجرّد أصواتا وأصداء حروف، لما وقع في ولا هجس في خاطرٍ، أن يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يُجعل لها أمكنة ومنازل، وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك »[3]

فهو يرى أن ترتيب المعاني في النطق، هو نتيجة ترتبها في النّفس، وأنّ هذه المعاني تتعالق مع بعضها في الكلم.

يقول تمام حسان: « أميل إلى الاعتقاد أنّ عبد القاهر حين صاغ اصطلاحه (الترتيب) قصد به شيئين أولاهما: ما يدرسه النحاة تحت عنوان: (الرتبة)، وإن لم يعنوا بها تماما، وإنما فرّقوا القول فيها بين أبواب النّحو، وثانيهما: ما يدرسه البلاغيون تحت عنوان: التقديم والتأخير»[4]

الرتبة هي من القرائن المهمة التي تعين على فهم المعنى، واستنباط العلاقات النحوية بين التراكيب، يقول تمام حسان:« ومعنى أنّ الرتبة قرينة من قرائن المعنى، أنّ موقع الكلمة من الكلمة قد يدّل على وظيفتها النحوية، فالفرق بين "قام زيد" و"زيد قام" فرق في موقع الاسم المرفوع من الفعل وقد ترتّب على اختلاف هذا الموقع أن جُعل زيد في الجملة الأولى فاعلا وفي الثانية مبتدأ، على حين لم يتغير أي شيء غير الرتبة في العناصر المنطوقة»[5]

[1] أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج1، ص 293، 294.

[2] عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، جدة، دار الموني، ط3، 1413هـ، 1992م،ص55.

[3] عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، المرجع نفسه، ص56.

[4] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص207.

[5] تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص914

ب.قرينة الرتبة ودورها في تحديد الفروق:

في بعض الحالات قد يتقدم المفعول به عن موضعه الأصلي لغرض بلاغي ودلالي لا يمكن أن يُستفاد في الترتيب الأصلي كما في قوله تعالى :﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة:5]، يقول ابن عاشور:«والحصر المستفاد من تقديم المعمول في قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ حصر حقيقي لأنّ المؤمنين الملقَّنِين لهذا الحمد لا يعبدون إلاّ الله... والحصر المستفاد من التّقديم في قوله ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ حصر إدّعائي للمبالغة لعدم الإعتداد بالاستعانات المتعارفة بين النّاس بعضهم ببعض في شؤونهم، ومعنى الحصر هنا لا نستعين على عظائم الأمور التي يُستعان فيها بالنّاس إلاّ بالله تعالى»[1]

ذهب ابن عطية إلى أنّه :«قُدّم المفعول على الفعل اهتماما، وشأن العرب تقديم الأهم»[2]

ورأى محي الدين درويش أنّ في قوله تعالى :﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ فنّ التقديم ، فقد قدّم الضمير لحصر العبادة والاستعانة بالله وحده، وقدّمت العبادة على الاستعانة، لأن الاستعانة ثمرتها، وإعادة" إياك"مع الفعل الثاني تفيد أنّ كلاً من العبادة والاستعانة مقصود بالذات» إعراب القرآن، درويش

.قوله تعالى:﴿ **خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (7) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ**﴾[القمر:7. 8]

يقول صاحب البحر المحيط: « وانتصب خُشّعًا وخاشعًا وخاشعةً على الحال من ضمير يخرجون، والعامل فيه يخرجون، لأنه فعل متصرّف، وفي هذا دليل على بطلان مذهب الجَرميّ، لأنّه لا يَجوز تقدّم الخال على الفعل وإن كان متصرّفاً، وقد قالت العرب: شتّى تؤبّ الحلْبَة، فشتّى حالٌ، وقد تقدّمت على عاملها وه تؤبّ، لأنّه فعل متصرّف، وقال الشاعر:

سَرِيعاً يَهُونُ الصَّعْبُ عِنْدَ أُولي *** النّــهَى إِذَا بِرجاءٍ صَادِقٍ قَابِلُوهُ البَأْسَا

فسريعاً حالٌ، وقد تقدّمت على عاملها، وهو يهون، وقيل: هو حالٌ من الضّمير المجرور في عنهم من قوله:﴿ **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ**﴾...»[3]

. من تقديم الظرف قوله تعالى: ﴿ **يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1)** ﴾ [التغابن:1] «إنّ أهم غرض من أغراض تقديم الظرف، هو

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص183 .

[2] ابن عطية، المحرر الوجيز،1، ص72.

[3] أبو حيان، البحر المحيط، ج8، ص172.

الاختصاص، والحصر، وذلك نحو قوله تعالى :﴿ **لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ**﴾ قُدّم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عزّ وجلّ لا بغيره، ولو قال (الملك له) لكان إخبارا بأنّ الملك له دون نفيه عن غيره فتقديم الظرف أفاد حصره عليه واختصاصه به دون غيره .

وجاء في الإتقان: «كاد أهل البيان يطبقون على أنّ تقديم المعمول يفيد الحصر سواء كان مفعولا أو ظرفا أو مجرورا ولهذا قيل في :﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾[الفاتحة:05] معناه نخصك بالعبادة والاستعانة وفي قوله تعالى:﴿ **لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ**﴾[آل عمران: 158]، معناه إليه لا إلى غيره»[1]

وقال صاحب البرهان: «وأمّا تقديم الظرف ففيه تفصيل فإن كان في الإثبات دلّ على الاختصاص كقوله تعالى:﴿ **ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26)**﴾[الغاشية :26]... وإن كان في النّفي فإنّ تقديمه يفيد تفضيل المنفي عنه كما في قوله تعالى :﴿ **لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (47)**﴾[الصّافات:47]»[2]

يقول فاضل السّامرائي: « ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿**إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾[فصلت من الآية74] فعلم الساعة مختص بالله وحده لا يعلمه أحد غيره ونحو قوله تعالى :﴿**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾[لقمان: من الآية: 34]، فقدّم الظرف الذي هو الخبر على المبتدأ وهو نظير الآية السابقة، ونحوه قوله تعالى:﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ** ﴾[الأنعام من الآية:59] فقدّم الظرف الذي هو الخبر على المبتدأ(مفاتح الغيب) وذلك لاختصاصه سبحانه بعلم الغيب ألا ترى كيف أكدّ ذلك الاختصاص بأسلوب آخر هو أسلوب القصر فقال:﴿ **لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ**﴾ »[3]

. أمّا عن تأخير الظرف في قوله تعالى :﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[البقرة:2] «فإن كان الكلام منفيا نحو(لا ريب فيه) و(لا فيه ريب)، كان تأخير الظرف يفيد نفي الشيء عن المذكور فقوله تعالى:﴿ **رَيْبَ فِيهِ**﴾ يفيد نفي الرّيب عن القرآن ، وأمّا تقديم الظّرف فهو يفيد النفي عن المذكور وإثباته لغيره، فلو قال (لا فيه ريب) لنفى الريب عن القرآن وأثبته لغيره فيكون تعريضا بالكتب الأخرى» [4]

---

[1] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن،ص51/2

[2] بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج3، ص 236.

[3] فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص51.

[4] فاضل السامرائي، معاني النحو، ص156.

ففي تركيب الآية نجد أنّ هناك فرقا بين التركيبين أي بين تقديم الظرف وتأخيره، ونلمس العناية والدقة في التركيب، حيث كان تأخير الظرف يفيد نفي الريب عن القرآن وعن غيره، عكس إذا قدمنا الظرف يصبح نفي الريب مقتصرا على القرآن الكريم فحسب ، وهذا قدح للكتب السماوية الأخرى، والتي منزلة من عند الله، ولاشك في فساد المعنى وتغيّره.

. في تقديم الخبر على المبتدأ قوله تعالى:﴿**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ** ﴾[مريم من الآية:47]

قال أبو حيان: «ومن تقدّم الخبر ليخص بأمر ما قوله تعالى على لسان أبي إبراهيم عليه السلام قال: "أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم"، فجاء الخبر (أراغب) مقدّما على المبتدأ أنت وفيه مخالفة للرتبة، وذلك ليدلّ على المبالغة في التّعجب من ميل إبراهيم عنها وليشير إلى الاهتمام الزائد من والد إبراهيم بآلهته المزعومة وأنّه لا يصح الكفر بها»[1]

فكما أنّ التقديم والتأخير قد يكون لأسباب بلاغية، إلا أنّ له أبعادا دلالية لا يمكن أن تكون في التركيب الطبيعي للجملة، وبالتالي فإنّ ذلك يحدث فروقا دلالية بين التركيبين.

3.قرينة الذكر والحذف : الأصل في الكلام الذكر، غير أنّه قد يُلجأ إلى الحذف في بعض الحالات، وذلك أيضا لأغراض معيّنة، فقد يكون في الحذف من المعنى أشد قوة، وأكثر تعبيرا ممّا يكون مع الذكر، وكلّ ذلك مردّه إلى السّياق الذي يقوم بدور بالغ في تحديد المحذوف، «ومن طريف الذكر والحذف في القرآن الكريم ذكر الاسم الموصول وحذفه، فقد ذكر القرآن الكريم الاسم الموصول في مواطن، وحذفه في مواطن أخرى فقد قال مرة :﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**﴾[طه:6] بتكرير الاسم الموصول، وقال مرة أخرى :﴿ **بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ**﴾[البقرة من الآية: 116] فلم يكرره، وقال مرة أخرى :﴿**يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[العنكبوت من الآية:52]، وقال سبحانه مرة ﴿**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ﴾ [الحشر من الآية:1]، وقال سبحانه مرة﴿**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[الحديد من الآية:1]» [2]

. من أمثلة الحذف «حذف الحرف مع ما ارتبط به نحو:﴿**وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (74) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا** ﴾[الإسراء: 74.

[1] محمد أبو حيان النحوي، البحر المحيط، ج6 ،ص183.

[2] فاضل السامرائي،التعبير القرآني ص93

75]، أي: "ولو ركنت إليهم" وحذف الفعل نحو:" أنت سعيا" أي:"تسعى:، ونحو قوله تعالى :﴿ **وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوا مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُم قَالُوا خَيرا**﴾[النحل من الآية: 30] ، أي: أنزل خيرا، وحذف الاسم في أحواله الإعرابية المختلفة، فقد حذف المبتدأ نحو :﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (10) نَارٌ حَامِيَةٌ** ﴾[القارعة:10، 11] أي "هي نار"، وحذف الخبر في نحو جواب السائل: من عندك؟ فتقول: خالدٌ، ونحو قوله تعالى:﴿**وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ**﴾[الطلاق:4] أي: كذلك وحذف المفعول به نحو: ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا** ﴾[المدثر:11]، أي: خلقته، وحذف المفعول المطلق والظرف نحو:" مكثت قليلاً" أي: مكثت وقتا، وحذف الحال والتمييز والمستثنى والنعت والمنعوت والمضاف والمضاف إليه وغير ذلك»[1]

يحتمل أن «يكون في التعبير حذف يحتمل أكثر من تقدير فيكون لكلّ تقدير معنى وذلك نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾[آل عمران: 175] فإنّ يخوّف بنصب مفعولين وقد حذف أحدهما فيحتمل أن يكون المحذوف المفعول الأول أو الثاني فعلى تقدير أن المحذوف المفعول الأول يكون المعنى:" يخوفكم أولياؤه"وعلى تقدير حذف المفعول الثاني يكون المعنى: إنّ الشيطان يخوف أولياءه شر الآخرين، أي أنه لا يتعدّى تخويفه المنافقين والكافرين ولا يصل إليكم تخويفه» »[2]

يقول حازم في منهاج البلغاء: «إنما يحسن الحذف ما لم يشكل به المعنى لقوة الدلالة عليه أو يقصد به تعديد أشياء فيكون في تعدادها طول وسآمة فيحذف ويكتفي بدلالة الحال عليه، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفي بالحال عن ذكرها على الحال، وبهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على النفوس، ومنه قوله تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ** ﴾ [الزمر: 73]، فحذف الجواب إذا كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه وتركت النفوس تقدر ما شأنه ولا يبلغ مع ذلك كنه ما هنالك»[3]

[1] فاضل السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص75.

[2] فاضل السامرائي، الجملة العربية والمعنى، ص85.

[3] بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، نقلا عن: منهاج البلغاء، ص687، 688.

. قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ**﴾[النساء من الآية: 171]، «قدّر الفراء: ولا تقولوا (هم) ثلاث، وقدّر بعض النحاة:" ولا تقولوا(آلهتنا) ثلاثة، وقدّر أبو علي: ولا تقولوا (هو ثالث) ثلاثة، فحذف المبتدأ والمضاف من الخبر، ويدّل على ذلك قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾[المائدة من الآية:73]

.قوله تعالى :﴿**أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[هود من الآية:17]، وقوله تعالى:﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [السجدة:23] «فقال في الآية الأولى(فلا تك في مرية) بحذف نون تكن، وقال في الثانية:(فلا تكن في مرية) بذكرها وذلك أنّ السياق في الآيتين مختلف... فإنّ الآية الأولى تثبيت للرسول ونهي له عن الريب والمرية، فقد بدأ الكلام بقوله: إنّه كان على بيّنة من ربّه، ثم يتلوه شاهد منه، ثم قبله كتاب موسى، وختمه بقوله :﴿**إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ**﴾ فناسب ذلك أن يقال:﴿**فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ**﴾ بخلاف الآية الأخرى فإنها ليس فيها مثل هذه الدواعي كما ترى»[1]

جاء في البرهان في حذف النون في موضع وذكرها في موضع آخر قوله:« تنبيها على صغر الشيء وحقارته، وأنّ منه ينشأ ويزيد إلى ما لا يحيط به غير الله، مثل: ﴿**أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى**﴾[(القيامة:37]، حذفت النون تنبيها على مبتدأ الإنسان وصغر قدره بحسب ما يدرك هو من نفسه ثم يترقى في أطوار التكوين: ﴿ **فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**﴾ [يس:77] فهو حين كان نطفة كان ناقص الكون...

كذلك في قوله تعالى :﴿**وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا**﴾ [النساء:40] حذفت النون تنبيها عل ى أنّها وإن كانت صغيرة المقدار حقيرة في الاعتبار فإنّ إليه ترتيبها وتضعيفها، ومثلها ﴿**يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ...**﴾ [لقمان من الآية: 16] وكذلك:﴿**قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ**﴾ [غافر من الآية:50] جاءتهم الرسل من أقرب شيء في البيان الذي أقل من مبدأ فيه وهو الحس، إلى العقل إلى الذكر، ورقّوهم من أخفض رتبة وهي الجهل إلى أرفع درجة في العلم وهي اليقين، وهذا بخلاف قوله

[1] مصطفى شاهر خلوف، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، دار الفكر، عمان (الأردن)، ط1، 1430هـ، 2009م، ص42.

تعالى:﴿**أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ**﴾ [المؤمنون من الآية:105] فإنّ كون تلاوة الآيات قد أكمل كونه وتم... »[1]

.ومن بديع الحذف والذكر قوله تعالى:﴿**وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾[الأعراف44]، فقال في أصحاب الجنة(ما وعدنا ربنا حقا) وقال في الكافرين (ما وعد ربكم حقا) ولم يقل (وعدكم) وذلك أنّ الكافرين كانوا منكرين لأصل الوعد والوعيد، وليسوا منكرين لما وعدهم به فقط، فكأنه قال: هل وجدتم وعد ربكم حقا؟ بخلاف المؤمنين فإنهم كانوا ينتظرون ما وعدهم ربّهم من الخير والكرامة، فقال: وجدنا ما وعدنا ربنا حقا).[2]

.قوله تعالى: ﴿**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (174)وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ**﴾ [الصافات:175] وقوله تعالى:﴿**وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (178) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ**﴾ [الصافات:178. 179] الملاحظ وقوع الحذف في هذه الآية الثانية وهو الضمير (هم) «فذكر الضمير في (أبصارهم) الأولى وحذفه من الثانية، قالوا وسبب ذلك أنّ الأولى كانت بسبب نزول العذاب بهم يوم بدر وما حلّ بهم من قتل وأسر، فلمّا تضمنت المعركة ما تضمنت من قتل صناديد قريش وأسرهم وشفاء صدور المؤمنين قال: (وأبصرهم)، وأمّا الثانية فيوم فتح مكة وليس فيه قتل ولا أسر وإنّما هو هداية ورحمة، ثمّ إنّ فتح مكة كان فتحا لجزيرة العرب ولذلك أطلق فقال: (وأبصر) لأنه ليس مختصا بأهل مكة كان في بدر، فلمّا كانت وقعة بدر خاصة بأهل مكة وقد حلّ عليهم العذاب وحدهم قال(أبصرهم) ...»[3]

جاء في البرهان تعليقا على هذه الآية:« ومن فوائد قوله تعالى في الأوليين (وأبصرهم) وفي هاتين (فأبصر) أنّ الأولى بنزول العذاب بهم يوم بدر وقتلا وأسرا وهزيمة ورعبا، فلمّا تضمّنت التّشفي بهم قيل له: (أبصرهم)، وأمّا يوم الفتح فإنّه اقترن بالظّهور عليه الإنعام بتأمينهم والهداية إلى إيمانهم، فلم يكن وفقًا للتّشفي بهم بل كان في استسلامهم قرة ولقلبه مسرة فقيل له: أبصر»[4]

[1] بدر الدين الزركشي، البرهان لعلوم القرآن، ج1، ص407، 408.
[2] يُنظر: فاضل السامرائي، التعبير القرآن، ص90.
[3] فاضل السامرائي، المرجع نفسه، ص91.
[4] بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص23.

ومن الحذف حذف جواب الشرط في قوله تعالى:﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنعام:27] ،فجواب الشرط محذوف، وتقدير ه لرأيت أمرا شنيعا أو فظيعاً أو عظيما لا تكاد تحيط به العقول أو تصدقه القلوب ، وجاء الحذف هنا لإثبات أنّ هذا الأمر لا يمكن تخيل حجم فضاعته، ولا هيئته، فيتخذ كلّ واحد مذهبا في كيفية تصوره.

4.قرينة التّضام:

أ. مفهوم التّضام: من القرائن النحوية التي تسهم في بناء المعنى وفهم طبيعة التركيب بين عناصر الجملة هي قرينة التضام وقد تنبّه سيبويه إلى ظاهرة التّضام بين المسند والمسند إليه، فقال: « وهما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلّم منه بدّا، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو كقولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك»[1]

عرّف فاضل مصطفى السّاقي التّضام بقوله: « إيراد كلمتين أو أكثر لخلق معنى أعم من معنى أيها.... كضم حرف النّداء أو حرف الجر إلى الاسم أو ضم الصّلة إلى الموصول، أو ضم فعلي الشرط إلى الشرط».[2]

وعرّفته نادية رمضان النّجار:« التّرابط الأفقي الطبيعي بين الكلمات أو رفقة الكلمة أو جيرتها لكلمات أخرى في السياق الطبيعي، نحو:"أهلا وسهلا"، "لم ينبس ببنت شفة"، وقد تطور هذا المفهوم فأصبح يعني دخول الكلمة في سياق مقبول مع الكلمات الأخرى، نحو الفعل: أطلق، فقد يُقال: "أطلق لحيته" "أطلق ساقيه للريح" "أطلق له الحابل على الغارب" ولكلّ منها معنى سياقي يخافه غيره»[3]

فالحقيقة أنّه لو نظرنا إلى المقصود من ظاهرة التّضام كقرينة نحوية بين عناصر الجملة فإنّ التعريف الأول هو الأقرب للمفهوم الصحيح، أمّا التعريف الثاني فهو أقرب ممّا يكون للمعنى المعجمي للكلمات وتناسبها مع غيرها.

وقد قسّم تمام حسّان التضام بحسب صوره إلى : إيجابي و يضم: الافتقار، والاختصاص والتّوارد، وسلبي ويضم: التّنافي أو التّنافر.

---

[1] أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، الكتاب، مكتبة الخانجي، ج1، ط3، 1408هـ، 1988م، ص23.

[2] مصطفى فاضل السّاقي، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، 196.

[3] نادية رمضان النّجار، التّضام والتّعاقب في الفكر النّحوي، مقال منشور، مجلة علوم اللّغة، دار غريب للنشر، القاهرة، مجلد:3، العدد:4، 1420هـ،2000م، ص105.

ب. الظواهر التركيبية في قرينة التضام:

1. الافتقار: إمّا أن يكون للفظ بحسب أصل الوضع، وعندئذ يسمّى متأصلا وإمّا أن يكون للباب بحسب التراكيب فيسمّى غير متأصل.

-**الافتقار المتأصل:** هو افتقار العناصر التي لا يصح إفرادها في الاستعمال...مثال ذلك افتقار حرف الجرّ إلى المجرور وحرف العطف إلى المعطوف وحرف الاستثناء إلى مستثنى وإن حذف وجب تقديره كما في "ليس إلاّ" وواو الحال إلى جملة الحال، والضمير إلى مرجعه والموصول إلى صلته وبعض الظروف إلى مضاف إليه إمّا مفرد، وإمّا جملة،.

-الافتقار غير المتأصل : كافتقار المضاف إلى مضاف إليه، والحال إلى حدث تلابسه، وفعل التّعجب إلى تمييز والمبتدأ إلى خبر، وإنّما سمي غير متأصل لأنّ الافتقار هنا غير منسوب إلى الكلمة فحين تقع الكلمة موقعها للتعبير عن الباب لا يكون الافتقار للكلمة لأنها غير مفتقرة بحسب الأصل، وإنّما يكون الافتقار للباب فكلّ كلمة تقع هذا الموقع يفرض عليها الباب هذا النّوع من الافتقار.[1]

2.الاختصاص: «وأمّا الاختصاص فهو من صفات الحروف والأدوات، لأنّ الأداة إمّا أن تدخل على نوع معيّن من الكلمات لا تتعداه إلى غيره فتسمّى مختصة كاختصاص إنّ وأخواتها بالدخول على الأسماء واختصاص حروف الجر بذلك أيضا واختصاص الجوازم بالدخول على المضارع، وإمّا أن تصلح الأداة للدخول على مختلف أنواع الكلمات مثل "ما" النافية وأدوات الاستفهام وحروف العطف فتكون غير مختصة، وقد انتفع النحاة بهذه الظاهرة في تنظيرهم للإعراب فكان من أصولهم :"لا يعمل الحرف إلا إذا كان مختصا" .

3.**التنافي:** «التنافي أيضا من ظواهر العناصر التركيبية ولو أن العنصر المنفي قد يكون باباً من الأبواب وقواعد ذلك عند النحاة قواعد سلبية لا تخلو من "لا" النافية كقولهم: لا يدخل الحرف على الحرف، الضمير لا يوصف ولا يضاف، لا تدخل حروف الجر على الأفعال، لا تدخل الجوازم على الأسماء، لا تجر حتى إلاّ ما كان آخر أو متصلا بآخر»[2]

[1] يُنظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص154

[2] تمام حسان، المرجع نفسه، ص155.

4.**التّلازم**: يعدّ التّلازم جزءًا من النّظام الذي ينظّم طريقة ترتيب الكلمات وتصميم بناء الجملة وفق القواعد، وبمعنى آخر يُعنى بالنّظر في الاختيار أو الإجبار في وضعية اللّفظة واحتفاظها بموقعها أو رتبتها قياسا بغيرها من عناصر بناء الجملة.[1]

فالتّلازم بين أجزاء الجملة هو ما يحدث ذلك التّرابط الفريد في نظام الكلام، وهو ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم، والذي يجعل العناصر كعقد تترابط أجزاؤه بوثاق متماسك فيُحدث نوعا من التسلسل والتناغم في النص.

يقول عبد القاهر الجرجاني: « وجملة الأمر أنّا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكننا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلّقا معناها بمعنى ما يليها»[2]

«ولم يقف النّحاة في حديثهم عن التّلازم عند حدود المسند والمسند إليه بل أشاروا إلى حالات التّلازم بين أجزاء أخرى من الكلام ليست عمدا في أكثرها كالمضاف والمضاف إليه والصلة والموصول والنعت والمنعوت وغيرها...»[3]

ذلك أنّه لا يمكننا تصور معنى واضح في كلام مقطوع مفصول عن غيره، أي أنّة لا بدّ أن تكون بنيته لحمة واحدة تنسجم أجزاؤها وتتكامل فيما بينها.

«أُخذت بعض المصطلحات الدالة في أصلها اللّغوي على حالة تلازمها مع طرف آخر، قد يكون كلمة أو جملة فنجد لذلك مصطلحات مثل: والفعل وفاعله والصفة والموصوف، والصلة والموصول، والمضاف والمضاف إليه، إنّ الاصطلاحات السابقة تظهر علاقة ارتباط بين شيئين كلاهما بحاجة للآخر، ويتطلبه حتى يؤدي وظيفته النحوية والملاحظ اعتماد النحاة في التسمية على الجذر اللّغوي نفسه مع إحداث تغيير يدّل على الثاني، فيقولون المضاف ومن المادة نفسها يقولون المضاف إليه، ويقيدونه بحرف الجر ومثله الصفة...ومن الجذر نفسه يقولون الموصوف باستخدام اسم المفعول منه، وعلى هذا لا يتحقق وجود طرف بدون الآخر، فهو سبب له فولا المضاف إليه ما كان المضاف، ولولا الصفة ما كان الموصوف وغيرها، ومن

[1] جودة مبروك محمد، ظاهرة التّلازم التّركيبي، دراسة في منهجية التّفكير النّحوي، ص113، مجلة التّحديد، المجلد:15، العدد:30، 1432هـ، 2011م، ص15.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص402.

[3] كريم حسين ناصح الخالدي، نظرات في الجملة العربية، دار صفاء لنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1425هـ، 2005م.

ذلك تقسيمهم الحروف حسب ما تدخل عليه، فأطلقوا على ما يشترك في الدخول عل الاسم أو الفعل معًا غير المختص، وأطلقوا على ما يلزم الدخول على أحدهما دون الآخر المختص»[1]

سنأتي إلى بيان علاقة التّضام وبالأخص التّلازم بين مختلف الظواهر النحوية لاحقا بالتّفصيل، كون المباحث القادمة تضم في ثناياها دراسة في بعض الظّواهر التي تعبّر عن ظاهرة التّضام.

5. قرينة الربط:

قرينة الربط من القرائن التي تصنع علاقة بين جزأين أو عدة أجزاء من الجملة و«هو اصطناع علاقة سياقية نحوية بين طرفين باستعمال أداة تدل على تلك العلاقة، وقد يكون الغرض من الربط أمن لَبس فَهم الارتباط بين الطرفين المربوطين، وقد يكون أمن لَبس فَهم الانفصال بينهما»[2]

يتميّز الربط «عن سائر القرائن اللّفظية بأنّه ينشئ علاقة نحوية سياقية بين مكونات الجملة، أو بين الجمل، وليس باستطاعة القرائن اللّفظية الأخرى القيام بذلك، وإنّما هي وسيلة معينة على إبراز العلاقات النحوية السياقية، ويُضاف إلى هذا أنّ الربط يحتل المكان الوسط بين علاقتين على طرفيّ نقيض، هما الارتباط والانفصال، وهو بهذا يؤدي وظيفته التركيبية المهمة في بناء الجملة والنص»[3]

ويكون الربط على أشكال عديدة أهمها:

- **إعادة اللفظ:**

«إذا كان المبتدأ بلفظه موجودا في جملة الخبر، لم تكن هناك حاجة إلى الضمير مثل قوله تعالى: ﴿**الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ**﴾ [الحاقة:01] وقوله تعالى :﴿**الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ**﴾ [القارعة:1. 2] فكلّ من الحاقة الثانية والقارعة الثانية خبر عن المبتدأ الثاني (ما)، ولا فرق في المعنى بين الأولى والثانية، ولو كان الضمير هو المستخدم بدلا من إعادة اللفظ بنفسه لقيل "الحاقة ما هي والقارعة ما هي" ومن ذلك أيضا قوله تعالى :﴿**وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ**﴾[الواقعة:27] وقوله تعالى :﴿**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ**﴾[الواقعة:41]»[4]

---

[1] جودة مبروك محمد، ظاهرة التلازم التركيبي: دراسة منهجية التفكير، ص15

[2] مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجان، القاهرة، 1997، ط1، ص143.

[3] مصطفى حميدة، المرجع نفسه، ص158

[4] محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص106.

ومن تكرار الجمل قوله تعالى: ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾[الرحمن:13]، والتكرار على هذا النحو لافت للنظر في تمييز النص إزاء نصوص أخرى، فهو يفضي إلى تكامل بين قواعد الربط وقواعد التناهي حيث توجد الجملة في مكان تؤدي به مهمتين تكون ختاما لكلام (كالتعقيب) وبداية لكلام يبتدأ به (مضمون المعنى القادم) بالإضافة إلى أنّها تساعد على تكثيف الدلالة والتلوين النّص بمعان ثانية»[1] وأكثر ما يكون ذلك في مواضع التفخيم والتهويل والتعظيم.

- **الربط بالإشارة والضمير:**

مثاله قوله تعالى:﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [الأعراف:36] ونحو قوله تعالى :﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[الإسراء:36] وقوله تعالى :﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [الأعراف: من الآية: 42]، وقوله تعالى :﴿ **وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ**﴾ [الأعراف من الآية:26] في أحد الأوجه التي تحتملها هذه الآيات.[2]

ففي الآية الأولى قد تم الربط بين الجملة الأولى في الآية (**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا**) والجملة الثانية في قوله تعالى:(أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) باسم الإشارة (أولئك) فقد أشير به إلى المقصود بأصحاب النار، وهذا ما خلق نوعا من التلاحم والتماسك بين أجزاء الجملة، ومنع من وجود التفكك الذي يسبب الغموض، وكذا بالنسبة للآيات التي بعدها، فقد تمت الإشارة بأسماء الإشارة: أولئك، ذلك، وهذا نوع من الربط.

«يكثر الربط بالإشارة في القرآن الكريم، وينبغي أن نشير إلى أنّه على الرغم من دلالة الإشارة على الحضور وإشارتها إلى مذكور سابق نرى أنّه يطرد إمكان استبدال ضمير الغائب بها في كلّ موقع تربط فيه بين عناصر الجملة ومن شواهد ذلك قوله تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (150) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا** ﴾[النساء: من الآية 150، 151] جاء الربط بالإشارة وبعدها ضمير الفصل ولولا ضمير الفصل لصح أن تضع ضمير الغيبية موضع الإشارة، وكذا في قوله تعالى :﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا**

[1] منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، ص88، 89، نقلا عن:أحمد عفيفي، نحو النص اتّجاه جديد في الدرس النحوي، ص108.
[2] محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص111.

بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾[المائدة:86]، يصلح الضمير "هم" أن يحل محل الإشارة دون أن يتغير المعنى»[1]

للربط بضمير الفصل دور في التّفريق بين التّراكيب المتشابهة إذ أنّ «وفائدة الفصل في الربط هنا أنّه يحدّد الخبر فلا يجعله يلتبس بالنعت، ولذلك سماه البصريون فصلا... ويتفق علماء العربية على أنّ الفصل –برغم صحة الكلام بدونه– يفيد التوكيد والاختصاص ...لقوله تعالى :﴿**وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾[البقرة: من الآية 254]، فإنّما جاء بالضمير ليدلّ على أنّهم لكفرهم اختصوا بمزيد الظلم الفاحش، وقوله تعالى:﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا** ﴾[الأنفال: من الآية 04] فيه دلالة على مزيد اختصاصهم بالإيمان واستحقاقهم لصفته من بين سائر الخلق فيؤخذ الاختصاص والتأكيد من هذا الضمير»[2]

فلو قلنا (الكافرون الظالمون) لأصبحت الثانية صفة للأولى، ولكن عندما حدث الربط بضمير الفصل (هم) تغير نظام الجملة وأصبحت (هم الظالمون) جملة ثانية واقعة محل الخبر، والمعلوم أنّ الإخبار يختلف عن الوصف، فهم على اتّصافهم بالظلم، إلا أنهم زادوا في اختصاصهم به بالإخبار عنهم، ويقابل ذلك حال المؤمنين الذين زاد وصفهم بالإيمان عندما أخبر عنه بذلك.

- **الربط بالأداة:**

من ذلك الربط بحرف العطف كما في قوله تعالى :﴿**انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾[الأنعام:99] «إذ يصلح "الينع" من الناحية التركيبية الصرف أن يعطف على الثمر، كما يصلح أن يعطف على ما أضيف إليه الثمر وهو ضمير الغائب، ثم تأتي القرينة من الاستعمال اللّغوي إذ يقال للثمر إنّه يانع ولا يقال ذلك للشجر، بذلك نعلم أنّ العطف على الثمر وأنّ الواو ربطت بين الثمر والينع »[3]

فرغم أنّ الربط بضمير الربط وهو حرف العطف (الواو)، إلا أنّ تحديد المعطوف عليه مرتهن بالسياق الذي ورد فيه ولهذا ذكرنا أنّه لا يمكن الاستغناء عنه في فهم النص، وهنا نجد أنّ القرينة اللّغوية المعجمية منعت من عطف (الينع) على الضمير الغائب، إلا أنّه في هذا المقام يصلح لأن يعطف على الثمر، بالنظر إلى الدلالة المعجمية للفظة (ينعه).

[1] تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص121.

[2] محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص12.

[3] تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص140.

6. قرينة الأداة :

أ. **ماهية الأداة:** اختلف أهل اللغة في تحديد معنى الأداة ومفهومها، انطلاقا من وظيفتها أو طبيعتها « فقيل إن الأدوات هي حروف المعاني وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف، وقيل: هي كلمات تستعمل للربط بين المفردات، أو للدلالة على معنى في غيرها، وقيل أنها تقتصر على حروف المعاني، أو تشمل معها الظروف، أو هي مبنى تقسيمي يؤدي معنى التعليق بين الأجزاء المختلفة من الجملة، أو هي الحروف التي تحمل معنى نحويا، والأسماء التي تحمل معنى تلك الحروف، وتكون مبنية مثلها»[1]

وأيًّا كان مفهوم الأداة عند النحاة والباحثين واختلافهم في تحديد ماهيتها فإننا سنكتفي بالاقتصار على الحروف في هذا المبحث كشاهد على هذه القرينة .

«الحروف كلّها مبنية، والحرف لا يؤدي معنى في نفسه، بل يدلّ على معنى في غيره، وذلك بعد وضعه في التركيب فمثلا حرفا الجر"من" و"إلى" ليس لهما معنى عند إفرادهما، ولكن عند وضعهما في التركيب يصبح لكلّ مهما معنى يوسم به، كما في "قوله تعالى :﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** ﴾[الإسراء من الآية: 01] فإنّ"مِن" أفادت هنا ابتداء الغاية من المكان، وهو المسجد الحرام، و"إلى" أفادت انتهاء الغاية في المكان، وهو المسجد الأقصى»[2]

فحرفا الجرّ هذان أفاد كلٌّ منهما معنى جزئيا، ولو وضعنا كلاًّ منهما في مكان الآخر من التراكيب لتغيّر معناهما بحسب القرائن المعنوية التي تتضمّنها الجملة»[3]

«يعرف الحرف بأن لا يقبل شيئا من العلامات المذكورة للاسم والفعل، وهو على ثلاثة أنواع:

- ما يدخل على الأسماء والأفعال: كهل مثال دخولها على الاسم قوله تعالى :﴿**فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ**﴾[الأنبياء من الآية: 80]، ومثال دخولها على الفعل قوله تعالى: ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ**﴾[ص: 21]
- ما يختص بالأسماء، كَفِي، في قوله تعالى:﴿ **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَاتُوعَدُونَ**﴾[الذاريات: 22].
- ما يختص بالأفعال كَلَمْ، في قوله تعالى:﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** ﴾[الإخلاص: 03]» [1]

[1] فخر الدين قباوة، التحليل النحوي (أصوله وأدلته)، ص208.

[2] يُنظر: الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل في عيون الأقاويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1407،3هـ، ج2، ص646.

[3] عباس حسن، النّحو الوافي، ج1، ص76.

هناك فروق واضحة بين الحروف والأدوات، وإن تطابقت في هيئتها وشكلها، وهذا ما يخلق اختلافا في المعنى العام للنص.

ب. الفروق بين بعض الأدوات:

– الفرق بين "إذا" الفجائية و"إذا" الشرطية:

يمكننا أن نميّز الفرق بين الأداتين واختلاف المعنى الذي تؤدي إليه كلّ واحدة في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحدَهُ ٱشمَأَزَّت قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُم يَستَبشِرُونَ**﴾[الزمر:45] قال ابن عاشور:« والمراد إذا ذكر المسلمون اسم الله اشمأز المشركون لأنهم لم يسمعوا ذكر آلهتهم وإذا ذكر المشركون أسماء أصنامهم استبشر الذين يسمعونهم من قومهم... و(إذا) الأولى و(إذا) الثانية ظرفان مضمنان معنى الشرط كما هو الغالب، و(إذا) الثالثة للمفاجأة للدلالة على أنهم يعالجهم الاستبشار حينئذ من فرط حبهم آلهتهم، ولذلك جيء بالمضارع في (يستبشرون) دون أن يقال: مستبشرون، لإفادة تجدد استبشارهم[2]».

فيمكننا أن نميّز بين (إذا) الأولى التي جاءت للشرط، و(إذا) الثانية التي جاءت للمفاجأة.

–الفرق بين "السين" و"سوف":

.قوله تعالى :﴿ **قَالَ سَوۡفَ أَستَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ** ﴾[يوسف:98] يقول ابن عاشور:« وإنما وعدهم بالاستغفار في المستقبل إذ قال سوف أستغفر لكم ربي للدلالة على أنه يلازم الاستغفار لهم في أزمنة المستقبل[3]».

قلل أبو حيان:« عدة لهم بالاستغفار بسوف، وهي أبلغ في التنفيس من السين، فعن ابن مسعود: أنه أخر الاستغفار لهم إلى السحر[4]».

ذكر الزمخشري:« سوف أستغفر لكم قيل: أخر الاستغفار إلى وقت السحر. وقيل: إلى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الإجابة. وقيل: ليتعرف حالهم في صدق التوبة وإخلاصها. وقيل :أراد الدوام على الاستغفار لهم[1]».

---

[1] جمال الدين بن يوسف(ابن هشام النحوي)، تنقيح: محمد أبو فضل عاشور،شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت (لبنان)، ط1، 1422هـ، 2001م.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص29.

[3] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص54.

[4] محمد أبو حيان النحوي، البحر المحيط، ج5 ، ص340.

.قوله تعالى:﴿**أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[التوبة من الآية: 71]

«سيرحمهم الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة، فهي تؤكد الوعد، كما تؤكد الوعيد في قولك: سأنتقم منك يوما، تعنى أنك لا تفوتني وإن تباطأ ذلك، ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا»[2]

قال ابن عاشور« والسين لتأكيد حصول الرحمة في المستقبل، فحرف الاستقبال يفيد مع المضارع ما تفيد قد مع الماضي»[3]

كما ذكر أبو حيان أنّه «ليس مدلول السين توكيد ما دخلت عليه، إنما تدل على تخليص المضارع للاستقبال فقط. ولما كانت الرحمة هنا عبارة عما يترتب على تلك الأعمال الصالحة من الثواب والعقاب في الآخرة؛ أتى بالسين التي تدل على استقبال الفعل (إن الله عزيز) غالب على كل شيء، قادر عليه، (حكيم) واضع كلا موضعه».

-الفرق بين"كم" الخبرية و"كم" الاستفهامية:

(كم) الخبرية: ويؤتى بها للإخبار عن حال معيّنة في قوله تعالى :﴿**كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾[الدخان:25] يقول ابن عطية في المحرر الوجيز: «"كم" خبر للتكثير، والجنات والعيون روي أنها كانت متصلة ضفتي النيل جميعا من رشيد إلى أسوان، وأما العيون فيحتمل أنه أراد الخلجان الخارجة من النيل فشبهها بالعيون، ويحتمل أنه كانت ثم عيون ونضبت ... فكأن المعنى: كم تركوا من موضع حسن كريم في قدره ونفعه»[4]

. في قوله تعالى :﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ**﴾ [القصص:58]يقول الزمخشري:« هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله عليهم بالرقود في ظلال الأمن وخفض العيش، فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشر والبطر، فدمرّهم الله وخرّب ديارهم»[5]

أمّا (كم) الاستفهامية: فتأتي للاستفهام كما في قوله تعالى :﴿**قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ**﴾[المؤمنون:112]، يقول ابن عاشور:« والاستفهام عن عدد سنوات المكث في الأرض مستعمل في

[1] جار الله أبو القاسم الزمخشري، الكشاف، ص530.

[2] جار الله أبو القاسم الزمخشري، المرجع نفسه، ص441.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج10، ص263.

[4] عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز، ج5، ص72.

[5] جار الله أبو القاسم الزمخشري، الكشاف، ص806.

التنبيه ليظهر لهم خطؤهم إذ كانوا يزعمون أنهم إذا دفنوا في الأرض لا يخرجون منها .

وانتصب)عدد سنين) على التمييز لـ (كم) الاستفهامية والتمييز إنما هو (سنين) وإضافة لفظ (عدد) إليه تأكيد لمضمون (كم)؛ لأن (كم) اسم استفهام عن العدد فذكر لفظ (عدد) معها تأكيد لبعض مدلولها[1]».

فـ(كم) هنا استفهامية رغم أنّ الاستفهام في هذا المقام ليس صادرا عن مستفهِم جاهل بالحقيقة، وإنّما جيء به لغرض آخر، وهو التحقير والتعجيز لمنكري البعث، فالقائل هو « الله عز وجل أو الملك المأمور بذلك تذكيرا لما لبثوا فيما سألوا الرجوع عليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله :(اخسئوا فيها)»[2]

ولذلك كان جوابهم عن هذا الاستفهام التعجيزي:« ﴿**فَسْئَلِ الْعادِّينَ**﴾ والمعنى: لا نعرف من عدد تلك السنين إلا أنا نستقله ونحسبه يوما أو بعض يوم، لما نحن فيه من العذاب، وما فينا أن نعدّها، فسل من فيه أن يعدّ، ومن يقدر أن يلقى إليه فكره. وقيل: فسل الملائكة الذين يعدّون أعمار العباد ويحصون أعمالهم[3]»

. كما في قوله تعالى :﴿ **قَالَ كَم لَبِثتَ قَالَ لَبِثتُ يَوۡمًا أَو بَعۡضَ يَوۡمٖ**﴾[البقرة من الآية: 259]، يقول أبو حيان:«و(كم) ظرف أي: كم مدة لبثت ؟ أي: لبثت ميتا وهو سؤال على سبيل التقرير»[4].

قال أبو السعود:« ليظهر له عجزه عن الإحاطة بشئونه (تعالى)؛ وأن إحياءه ليس بعد مدة يسيرة؛ ربما يتوهم أنه هين في الجملة؛ بل بعد مدة طويلة؛ وينحسم به مادة استبعاده بالمرة؛ ويطلع في تضاعيفه على أمر آخر من بدائع آثار قدرته (تعالى)؛ وهو إبقاء الغذاء؛ المتسارع إلى الفساد بالطبع؛ على ما كان عليه دهرا طويلا من غير تغير ما؛ و"كم" نصب على الظرفية؛ مميزها محذوف؛ أي: "كم وقتا لبثت؟"؛ والقائل هو الله (تعالى)؛ أو ملك مأمور بذلك من قبله (تعالى)»[5]

كما أنّه ثمة فروق بين الأدوات المتشابهة، فهناك فروق في معاني الأداة نفسها، ومن أمثلة ذلك:

–معاني "إنْ": من الأدوات التي تختلف دلالتها باختلاف السياق التي ترد، ويحدث عن ذلك تغاير وتمايز في المعنى (إن): «قد تكون حرف شرط جازم يجزم فعل الشرط وجوابه، يدّل على وقوع الجواب

[1] الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج18، ص131.

[2] أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج6، ص152.

[3] جار الله أبو القاسم الزمخشري، الكشاف، ص716.

[4] أبو حيان، البحر المحيط، ج2، ص303.

[5] أيو السعود، إرشاد العقل السليم،ج1، ص253.

وتحققه، بوقوع الشرط وتحققه، بلا دلالة على عاقل، أو غير عاقل، ومن أمثلة استعمالها قوله تعالى :﴿ **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ**﴾ [الأنفال:38]، ﴿**إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ [آل عمران:120]، وتعدّ (إنْ) رأس أدوات الشرط.

وتكون نافية: متصدرة لا يتقدّم عليها شيء وتدخل على الجملة الاسمية، كقوله تعالى :﴿**إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ**﴾ [الملك من الآية:20]، وعلى الجملة الفعلية ومنه قوله تعالى :﴿**إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ [التوبة:107] وتصاحبها(إلاّ) أو (لما) بمعنى (إلاّ) كثيرا، ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ**﴾[الطارق:4]»[1]

–معاني "لو":

لها استعمالات عديدة يمكن إجمالها فيما يأتي:

- حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط، غير عامل، فهو يدل على امتناع الجواب لا امتناع الشرط وهي قد تكون:
- امتناعية نحو قوله تعالى:﴿ **وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: من الآية:159]، وقوله أيضا:﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾[المائدة: 148]
- شرطية غير امتناعية نحو قوله تعالى:﴿ **وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾[الأنفال:23] إذ لا يصح أن يقال امتنع التّولي لامتناع الإسماع بل هم متولون على كلّ حال أسمعهم أو لم يسمعهم، وقد تأتي للتمني نحو قوله تعالى :﴿**وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا**﴾[البقرة:167].

7. التعريف والتنكير:

«ينقسم الاسم بحسب التنكير والتعريف إلى قسمين: نكرة ومعرفة:

أ.النكرة: ما يقبل أل وتؤثر فيه التعريف أو يقع موقع ما يقبل أل، ومثال الأول رجل فإنك تقول: الرجل، قال تعالى:﴿**وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى** ﴾[القصص من الآية:20]، فرجل هنا نكرة، ومثال الثاني (ذو) التي بمعنى (صاحب) نحو: جاءني ذو علم أي صاحب علم، فذو نكرة وهي لا

[1] فاضل السامرائي، معاني النحو، ج1، ص55.

تقبل(أل) لكنّها واقعة موقع صاحب وصاحب يقبل (أل) نحو: (الصاحب)، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ** ﴾ [الرعد:06]»[1]

وللتنكير أغراض عدة أهمها:

- **إرادة الواحد:** نحو قوله تعالى:﴿ **قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ** ﴾[يوسف: 59]
- **إرادة الجنس** : نحو قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[البقرة:2] وقوله تعالى:﴿**وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[البقرة من الآية:62]
- **التعظيم:** نحو قوله تعالى:﴿**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**﴾[النمل:6].
- **التهويل:** نحو قوله تعالى:﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا**﴾[البقرة:48]
- **التكثير:** نحو قوله تعالى:﴿**وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ**﴾[القلم:3] أي كثيرا غير منقطع.
- **التقليل:** نحو قوله تعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا**﴾[يونس:44].
- **التخصيص:** نحو قوله تعالى:﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا** ﴾[النساء:47] والمراد هنا بالوجوه وجوه الكفرة.
- **التحقير:** نحو قوله تعالى:﴿**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ** ﴾[البقرة:96] بمعنى أي حياة كانت حتّى لو كانت حقيرة هيّنة.
- **التّجاهل والاستهزاء:** نحو قوله تعالى:﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾[سبأ:7][2]

ب.المعرفة: غير النكرة فهي ستة أقسام: الضمير، اسم الإشارة، الاسم الموصول، العلم، المعرف بالأداة، المضاف إلى ما سبق.[3]

يقول عبد القاهر الجرجاني في قوله تعالى: ﴿ **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾[البقرة: 96]، إذا أنت راجعت نفسك وأذكيت حسّك، وجدت لهذا التّنكير إذ قيل (على حياة) ولم يقل (على الحياة)- حسنا وروعة ولطف موقع لا يُقادر قدره، وتجدك تعدم ذلك مع

[1] جميل أحمد ظفر، النحو القرآني: قواعد وشواهد، ص154.

[2] فاضل السامرائي، النحو العربي(أحكام ومعان)، ص82، 83.

[3] جميل أحمد الظفر، النحو القرآني(قواعد وشواهد)، ص154.

التعريف، وتخرج عن الأريحية والأنس إلى خلافهما، والسبب في ذلك أنّ المعنى الازدياد من الحياة، لا الحياة من أصلها، وذلك لا يحرص عليه إلاّ الحيّ، فأمّا العادم للحياة فلا يصح منه الحرص على الحياة ولا على غيرها، وإذا كان كذلك صار كأنّه قيل:(ولتجدنّهم أحرص النّاس ولو عاشوا ما عاشوا على أن يزدادوا إلى حياتهم في ماضي الوقت وراهنه حياة في الذي يستقبل، وشبيه بتنكير(الحياة) في هذه الآية تنكيرها في قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[البقرة:179]» [1]

يقول عبد الفتاح لاشين معلقا على قول عبد القاهر الجرجاني: «عبد القاهر صاحب الحس المرهف والذّوق الرّفيع يفرّق بين المعرفة والنّكرة إذا وقعتا في التّركيب، ويمعن في النّظر، ويدّقق في البحث فإذا بالنّكرة تحمل من المعاني اللّطيفة، والدّلالات غير المرئية ما يبهر السّامع ويدهش القارئ»[2]

هذا ما يستدل به في التنكير في مواضع والتعريف في مواضع أخرى، خاصة في لغة القرآن الكريم التي لا تلبث أن ترى ظاهرة إلا وتحمل من المعاني والدلائل الإعجازية ما لا نجده في غيرها من أجناس الخطابية الأخرى.

ندرك الفرق بين التنكير والتعريف في قوله تعالى حكاية عن الكافرين في الآخرة: ﴿**يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**﴾[الفجر:24] حيث:«إذ عرّفت (الحياة)، لأنّ الحياة في الآخرة هي الحياة الحقّة التي ينبغي أن يحرص النّاس عليها، وليست تلك الحياة الدنيا التي هي متاع الغرور.[3]

القاعدة في التعريف والتنكير هي: «إن كان الأول نكرة، والثاني معرفة فالثاني هو الأول حملا على العهد نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (15) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا** ﴾[المزمل: 15. 16] وقوله تعالى: ﴿**فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ**﴾[النور:35] وقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52) صِرَاطِ اللَّهِ**﴾[الشورى:52. 53]... وإن كان الأول معرفة، والثاني نكرة فلا يطلق القول، بل يتوقف على القرائن فتارة تكون قرينة على التغاير، نحو قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ** ﴾ [الروم:55]، وقوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ**

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص189.

[2] عبد الفتاح لاشين، التّراكيب النّحوية الوجه البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ، الرياض، دط، دت، ص165.

[3] عبد الفتاح لاشين، التّراكيب النّحوية الوجه البلاغية عند عبد القاهر ، ص126

السَّمَاءِ﴾[النساء من الآية: 15] وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (53) هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[غافر:53. 54]»[1]

ثانيا: القرائن النحوية المعنوية:

1. علاقة الإسناد : هي من أهم العلاقات النحوية المعنوية وذلك لأنّه لا نلبث أن نتعامل مع تركيب نحوي إلاّ وللإسناد منه نصيب سواء أكان فعليا أم اسميا، والعلاقة بين المسند والمسند إليه ضرورية وهي من يقول سيبويه عن العلاقة الضرورية بين المسند والمسند إليه: «وهما ما لا يَغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلّم منه بدّا، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا عبد الله أخوك، ومثل ذلك: يذهب عبد الله، فلا بدّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بدّ من الآخر في الابتداء»[2]

جاء في شرح الرضي على الكافية «الكلام ما تضمّن كلمتين بالإسناد ولا يتأتّى ذلك إلا في اسمين أو فعل واسم» يقول الرضي:«وجزءا الكلام يكونان ملفوظين ك(زيد قائم)، و(قام زيد)، ومقدرين ك(نعم) في جواب من قال: (أزيد قائم) أو: (أقام زيد؟) أو أحدهما مقدّرا دون الآخر وهو إما فعل كما في"إن زيد قام" أو الفاعل كما في "زيد قام" أو المبتدأ والخبر كما في قوله تعالى: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**﴾ [يوسف:83]»[3]

أ. أنواع الإسناد:

– الإسناد التام: وهو ما اشتمل على طرفي الإسناد مذكورين أو مقدرين أو مذكور أحدهما والآخر مقدّر وذلك نحو: الحق واضح، ونحو قوله تعالى: ﴿**إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ**﴾[الذاريات:25] فسلاما مفعول لإسناد تام حذف طرفاه وتقديره: نسلم أو نحوه، و(سلام) إسناد تام حذف منه المسند والتقدير:"سلام عليكم" و"قوم" إسناد تام حذف منه المسند إليه والتقدير: أنتم قوم وهو ما عليه النحاة.

– **الإسناد النّاقص:** وهو ما ذكر فيه أحد الطرفين من دون ذكر للطرف الآخر لا لفظا ولا تقديرا فقد يرد المسند إليه دون المسند ويضم إليه فضلته وذلك نحو قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ**

[1] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص1291.

[2] أبو بشر عمرو بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، الكتاب، مكتبة الخانجي، ج1، ط3، 1408هـ، 1988م، ص23.

[3] يحي بشير مصري، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، الإدارة العامة للثقافة والنشر، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ج1، ط1، 1417هـ، 1996م، ص16.

أَهْلُهَا﴾[النساء:75] فأهلها فاعل لاسم الفاعل الواقع نعتا، فهذا مسند إليه وليس له مسند، لأنّ الرافع له فضلة وليس عمدة ، فهذا إسناد ناقص، ونحو قوله تعالى: ﴿**لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ**﴾[الأنبياء:3] فقلوبهم فاعل لاسم الفاعل الواقع حالا وهو مسند إليه وليس له مسند لأنّ الرافع له فضلة وليس عمدة فهذا إسناد ناقص.[1]

2.**قرينة التخصيص**: تندرج تحتها قرائن أخرى، يقول تمام حسان:«وإنّما سميت هذه القرينة الكبرى قرينة التّخصيص لما لاحظته من أنّ كلّ ما تفرع عنها من القرائن قيود على علاقة الإسناد بمعنى أنّ هذه القرائن المعنوية المتفرعة عن التّخصيص يعبّر كلّ منها عن وجهة خاصة في فهم معنى الحدث الذي يشير إليه الفعل أو الصفة»[2]، وأهم قرائن التخصيص، ما يلي:

أ.**قرينة التعدية**:

تعد قرينة التعدية تخصيصا لعلاقة الإسناد بين الفعل المتعدي ومفعوله، والمفعول به هو «اسم دل على ما وقع عليه فعل الفاعل ولم تغير لأجله صورة الفعل، ويأتي اسما ظاهرا كما في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** ﴾[الشرح]، فقد جاءت في هذه الآيات أربعة مفعولات كلها أسماء ظاهرة وهي صدرك ووزرك وظهرك وذكرك، ويأتي المفعول به ضمير المخاطبين في قوله تعالى: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**﴾[التكاثر:1] فإنّ ضمير المخاطبين في قوله (ألهاكم) في محل نصب مفعول به لألهى والتكاثر فاعله، ويأتي ضميرا منفصلا متأخرا عن عامله كما في قوله تعالى:﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ [الإسراء من الآية: 23] أو متقدّما عليه كما في قوله تعالى:﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ [الفاتحة الآية:05]»[3]

.أمّا في قوله تعالى:﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا** ﴾ فينتصب فيه يومًا على أنّه مفعول به لا على الظرفية، إذ المراد هو طلب التّأهب ليوم القيامة بالعمل الصالح، وليس المراد هو حصول التّقوى في ذلك اليوم، ومثل ذلك كثير في الآيات الكريمة»[4]

[1] يُنظر: فاضل السامرائي، الجملة العربية (تأليفها وأقسامها)، دار الفكر، الأردن، ط2، 1427هـ، 2007م، ص26

[2] تمام حسان، اللّغة العربية : معناها ومبناها، ص195.

[3] جميل أحمد ظفر، النحو القرآني: قواعد وشواهد، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1418هـ، 1998م، مكة المكرمة، ط2، ص277.

[4] فخر الدين قباوة، التحليل النحوي: أصوله وأدلته، الشركة العالمية للنشر، مصر، ط1، 2006م ص172.

.ونحوه قوله تعالى:﴿**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[مريم:39]، فيوم الحسرة وهو يوم القيامة ليس ظرفا، لأنّ الإنذار ليس في يوم القيامة، وإنّما هو قبل يوم القيامة، فلا يكون ظرفا له بل هو مفعولا به، ونحوه لو قلت (أخاف يوم القيامة) فهو مفعول به لا ظرف، لأنّ الخوف ليس واقعا يوم القيامة بل قبله.

ب.قرينة الغائية: وهي القرينة التي تخصص المفعول لأجله، أي الغاية التي لأجلها وقع فعل الفاعل«والمفعول لأجله هو المصدر المفهم علة المشارك لعامله في الوقت والفاعل، ومن شواهده قوله تعالى عن المنافقين: ﴿**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آَذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ** ﴾[البقرة:19] فلفظ(حذر) في الآية مصدر مفيد للتعليل، متحد مع عامله في الزمن والفاعل، ولهذا انتصب على أنّه مفعول لأجله »[1]

«والمفعول له يجب أن تتوفر فيه أربعة شروط وقيل خمسة:

-أن يكون مصدرا.

-أن يكون مذكورا للتعليل.

-أن يشارك الحدث في الزمن، نحو قوله تعالى :﴿**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آَذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ**﴾[البقرة:19]، فزمن جعل الأصابع هو زمن الحذر، ولا يصح أن تقول: خرجت اليوم مخاصمة خالد غدا.

- أن يشاركه في الفاعل أي يكون فاعل الحدث والمصدر واحدًا، نحو(قتله عدوانا) ففاعل القتل والعدوان واحد، ولا يصح أن تقول:(جاء خالد إكرام محمد له) لأن فاعلي المجيء والإكرام مختلفان.

- أن يكون قلبيا فلا يصح أن تقول: (جئت قتلا للكافر) لأن القتل ليس قلبيا.»[2]

. مثال ذلك قوله تعالى :﴿**يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا** ﴾[السجدة من الآية:16] قال الزجاج:« ومعنى "خوفا وطمعا": خوفا من عذاب الله، وطمعا في رحمة الله، وانتصاب "خوفا وطمعا"، لأنه مفعول له، كما تقول: "فعلت ذلك حذار الشر"، أي: لحذار الشر، وحقيقته أنه في موضع المصدر، لأن "يدعون ربهم"،

[1] جميل أحمد ظفر، النحو القرآني(قواعد وشواهد)، ص312

[2] فاضل السامرائي، معاني النحو، ج2 ص224، 225

في هذا الموضع يدل على أنهم يخافون عذابه، ويرجون رحمته، فهو في تأويل "يخافون خوفا ويطمعون طمعا"»[1]

قال الفراء في قوله تعالى:﴿**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ**﴾ [البقرة من الآية:19] «فنصب "حَذَرَ" على غير وقوعٍ من الفعل عليه؛ لم ترد يجعلونها حذرا، إنما هو كقولك: أعطيتك خَوْفاً وفَرَقاً. فأنت لا تعطيه الخوف، وإنما تعطيه من أجل الخوف؛ فنصبه على التفسير ليس بالفعل، كقوله جل وعز :﴿**يَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَبا**﴾ وكقوله :﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً**﴾»[2]

.ونحو ذلك قوله تعالى:﴿ **وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ**﴾[البقرة من الآية:213] قال الزجاج: «وقوله :﴿ **بَغْيًا بَيْنَهُمْ** ﴾، نصب "بغيا"، على معنى مفعول له، المعنى: لم يوقعوا الاختلاف إلا للبغي، لأنهم عالمون حقيقة أمره في كتبهم[3]».

ج. **قرينة المعية:** تأتي مخصصة لعموم الحدث أو ما في معناه، لبيان جهة معيّنة هي المعية والمصاحبة، « وهو فضلة بعد واو أريد بها التّنصيص على المعيّة مسبوقة بفعل أو ما فيه حروفه ومعناه، كَ" سرت والنيل" و"أنا سائر والنيل"»[4]

وهي تختلف عن العطف والملابسة الحالية وترد مع المفعول معه والمضارع المنصوب بعد واو المعية، ومن أمثلة المضارع "لا تأكل السمك وتشرب اللبن"[5].

حيث:« يبنى باب المفعول معه على معنى الواو التي تسبق ما سماه النحاة منذ سيبويه مفعولا معه، ويأتي نصب المفعول من سَبْقِه بفعلٍ تتوسط بينه وبين المفعول معه "واو" تحولت عن معنى العطف إلى معنى المعية، فهي واو بمعنى "مع" لا تفيد العطف لأنّها لا تشرك المفعول معه مع ما قبله في الحكم إلاّ أنّها توصل عمل الفعل إلى المفعول معه المنصوب، هذا ما نفهمه من سيبويه ومن تبعه من النحاة...»[6]

---

[1] إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط1، 1408هـ، 1988م، ج4، ص207.

[2] يحي بن زياد أبو زكريا الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت(لبنان)، ط3، 1403هـ، 1983م، ج1، ص17.

[3] إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج4، ص284.

[4] جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، تصحيح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت(لبنان)، 1429هـ، 2008م، ص312.

[5] يُنظر: تمام حسان، اللّغة العربية معناها ومبناها، ص196

[6] محمد أحمد الخضير، الإعراب والمعنى، ص58.

من الشواهد القرآنية لقرينة المعية والفرق بينها وبين العطف:

.قوله تعالى:﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ** ﴾[يونس: 71] والشاهد في قوله (وشركاؤكم) فإنّه يحتمل أن تكون الواو واو المعية وشركاء مفعولا معه منصوباً والتقدير شركاؤكم.

يحتمل أن تكون الواو للعطف وشركاء معطوفا على أمركم والتّقدير: وأمر شركاؤكم فأقام المضاف إليه مقام المضاف، ويحتمل أن تكون الواو للعطف وشركاء مفعولا به، لفعل تقديره محذوف تقديره: (وأجمعوا شركاؤكم بهمزة الوصل من جمع يجمع، أو ادعوا شركاؤكم والجملة معطوفة على ما قبلها.

.كما في قوله تعالى:﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ** ﴾ [الحشر:9] والشاهد في (والإيمان) حيث يحتمل أن تكون الواو للمعية والإيمان مفعولا معه والتّقدير: تبوؤوا الدّار مع الإيمان.

فيحتمل أن تكون الواو للعطف بتضمين تبوؤوا معنى لزموا، واللزوم مشترك في الدار والإيمان ويحتمل أن تكون الواو عاطفة والإيمان مفعولا به لفعل محذوف تقديره: واعتقدوا الإيمان أي أخلصوا فيه، والجملة معطوفة على التي قبلها».[1]

د.**قرينة الظرفية:** عرف ابن جني الظرف بوضوح حين قال: «كل اسم من أسماء الزمان أو المكان يراد فيه معنى (في) وليست في لفظه- كقولك: قمت اليوم، وجلست مكانك، فإن ظهرت (في) في اللفظ كان ما بعدها اسما صريحا، وصار التّضمن لِفي، تقول: سرت في يوم الجمعة وجلست في الكوفة» [2]

يقول فاضل السامرائي: «فإن لم يتضمن معنى"في" فلا يسميه النحاة ظرفا كما إذا جعل اسم الزمان أو المكان مبتدأً أو خبراً نحو (يوم الجمعة يوم مبارك) فإنّه لا يسمى ظرفا والحالة هذه، ونحو قوله تعالى:﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا** ﴾ [البقرة:48] ف"يوما" ليس ظرفا، لأنّ الاتّقاء ليس واقعا فيه، بل هو قبله، فكيف يكون ظرفا للاتّقاء وهو لم يقع فيه؟

. نحو قوله تعالى: ﴿**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [مريم:39]، فيوم الحسرة وهو يوم القيامة ليس ظرفا، لأنّ الإنذار ليس في يوم القيامة، وإنّما هو قبل يوم

[1] جميل أحد الظفر، النحو القرآني(قواعد وشواهد)، ص327.

[2] أبو الفتح عثمان بن جني، اللّمع في العربية، ص138.

القيامة، فلا يكون ظرفا له بل هو مفعولا به، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**﴾[الإنسان:10]، وقوله:﴿**لِتُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ**﴾[غافر:15]»[1]

. نحو قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[الأنبياء:20] وقوله تعالى: ﴿**فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ** ﴾[فصلت:38] فالأولى معناها يسبحون الأبد لا ينقطعون ولا يفترون، والثانية معناها أنّهم يسبّحون في هذين الوقتين»[2].

. في قوله تعالى:﴿**وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾[سبأ: 33] يقول الفراء:« وقوله :﴿ **بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ** ﴾ المكر ليس لليل ولا للنهار، إنما المعنى: بل مكركم بالليل والنهار ، وقد يجوز أن نضيف الفعل إلى الليل والنهار، ويكونا كالفاعلين، لأن العرب تقول: نهارك صائم، وليلك نائم، ثم تضيف الفعل إلى الليل والنهار، وهو فى المعنى للآدميين، كما تقول :نام ليلك، وعزم الأمر، إنما عزمه القوم. فهذا مما يعرف معناه فتتسع به العرب[3]».

الحقيقة أنّ الليل والنهار لا يمكران بأحد وإنّما يمكر فيهما، وهذا من سعة اللغة العربية في التعبير.

و.قرينة التحديد: وتدل هذه القرينة على معنى المفعول المطلق «والمفعول المطلق يكون من لفظ الفعل ومعناه من مثل﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** ﴾[النساء من الآية: 164]، أو من معناه دون لفظه، فيختلف اختلافا يسيرا عن لفظ الفعل، كأن يأتي المصدر غير مطابق في (بنائه) لمصدر الفعل العامل من مثل ﴿**وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا** ﴾ [نوح:17]، فمصدر (أنبت) هو (إنباتا) فيكون المصدر بذلك من معنى الفعل وإن اختلف اللفظ»[4]

. في قوله تعالى:﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** ﴾[النساء:164]، يقول أبو حيان:« هذا إخبار بأن الله شرف موسى بكلامه، وأكد بالمصدر دلالة على وقوع الفعل على حقيقته لا على مجازه، هذا هو الغالب ، وقد جاء التأكيد بالمصدر في المجاز إلا أنه قليل[5]».

[1] فاضل السامرائي، النحو العربي (أحكام ومعان)، ص476

[2] فاضل السامرائي، المرجع نفسه، ص479.

[3] يحي أبو زكريا الفراء، معاني القرآن، ج2، ص363.

[4] محمد أحمد خضير، الإعراب والمعنى في القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، دط، 2001م، ص47.

[5] محمد أبو حيان النحوي، البحر المحيط، ج3، ص414.

وربما اختلف العامل، في لفظه كلية عن المصدر إلاّ أنّه يكون قريبا من معناه، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا** ﴾[النحل من الآية: 92] قال النحاس إنّ: « (أنكاثا) منصوب لأنّه في معنى المصدر لأنّ معنى(نكثت) نقضت»

.ومثله قوله تعالى: ﴿**تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا** ﴾[يوسف:47]، حيث جعل (دأبا) مصدرا لأن معنى تزرعون تدأبون كما ورد عند النحاس.

ويأتي المفعول المطلق على أنواع:

–المؤكد لعامله: نحو(أكلت أكلا) وقوله تعالى:﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا**﴾[الإنسان:23].

–المبين للنوع: نحو(ضحكت ضحكة زيد) وقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**﴾[الأحزاب من الآية: 33]، وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا**﴾[التحريم من الآية:8].

–المبين للعدد: أي عدد مرات حدوث الفعل سواء كان العدد معلوما أم مبهما، فالأول نحو(ضربته ضربتين)، والثاني نحو(ضربته ضربات). [1]

ومثاله قوله تعالى:﴿**وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً** ﴾[الحاقة: 14]، فدكة مفعول مطلق مبين للعدد ولفظ (واحدة) صفة له لتأكيد المرة.[2]

ز.قرينة الملابسة: وهي قرينة مخصصة للحال والحال هو «وصف فَضلة يقع في جواب كيف، ك"ضربت اللصّ مكتوفاً"، وهو عبارة عمّا اجتمعت فيه ثلاثة شروط:

أحدهما: أن يكون وصفا.

والثاني: أن يكون فَضلة.

والثالث: أن يكون صالحا للوقوع في جواب كيف، وذلك نحو:"ضربت اللّص مكتوفا"، فإن قلت: يرد على ذكر لوصف نحو قوله تعالى: ﴿**فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ**﴾[النساء من الآية: 7]، فإنّ(ثبات) حال وليس بوصف، وعلى ذكر الفَضلة نحو قوله تعالى:﴿**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا**﴾[الإسراء:38]، وقول الشاعر:

ليس من مات فاستراح بمَيْتٍ إنّما المَيْتُ مَيِّتُ الأحْيَاءِ

[1] ينظر: النحو أحكام ومعان، فاضل السامرائي، ص450

[2] جميل أحمد ظفر، النحو القرآني (قواعد وشواهد)، ص304.

إنّما المَيْتُ مَنْ يَعيشُ كَئِيبًـــا كَاسِفًا بالُهُ قَليلَ الرَّجَاءِ

فإنّه لو أسقط (مرحاً) و(كئيبا) فسد المعنى، فيبطل كون الحال فَضلة، وعلى ذكر الوقوع في جواب كيف، نحو قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾[البقرة:60]، قلت:(ثُبات) في معنى متفرقين، فهو وصف تقديرا، والمراد بالفضية ما يقع بعد تمام الجملة، لا ما يصحّ الاستغناء عنه...»[1]

و«يشترط فيه أن يكون "مذكورا لبيان الهيئة"، وبعبارة أخرى "أن يكون مفهما في حال كذا"، وهذا الشرط الدلالي يميّزه عن النعت المنصوب المنكر مثل"رأيت رجلا راكبا" فإنّ النعت هنا مسوق لتقييد المنعوت به، وهو لم "يفهم "في حال كذا" بطريق القصد وإنّما أفهمه بطريق اللّزوم، لأنّ المقصود بالذات التقييد بالنعت، وإن لزم منه بيان الهيئة بالعرض، ويميّزه أيضا عن التّمييز، وبخاصة إذا كان التّمييز وصفا مشتقا مثل" لله درّه فارسا" لأنّ التمييز لبيان جنس المتعجب منه وهو الفروسية»[2]

.في قوله تعالى :﴿**إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ** ﴾[غافر من الآية: 18] قال الزجاج: «نصب "كاظمين"، على الحال، والحال محمولة على المعنى: "لأن القلوب لا يقال لها: "كاظمة "، وإنما الكاظمون أصحاب القلوب، والمعنى: "إذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كظمهم»[3]

. كما في قوله تعالى:﴿**وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً**﴾[الأحقاف من الآية:12]

. ونحو قوله تعالى :﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا** ﴾[آل عمران من الآية: 191]، قال الزجاج: «ومضطجعين، وصلح في اللغة أن يعطف بـ "على"، على "قياما وقعودا"، لأن معناه ينبئ عن حال من أحوال تصرف الإنسان، تقول: "أنا أسير إلى زيد ماشيا وعلى الخيل "، المعنى: "ماشيا وراكبا"، فهؤلاء المستدلون على حقيقة توحيد الله يذكرون الله في سائر هذه الأحوال، وقد قال بعضهم: "يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم، أي: يصلون على جميع هذه الأحوال، على قدر إمكانهم في صحتهم، وسقمهم، وحقيقته عندي – والله أعلم – أنهم موحدون الله في كل حال»[4]

ح.قرينة التفسير: تخصص التمييز وقد:«تعدّدت المصطلحات الدّالة على التّمييز عند النحاة ومعربي القرآن، فقد سمي أيضا التفسير والبيان، والتبيين، وارتبطت هذه المصطلحات بمعنى التمييز، كما ارتبط

[1] جمال الدين بن هشام الأنصاري، ضبطه: يوسف الشيخ محمد البقاعي، شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى، ص317، 318.

[2] محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص127.

[3] إبراهيم بن سري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج4، 369.

[4] إبراهيم بن سري الزجاج، المرجع نفسه، ج1، ص498.

التمييز عند النحاة بالإبهام الذي "يدل عندهم على أنّ الجملة تامة من ناحية التّركيب النحوي ولكنّها غامضة من ناحية المعنى»[1]

فالتمييز « هو ما اجتمع فيه خمسة أمور: أحدها: أن يكون اسما، الثاني: أن يكون فَضلة، والثالث: أن يكون نكرة، والرّابع: أن يكون جامدا، والخامس: أن يكون مفسّرا لما انبهم من الذوات، فهو موافق للحال في الأمور الثلاثة الأولى، ومخالف في الأمرين الأخيرين، لأنّ الحال مشتق مبين للهيئات، والتمييز جامد مبين للذوات»[2]

يشترط فيه أن يكون بمعنى (من) والمراد من كونه بمعنى (من) أنّه يفيد معناها لا أنّها مقدّرة في نظم الكلام إذ قد لا يصلح لتقديرها"...ويدلّل الرضي على أنّ هذا تمييز فيقول:"والدليل على أنّه تمييز قولك: هو أشجع النّاس من رجل، قال تعالى :﴿ **فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا** ﴾[يوسف من الآية: 64] انتصب "حافظا" على التمييز، أي خير من حافظ فهو والجرّ سواء نحو خير حافظ، وخير حافظًا، فهو حافظ في الوجهين" وبذلك يفترق التمييز عن الحال لأنّ الحال"بمعنى في حال كذا" »[3]

قوله تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا** ﴾[آل عمران من الآية: 91] ذكر الفراء في تفسيرها :« نصبت الذهب لأنه مفسِّر لا يأتي مثله إلا نكرة، فخرج نصبه كنصب قولك: عند ي عشرون درهما، و لك خيرهما كبشا. ومثله قوله :﴿**أَوْ عَدْلُ ذلك صِيَاماً** ﴾ وإنما ينصب على خروجه من المقدار الذ ي تراه قد ذكر قبله، مثل ملء الأرض، أو عَدْل ذلك، فالعَدْل مقدار معروف، وملء الأرض مقدار معروف، فانصب ما أتاك على هذا المثال ما أضيف إلى ش يء له قدر؛ كقولك: عند ي قدر قَفِيز دقيقا، وقدر حَمْلةٍ تبْنا، وقدر رطلين عسلا، فهذه مقادير معروفة يخرج الذ ي بعدها مفسِّرا؛ لأنك ترى التفسير خارجا من الوصف يدلّ على جنس المقدار من أي شيء هو؛ كما أنك إذا قلت: عندي عشرون فقد أخبرت عن عدد مجهول قد تمّ خبره، وجهُل جنسُه وبقى تفسيره، فصار هذا مفسِّرا عنه، فلذلك نُصِب»[4]وهذا من تمييز المفرد.

---

[1] محمد أحمد خضير،الإعراب والمعنى، ص60

[2] جمال الدين بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، ص322.

[3] محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة ص126.

[4] يحي أبو زكريا الفراء، معاني القرآن، ج1، ص225.

.ونحو قوله تعالى:﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾[مريم من الآية:04]

.وقوله تعالى:﴿**وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا** ﴾[الجن:28]، وقوله تعالى:﴿**وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**﴾[القمر:12].

إنّ فهم التمييز يعيننا على التّفريق بينه وبين الحال باعتبار أنّ كليهما يحمل علامة النصب، وتُفهم طبيعة القرينة المخصصة سواء كانت للملابسة أو للتفسير انطلاقا من السياق التي ترد فيه، والحقل المعجمي الذي تنتمي إليه تلك العناصر النّحوية.

ط.الإخراج: وتخصص الاستثناء وهو «صرف اللّفظ عن عمومه بإخراج المستثنى من أن يتناوله الأول، وحقيقته تخصيص صفة عامة، فكل استثناء تخصيص، وليس كل تخصيص استثناء، فإذا قلت: قام القوم إلاّ زيد، تبيّن بقولك: إلاّ زيدا أنّه لم يكن داخلاً تحت الصدر، وإنّما ذكرت الكل وأنت تريد بعض مدلوله مجازا، وهذا معنى قول النحويين: الاستثناء إخراج بعض من كلّ، أي إخراجه من أن يتناوله الصدر ف"إلاّ" تخرج الثاني مما دخل في الأول، فهي شبه حرف النفي، فقولنا:"قام القوم إلاّ زيدًا بمنزلة قام القوم لا زيدٌ، إلاّ أنّ الفرق بين الاستثناء والعطف أنّ الاستثناء لا يكون إلاّ بعضا من كلّ، والمعطوف يكون غير الأول، ويجوز أن يعطف على واحد نحو قولك: قام زيد لا عمرو، ولا يجوز في الاستثناء أن تقول: قام زيد إلاّ عمراً...»[1]

وأدوات الاستثناء ثمان وهي أربعة أقسام:

1. حرف وهو "إلاّ".
2. اسم فقط وهو غير وسوى.
3. فعل فقط وهو ليس ولا يكون.
4. مشترك بين الفعلية والحرفية وهو خلا وعدا وحاشا.

فالنحاة قد راعوا العلاقة المعنوية بين المستثنى منه والمستثنى، فإن كان المستثنى بعض المستثنى منه سمي الاستثناء متصلا، وإن لم يكن كذلك فهو الاستثناء المنقطع.

[1] ابن يعيش، المفصل، 75،76/2 نقلا عن: بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، ص172.

من أمثلة المستثنى المتصل الموجب قوله تعالى: ﴿**فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فشربوا منه إلا قليلا منهم**﴾[البقرة من الآية: 249]، فالكلام هنا تام موجب، والمستثنى منه واو الجماعة والمستثنى(قليلا) وقد جاء منصوبا فيعرب مستثنى بإلاّ، وهذه هي قراءة السبعة.

أما المنقطع الموجب فنحو قوله تعالى:﴿**فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾[ص:73] وقد اختلف العلماء في نوع الاستثناء في الآية فقيل هو متصل وهو قول الجمهور وابن مسعود وابن عباس وابن المسيب وقتادة ورجحه الطبري فعلى هذا يكون ملكا ثم أبلَسَ، وغُضب عليهم، ولُعنأ فصار شيطاناً.

وقيل الاستثناء منقطع وأنّ إبليس أبو الجن كما أنّ آدم أبو البشر ولم يكن ملكًا وهو قول أبي زيد والحسن ورواية عن ابن عباس وابن مسعود وممّا يدل على أنّ إبليس ليس من الملائكة ما استدل به في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**﴾[الكهف: 50]»[1]

.نحو قوله تعالى :﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[البقرة:160]، قال الزجاج:«"الذين" في موضع نصب على الاستثناء، والمعنى أنّ من تاب بعد هذا، وتبين منهم أن ما أتى به النبي ﷺ حق، قبل الله توبته، فأعلم الله – عز وجل :-أنه يقبل التوبة، ويرحم، ويغفر الذنب الذي لا غاية بعده»[2].

ومن الاستثناء ب(غير) قوله تعالى :﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾[الفاتحة:7]، فأُخرج المغضوب عليهم والضالين من جملة المنعم عليهم.

ي.المخالفة: ومن ظواهر المخالفة الاختصاص وهو «اسم ظاهر معرّف ب (أل) أو (أي) أو بالإضافة يذكر بعد ضمير المتكلم غالبا لبيان المقصود منه».[3]

في تعريف آخر هو «نصب الاسم بفعل محذوف وجوبا تقديره"أخص" أو "أعني" ولا يكون هذا الاسم إلاّ بعد ضمير لبيان المراد منه، وقصر الحكم الذي للضمير عليه، ونحو: "نحن- العرب- نكرم الضيف » ويسمى الاسم المختص»[1]

[1] جميل أحمد الظفر، النحو القرآني قواعد وشواهد، ص329

[2] إبراهيم بن السري أبو الزجاج، معاني القرآن وإعرابه،1، ص235.

[3] محمد فاضل السّامرائي، النحو العربي أحكام ومعان، ص425.

هناك بعض الفروق التي يمكن أن نميّزها بين الاسم المختص والمنادى هو «أنّ الاسم المنصوب على الاختصاص، لا يكون نكرة ولا اسم إشارة ولا ضميرا ولا موصولا، بخلاف المنادى، فإنّه يكون نكرة ومعرفة، مبهما وغير مبهم...ثم إنّ الاختصاص لا يقع في أول الكلام بل في أثنائه وذلك أن الغرض منه توضيح الضمير المتقدم، أما النداء فإنّه يقع أولا ومتوسطا وآخرا، ولابدّ أن يقدم على المختص ذكر له، وهو ضميره المتقدم بخلاف النّداء، الأصل في النداء أن يكون للمخاطب، والأصل في الاختصاص أن يكون للمتكلم...»[2]

ورد الاختصاص في كتاب الله كما في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ** ﴾[هود:73] فلفظ (أهل) بالنصب منصوب على الاختصاص بفعل محذوف وجوبا تقديره (أخص)، وقاله أبو حيان:« وأهل منصوب على النداء أو على الاختصاص»[3]

.في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[الأحزاب:33]، فأهل البيت منصوب على الاختصاص، والمعنى، (أخص أهل البيت).

.ونحوه قوله تعالى: ﴿**لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلّ** ﴾[المنافقون:8]، في قراءة (الأعز) بالفتح في بعض القراءات، قال أبو حيان:« وقرأ الحسن فيما ذكر أبو عمرو الداني: "لنخرجن" بنون الجماعة مفتوحة وضم الراء، ونصب الأعز على الاختصاص، كما قال: نحن العرب أقرى الناس للضيف»[4]

«وقرينة المخالفة يمكن استخدامها في عدد آخر من أبواب النحو فتكون مثلا هي التفسير لما يرد من تعدد حركة المضارع في نحو"لا تأكل السمك وتشرب اللبن" وكذلك حركة، وكذلك حركة المستثنى المنقطع في "ما قام إلا حمارا"، ونصب الاسم بعد ما أفعل في التعجب وبعد الصفة المشبهة... وكذلك المنصوبات التي يتغير المعنى برفعها نحو "وعد الله حقا" و"سقيا لك" ... وكذلك نصب تمييز "كم" الاستفهامية وعدم الاستثناء أو العطف بلا بعدها في مقابل ما يرد من ذلك مع "كم" الخبرية»[5]

---

[1] مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس العربية، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار التوقيفية للتراث، القاهرة، دط، دت، ج2، ص392.

[2] فاضل السامرائي، معاني النحو، ص105.

[3] محمد أبو حيان، البحر المحيط، ج5، ص245.

[4] أبو حيان، البحر المحيط، ج8، ص270.

[5] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص200. 201.

3.قرينة النسبة: وهي أيضا قرينة كبرى تندرج تحتها قرائن فرعية وهي معاني حروف الجر، ومعها معنى الإضافة، والنسبة في حروف الجر، لها العديد من المعاني المتعددة كابتداء الغاية والبعضية والتعليل والمعية والظرفية والملكية.

أ.معاني حروف الجر: «إنّ للحرف خاصية دلالية، هي تميّزه أيضا بمعنى نحوي يعيّنه التركيب، في حين أنّ قسيميه لكل منهما معنيان معجمي ونحوي قبل التّركيب....أما الحرف فليس له معنى معجمي، لأنّ ما يتضمّنه من الدلالة إنّما يحدّده التركيب، نعم إنّ الحرف كما قال أبو علي الفارسي، ذو دلالة معنوية ظاهرة، فالإلصاق والتّعليل اللذان يدلّ عليهما باء الجر ولامه قد يتوهمان منفردين عن الأسماء، غير أنّ هذه الدلالة غالبا ما تبقى ذات توجهات مختلفة محتملة، حتّى ينتظم الحرف في عبارة تجرده لمقصد معيّن، وتزيل ذلك الاحتمال»[1]

فالحرف لا تظهر دلالته إلا بعض وضعه في تركيب معيّن، فينتظم عمله ودوره داخل هذا التّركيب، وبالتالي فقد يحمل الحرف معان متعددة، وينطبق ذلك على حروف الجر.

ومن معاني بعض حروف الجرّ نذكر ما يلي:

من معاني "إلى":

- انتهاء الغاية مطلقا زمانا أو مكانا: كما في قوله تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**﴾[البقرة:187]
- بمعنى "في" أي الظرفية، كما في قوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ**﴾[النساء من الآية:87] أي ليجمعنكم في يوم القيامة.
- بمعنى"مع" أي المعية، كما في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ**﴾ [آل عمران من الآية:52].[2]

[1] فخر الدين قباوة، التحليل النحوي: أصوله وأدلته، ص210. 211.

[2] جميل أحمد الظفر،النحو القرآني (قواعد وشواهد)، ص399.

من معاني "الباء":

- **الإلصاق:** وهو تعلّق أحم المعنيين بالآخر،كما في قوله تعالى: ﴿**وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ**﴾[المائدة من الآية:6] أي الصقوا المسح برؤوسكم.
- **السببية:** وهي التي تدخل على سبب الفعل كما في قوله تعالى: ﴿**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ**﴾ [العنكبوت:40] أي بسبب ذنبه.
- **الظرفية:** وتكون زمانية ومكانية، فالزمانية نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ**﴾[القمر:34] أي في وقت السحر، والمكانية نحو قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [آل عمران:123] أي في بدر.[1]

من معاني "على":

- **الاستعلاء:** حسا كما في قوله تعالى: ﴿**وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ**﴾[المؤمنون:22]، أو معنى كما في قوله تعالى:﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[البقرة:253].
- **المصاحبة:** كما في قوله تعالى: ﴿ **وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ**﴾[البقرة:177]، أي مع حبه لهم، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ**﴾[الرعد من الآية:6]، أي مع ظلمهم أنفسهم باكتساب الذنوب.
- **التعليل:** كما في قوله تعالى: ﴿**وَلِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ**﴾[البقرة من الآية: 185]، أي لهدايته لكم.

من معاني" من":

- **التبعيض:** وهي التي يسد لفظ "بعض" مسدها، كما في قوله تعالى: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾[آل عمران من الآية: 92]، أي من بعض ما تحبون، وهنا يأتي الفرق بينها وبين "من" التي تأتي بمعنى: بيان الجنس، كما في قوله تعالى: تعالى:﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**﴾[الحج: من الآية:30]

يقول ابن عطية: «الكلام يحتمل معنيين: أحدهما أن تكون "من" لبيان الجنس فيقع نهيه عن رجس الأوثان فقط، وتبقى سائر الأرجاس نهيها في غير هذا الموضع، والمعنى الثاني أن تكون "من" لابتداء الغاية،

[1] يُنظر: جميل أحمد الظفر، النحو القرآني (قواعد وشواهد)، ، ص402.

فكأنه نهاهم عن الرجس عاما ثم عين لهم مبدأه الذي منه يلحقهم؛ إذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس، ويظهر أن الإشارة إلى الذبائح التي كانت للأوثان، فيكون هذا مما يتلى عليهم، ومن قال: إن "من" للتبعيض قلب معنى الآية وأفسده»[1]

قال أبو حيان:« و(من) في ﴿ **مِنَ الْأَوْثَانِ** ﴾ لبيان الجنس، ويقدر بالموصول عندهم أي الرجس الذي هو الأوثان، ومن أنكر أن تكون (من) لبيان الجنس جعل (من) لابتداء الغاية فكأنه نهاهم عن الرجس عاما ثم عين لهم مبدأه الذي منه يلحقهم إذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس، وعلى القول الأول يكون النهي عن سائر الأرجاس من موضع غير هذا»[2]

ب.معنى الإضافة: من القرائن التي تندرج تحت قرينة النسبة هي نعنى الإضافة، و«الإضافة هي علم الجر، فلا يكون الاسم مجرورا إلا بالإضافة، وتكون بحرف الجر أو بمعناه، وتنقسم إلى إضافة محضة (أو معنوية)، وإضافة غير محضة (أو لفظية) وهي إضافة المشتقات إلى معمولاتها»[3]

فلا يمكننا تصور مفهوم الإضافة إلا ومعه اسم مجرور، فالجر هنا نتيجة حتمية لاقتران اسمين أحدهما المضاف، والثاني الاسم المجرور الذي أضيف إليه الأول وهو المضاف إليه، والعلاقة بينهما هي علاقة ضرورية يتم إدراجها تحت التّلازم والتّضام.

والإضافة «تتنوع بتنوع دلالتها، فقد تكون معنوية إذا أفادت التعريف أو التخصيص، وقد تكون لفظية إذا لم تفد تعريفا ولا تخصيصا، والإضافة المعنوية قد تكون على معنى"من" وهي التي يكون المضاف فيها بعض المضاف إليه، ويكون المضاف إليه صالحا للإخبار به عن المضاف، مثل: "خاتم فضة"، و"سوار ذهب"، و"ثوب حرير" أو على معنى (اللام) مثل"كتاب محمد" و"دار علي" و"ثوب خالد"، أو على معنى (في) وهي التي يكون المضاف إليه فيها ظرفا للمضاف مثل قوله تعالى: ﴿ **بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ** ﴾[سبأ من الآية:33] وقوله تعالى: ﴿ **تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ** ﴾ [البقرة من الآية: 226]، وقوله تعالى: ﴿ **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ**﴾ [يوسف من الآية:39].[4]

[1] عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز،ج4، ص120.

[2] محمد أبو حيان النحوي، البحر المحيط، ج6، ص340.

[3] فاضل السامرائي، الإعراب والمعنى، ص85.

[4] محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص127.

«وضابط الإضافة التي بمعنى (من) أن يكون المضاف بعضا من المضاف إليه وصالحا للإخبار به عنه، كما في قوله تعالى عن أهل الجنة﴿**عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ**﴾[الإنسان:21] والتقدير ثياب من سندس، والسندس ما رقّ من الديباج، والاستبرق ما غلظ منه.

.قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا**﴾[لقمان من الآية:6]، والتقدير: لهوا من الحديث لأنّ اللّهو قد يكون من الحديث وغيره.

وضابط الإضافة التي بمعنى (اللام) انتفاء كونها بمعنى (في) أو (من) كما في قوله تعالى: ﴿ **وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ** ﴾ [النساء من الآية: 127]، والشاهد في قوله (يتامى النساء) فقد ذكر بعضهم أنّ الإضافة فيها على معنى اللاّم ومعنى اللاّم الاختصاص».[1]

4. **قرينة التبعية:** وهي من القرائن الكبرى التي تضم في مباحثها عدّة ظواهر، وأهمها: النعت، التوكيد العطف والبدل.

أ. **النعت:** عرّف النعت بأنّه «تابع يكمّل متبوعه ببيان صفة من صفاته، أو صفة من صفات ما يتعلّق به ويطلق على كلّ لفظ يصف ما قبله اسم النعت أو الصفة، أمّا الاسم الذي يسبق النعت فيسمّى (منعوتا) أو (موصوفا)، والنعت قسمان:

- **حقيقي:** وهو الذي يبيّن صفة من صفات المنعوت، أي أنّ يكمّل متبوعه بدلالته على معنى فيه نحو قوله تعالى:﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً** ﴾[الفجر:27- 28]

- **سببي:** وهو ما دلّ على صفة في اسم بعده له صلة وارتباط بالمنعوت بسبب من الأسباب، ويؤكد هذه الصفة اتّصاله بضمير يربطه بالمنعوت ويطابقه، كقوله تعالى :﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا**﴾**[**من سورة النساء: 75]»[2]

أغراضه: للنعت أغراض متعدّدة:

- **التّوضيح:** إذا كان المنعوت معرفة، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ**﴾**[**الرعد من الآية:12]

[1] جميل أحمد ظفر النحو القرآني (قواعد وشواهد)، ص426.

[2] هادي نهر، النحو القرآني الدلالي، ص186.

- **التّخصيص**: إذا كان المنعوت نكرة، كما في قوله تعالى :﴿**قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَة صَفرَآءُ فَاقِع لَّونُهَا**﴾ **[البقرة من الآية:69]**
- **المدح**:كما في قوله تعالى:﴿ **ٱلحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلعَلَمِينَ**﴾**[البقرة:2]**.
- **الذم**:كما في قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا قَرَأتَ ٱلقُرءَانَ فَٱستَعِذ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ**﴾**[النحل:98]** ورجيم فعيل بمعنى مفعول أي أنّه مرجوم مبعد من الخير، وقيل بمعنى فاعل لأنّه يرجم النّاس بالوسواس وينفث في صدورهم حب الشر والانقياد للهوى.
- **التوكيد**:كما في قوله تعالى :﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفخَة وَاحِدَة** ﴾ [الحاقة: 13] والتوكيد هنا بلفظة واحدة.[1]

يأتي النعت على وجوه مختلفة، قد نعدّد بعضها فيما يلي:

- النعت باسم مشتق كاسم الفاعل نحو قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَآءَهُم رَسُول مِّن عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقا لِّمَا مَعَهُم**﴾[البقرة من الآية: 101] ف(مصدق) اسم فاعل وقع نعتا لرسول.

وقد يكون اسم مفعول نحو قوله تعالى:﴿**وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلنَٰهُ مُبَارَك مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَينَ يَدَيهِ**﴾[الأنعام من الآية:92]، ف(مبارك) اسم مفعول وقع نعت للكتاب.[2]

- النعت بالصفة المشبهة نحو قوله تعالى: ﴿**أَلَم تَرَ كَيفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلا كَلِمَة طَيِّبَة كَشَجَرَة طَيِّبَةٍ أَصلُهَا ثَابِت وَفَرعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ**﴾[إبراهيم: 24]
- النعت بأفعل التفضيل نحو قوله تعالى:﴿**فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحسَنُ ٱلخَٰلِقِينَ**﴾[المؤمنون من الآية:14].

وقد يأتي النعت بالجامد كاسم الإشارة نحو قوله تعالى:﴿**فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُم لِقَآءَ يَومِكُم هَٰذَآ**﴾[السجدة من الآية:14]، ف(هذا) اسم إشارة قد وقع نعتا للفظ (يوم).

- ويأتي النعت جملة فعلية مثبتة نحو قوله تعالى:﴿**فَلَولَا كَانَت قَريَة ءَامَنَت فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ**﴾[يونس من الآية:98] فجملة (آمنت) في محل رفع نعت لقرية، ومثله قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرتَدَّ مِنكُم عَن دِينِهِۦ فَسَوفَ يَأتِى ٱللَّهُ بِقَوم يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُۥ**﴾[المائدة من الآية:94] فجملة (يحبهم) في محل جر نعت لقوم.

[1] جميل أحمد الظفر، النحو القرآني (قواعد وشواهد)، ص458، 459.

[2] يُنظر: جميل أحمد ظفر، المرجع نفسه، ص462.

- كما قد يكون جملة فعلية منفية نحو قوله تعالى: ﴿**رِجَال لَّا تُلۡهِيهِم تِجَٰرَة**﴾[النور من الآية: 37] فجملة (لا تلهيهم) في محل رفع نعت ل(رجال).
- كما يمكن أن يأتي النعت جملة اسمية مثبتة نحو قوله تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰت مُّحكمات هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ**﴾[آل عمران من الآية: 7] فجملة (هن أم الكتاب) جملة اسمية في محل رفع ثان للفظ آيات.
- ويكون جملة اسمية منفية نحو قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَة وَٰحِدَة مَّا لَهَا مِن فَوَاق**﴾[ص:15] فجملة (ما لها من فواق) في محل نصب نعت ثان ل(صيحة).
- ويأتي شبه جملة نحو قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢا بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ**﴾[آل عمران: 169]، وقوله تعالى: ﴿**لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُول مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ**﴾[التوبة من الآية:128].[1]

ب.**التوكيد**: «التوكيد بوصفه تابعا هو ما يرفع توهم مضاف إلى المؤكد، أو ما يرفع توهم عدم إرادة الشمول هذا في التوكيد المعنوي، أمّا في التوكيد اللّفظي: فهو تكرار اللفظ الأول بعينه توكيدا له واعتناء به، ويتخذ التّوكيد في العربية أنماطا مختلفة وأساليب شتّى فهناك التّوكيد بالأسماء وما يجري مجراها كالتّوكيد بالنعت والحال والتمييز والتوكيد بالأفعال كما هو في القسم، والتوكيد بالحروف، وبالزيادة وبالقصر وبتقديم ما حقه التّأخير وغير ذلك من أساليب التّوكيد وأنماطه.[2]

إنّ التوكيد نوعان: توكيد معنوي وتوكيد لفظي.

- **التوكيد المعنوي**: يكون بسبعة ألفاظ، وهي: « النفس، والعين، وكلٌّ، وجميعٌ، وعامّةٌ، وكلا، وكلتا، نحو: خاطبت الأمير نفسه، أو عينه، واشتريت البيت كلّه، أو جميعه، أو عامتّه، وبرَّ والديك كِليهما، وصُن يديك كلتيهما عن الأذى، ويجب أن يتصل بضمير يطابق المؤكدّ»[3]

فشرط الاتّصال بالضمير المطابق للمُؤكَد يخرج هذه الألفاظ من دائرة التوكيد إذا انفردت بنفسها، ففي قوله تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا**﴾[البقرة من الآية: 29] ليس توكيدا لفظيا لعدم اتصاله بالضمير المتّصل بها.

---

[1] يُنظر: جميل أحمد ظفر، النحو القرآني(شواهد وقواعد)، ص465، 466.

[2] هادي نهر، النحو القرآني الدلالي، ص213.

[3] حفني ناصف وآخرون، الدروس النحوية، دار العقيدة، الإسكندرية، دط، 2007هـ، 2007م،

لم يرد في القرآن الكريم التوكيد بالنّفس والعين، وإنّما ورد لفظ (أنفس) جمع نفس محتملا أن يكون توكيدا في قوله تعالى:﴿ **وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ** ﴾[البقرة من الآية:228].

من التوكيد ب(كلّ) قوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ**﴾[هود من الآية:123]، ومن التوكيد ب(كلتا) قوله تعالى: ﴿ **كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗا**﴾[الكهف:33]، ومن التوكيد ب(أجمعين) قوله تعالى: ﴿**فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ**﴾[الحجر:30].

وقوله تعالى:﴿ **فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ (94) وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ**﴾[الشعراء من الآية:94] [1]

-التوكيد اللّفظي:

«وهو تكرار المؤكد بلفظه، أو بما في معناه، ويعرب في كلّ حالاته توكيدا لفظيا تابعا للمؤكد في الإعراب دون أن يكون له تأثير في شيء بعده»[2]

الغرض من التّوكيد اللّفظي أمور، أهمها:

- تمكين السّامع من تدارك لفظ لم يسمعه، أو سمعه ولكن لم يتبينه.
- يُؤتى به لغرض التهديد، كما في قوله تعالى في خطاب المعاندين بالباطل: ﴿ **كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ**﴾[التكاثر].
- كما يكون للتهويل، كقوله تعالى:﴿ **وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ (17) ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ**﴾[الانفطار: 17. 18]
- ويأتي للتلذذ بترديد لفظ مدلوله محبوب مرغوب فيه، نحو: الجنة الجنة ما أسعد من يفوز بها، الأم الأم أعذب لفظ ينطق به الفم.[3]

. من أمثلة التّوكيد، قوله تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ**﴾**[**التوبة من الآية: 30]« إن قال قائل: كل قول هو بالفم، فما الفائدة في قوله بأفواههم؟ فالفائدة فيه عظيمة بينة، المعنى أنه ليس فيه بيان ولا برهان، إنما هو قول بالفم»[4]

---

[1] يُنظر: جميل أحمد ظفر، النحو القرآني(قواعد وشواهد)، ص495.

[2] عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص379.

[3] عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص526.

[4] إبراهيم أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص443.

فالقول عادة يكون بالفم، وهو المعلوم عند الجميع، فلم يأت الخطاب لتبيين موضع صدور الأقوال وإنّما لغرض أبلغ من ذلك وهو توكيد المعنى وتقويته.

. مثلها قوله تعالى: ﴿ **وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم** ﴾[الأنعام من الآية: 38]، قال الزجاج «"يطير بجناحيه"، على جهة التوكيد» ، فالأصل هو أنّ طيران الطائر يكون بجناحيه، ولو انكسر أحدهما امتنع عن ذلك واستحال له الأمر، وإنما جاءت كلمة (بجناحيه) لزيادة توكيد المعنى وتوضيحه.[1]

. قوله تعالى: ﴿**كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا(21) وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا**﴾[الفجر: 21، 22] فـ(دكا) منصوب على المصدرية و(دكا) الثاني توكيد للأول،...وقال تعالى: ﴿ **أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ (34) ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ**﴾[القيامة:34. 35] بتوكيد الجملة، والأولى إذا أردنا توكيد اقرّناها بالعطف وهو (ثمّ) خاصة وجعل بعضهم (الفاء) كـ(ثمّ) والعطف في مثل هذا صوري لأنّ بين الجملتين تمام الاتصال،... ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ(4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ** ﴾[النبأ: 4. 5]...»[2]

فالملاحظ أنّ التوكيد اللّفظي يتخذّ أشكالا مختلفة، ويكون في مواضع متعددة، فيكون في الأسماء وما جرى مجراها، كما قد يكون في الجمل سواء فعلية أم اسمية.

ج.**العطف**: وهو الربط بين عنصرين أو أكثر من عناصر الجملة، قصد خلق تماسك بين أجزاء الجملة.

1.أنواعه: العطف يأتي على نوعين عطف بيان وعطف نسق:

–عطف البيان: ويعرّف على أنّه: «اسم جامد يتبع اسما سابقا عليه يخالفه في لفظه ويوافقه في معناه، للدلالة على ذاته،...ويعترف النحاة بأنّ عطف البيان يصح إعرابه بدلا، بدل كلّ من كلّ، لكنهم يقرون أنه هناك مواضع لا يصح أن يكون فيها بدلا،...»[3]

عطف البيان يأتي لأغراض كثيرة وأنّ أشهرها أربعة:

– توضيح متبوعه وهذا يكون في المعارف كأقسم بالله أبو حفص عمر.

– تخصيص متبوعه وهذا يكون في النّكرات نحو قوله تعالى: ﴿ **وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ**﴾[إبراهيم:16]، وقوله سبحانه: ﴿ **يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ** ﴾[النور من الآية: 35] عند من جوّز مجيء عطف البيان في النكرات.

---

[1] إبراهيم أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص245.

[2] هادي نهر، النحو القرآني الدلالي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2018، ص220.

[3] عبده الراجحي، التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1998م، ص383.

- المدح نحو قوله تعالى:﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾ [المائدة:97] ذكر هذا صاحب الكشاف.
- التأكيد وذلك كما في قول الشاعر: *لقائل يا نصر نصرا نصرًا*[1]

يأتي عطف البيان مشابه االتوابع الأخرى كالنعت والبدل والتوكيد، لكن الضابط في التفريق بينها يكمن إجماله فيما يأتي:

-الفارق بين عطف البيان والنعت هو أنّ النعت الحقيقي لا بدّ من اشتماله على ضمير مستتر يعود على المنعوت، كما أنه يغلب عليه الاشتقاق، وإضافة إلى ذلك أنّه لا يوضح ولا يخصص الذات الأصلية لمنعوته بلفظ يدل عليها مباشرة، وإنّما يوضح منعوته بصفة عرضية....أما عطف البيان فإنّه يوضح أو يخصص الذات نفسها بلفظ يدل عليها مباشرة، كما يغلب عليه أن يكون جامدا فيكون كالعلم المجرد والكنية..

-أمّا الفارق بين عطف البيان والتوكيد اللّفظي هو أنّ الغرض من عطف البيان: الإيضاح والتّخصيص، أمّا الغرض من التوكيد اللّفظي فهو كما سيأتي بيانه من: تمكين السّامع من تدارك لفظ لم يسمعه، كما أنّه يأتي للتهديد أو التهويل.

-أمّا الفارق بين عطف البيان والبدل، فيصعب التّفريق بينهما، بل إنّ الكثير من النحاة يعتبرونها كالشيء الواحد، فيمكن وضع أحدهما مكان الآخر.[2]

– عطف النسق: وهو:«العطف بحرف من حروفه المعروفة، ولعلهم سموه نسقا لأنّه ينسق الكلام بعضه على بعض، بحيث يأخذ المعطوف نسق المعطوف عليه في أحكام معيّنة»[3]

في عطف النسق « يقوم الحرف مع التّطابق في العلامة الإعرابية بالدور العظيم في ترابط المعطوف بالمعطوف عليه، وقد تتوافر عناصر أخرى من خارجهما، كأن يكون المعطوف عليه والمعطوف مطلوبين لما يدل على المشاركة، مثل: اختصم، واشترك، وتصالح، إلى آخر هذه الأفعال التي تدل على التّسوية والبينية، أو يكون العطف على الضمير الذي يكون في محل رفع فإنّه لا بدّ من أن يؤكد أولا بضمير منفصل ليصح العطف مثل قوله تعالى: ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾[البقرة من الآية: 35]، وقوله

[1] محمد محي الدين عبد الحميد، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الطلائع، القاهرة، دط، 2009م، ص160

[2] يُنظر: علي حسن، النحو الوافي، ص542، 543.

[3] عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص384.

تعالى:﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُم هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[الأعراف من الآية: 27]، أو يفصل بفاصل مثل قوله تعالى:﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾[الأنعام من الآية:148]»[1]

يأتي عطف النسق بحروف العطف التسعة المعروفة وهي: الواو، الفاء، ثمّ، أو، أم، بل، لا، لَكِنْ، حتّى. ولكل من هذه الحروف معنى وبعد دلالي.

2.أشكال العطف: يتخذ العطف عدة أشكال ومنها:

أ. عطف اسم على اسم نحو: قوله تعالى: ﴿**قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ**﴾[الأحزاب من الآية:22]

ب. عطف فعل على فعل، نحو قوله تعالى: ﴿**وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ**﴾[محمد من الآية: 36]، وقوله تعالى:﴿ **فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا**﴾[مريم:97]

ج. عطف جملة على جملة، نحو قوله تعالى:﴿ **إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم**﴾[الغاشية].[2]

3.معاني بعض حروف العطف في القرآن الكريم:

-**الواو:** ومعناها مطلق الجمع بين المتعاطفين من غير دلالة على ترتيب وعدمه على الصحيح، وهي تعطف الشيء على مصاحبه، نحو قوله تعالى: ﴿ **فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ**﴾[العنكبوت من الآية:15]، كما تعطف الشيء على سابقه نحو قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ**﴾[الحديد من الآية:26]

-**الفاء:** من الحروف العاطفة التي تقتضي التشريك في اللفظ والمعنى، وهي تفيد الترتيب كما في قوله تعالى:﴿ **فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ**﴾[البقرة من الآية:36]، كما تفيد التعقيب نحو قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً**﴾[الحج من الآية:63].

-ثمّ: من الحروف العاطفة التي تقتضي التشريك في المعنى، وتفيد ثلاثة أمور:التشريك في الحكم، والترتيب والمهلة ومن العطف بـ(ثمّ) قوله تعالى: ﴿ **وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ**﴾[التوبة من الآية:118].

---

[1] محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص193.

[2] يُنظر، خالد عبد العزيز، النحو التطبيقي، دار اللؤلؤة، مصر، ط3، 1440هـ، 2019م، ص567، 568.

-**(أم) و(أو)**: فهما من الحروف التي تقتضي التشريك في الحكم والمعنى مقيدا، وشرطهما ألا يقتضيا إضرابا، و(أم) تأتي على نوعين: متصلة ومنفصلة، فالمتصلة تكون مسبوقة بهمزة بتسوية كما في قوله تعالى: ﴿**سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ**﴾[إبراهيم من الآية: 21]، وقد تكون مسبوقة بهمزة طلب نحو قوله تعالى: ﴿ **ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا**﴾[النازعات:27]، أما (أم) المنقطعة فسميت بذلك لأن الجملة بعدها تأتي مستقلة، كما في قوله تعالى: ﴿ **تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (2) أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ** ﴾[من سورة السجدة]، و(أم) لها معان مختلفة حسب السياق الذي وردت فيه، ومن العطف بـ(أو) قوله تعالى: ﴿**قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ** ﴾[الكهف من الآية: 19]، وقد أفادت الشك من المتكلم، وقوله تعالى: ﴿ **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖ**﴾[البقرة من الآية:196] وقد جاءت (أو) هنا للتخيير.[1]

فحروف العطف تأتي للدلالة على معاني متبيانة، تختلف باختلاف السياق الذي وردت فيه، والغرض الذي سيقت لأجله، وإحصاء هذه المعاني يُعيننا على الاستعمال المناسب لها الذي يختلف ويفترق عن غيره.

د.البدل:

1.تعريفه: هو «تابع مقصود بالنسبة من غير واسطة فهو لذلك ليس مكملا للمقصود بالنسبة كما هو الحال في بقية التّوابع، وإنّما هو مقصود بالنسبة أو الحكم المعين قصدا مباشرا ومن غير واسطة كما هو شأن المعطوف»[2]

والفرق بين البدل وغيره من التّوابع أنّه مقصود بالحكم فيخرج بذلك: النعت والتأكيد وعطف البيان، فإنها مكملّة للمتبوع المقصود بالحكم، لأنّها هي المقصودة بالحكم، أمّا أنّه بدون واسطة: فذلك مخرج لعطف النّسق، كقولنا: جاء زيد وعمرو، فإنّه وإن كان تابعا مقصودا بالحكم، ولكنّه بواسطة حرف العطف.[3]

فرق ابن جني بين البدل وغيره من التّوابع حين قال:«إنّ عبرة البدل أن يصلح بحذف الأول وإقامة الثاني مقامه»

[1] يُنظر: جميل أحمد ظفر، النحو القرآني، ص474. 484.

[2] هادي نهر، النحو الدلالي القرآني، ص250.

[3] يُنظر: ابن هشام الأنصاري، شرح قطر النّدى، ص414.

2.أغراضه:

ويأتي البدل في الجملة العربية لغرضين أساسيين هما:

أ. **التوضيح أو التخصيص بيانا لأهمية المتبوع:** قال تعالى:﴿**وَٱسۡتَفۡتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**(15) **مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ**﴾[من سورة إبراهيم:15- 16]

ب. **التوكيد:** لأنّ المبدل منه كالمجهد للبدل، والبدل إنما يقرر أنّ الحكم أو النسبة قد تأكدت في الجملة وثبتت، كقولك: (يسرني محمد كرمُهُ)، قال تعالى: ﴿**يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤۡمِنِينَ**﴾[سورة التوبة:62]، أي: والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه، فحذف خبر الأول لدلالة خبر الثاني عليه.[1]

. نحو قوله تعالى:﴿ **وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌ**﴾ [الزمر:60] حيث يقول الزجاج: « "وجوههم مسودة"، على البدل من "الذين كفروا"، المعنى: "ويوم القيامة ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة"[2]»

.وقوله تعالى:﴿ **يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ**﴾[البقرة:217]، حيث قال الزجاج :«"قتال"، مخفوض على البدل من "الشهر الحرام"، المعنى: يسألونك عن قتال في الشهر الحرام»

فليس المقصود هنا السؤال عن الشهر في حدّ ذاته، وإنّما المقصود هو السؤال عن القتال فيه وحكم ذلك.

3.أنواع البدل:

جعل النحاة للبدل أنواعا أربعة هي:

أ . **بدل كل من كل** : أو ما يسمى بالبدل المطابق وهو الأكثر مثل قوله تعالى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** ﴾[6. 7] فالصراط الثاني بدل من الأول وهو لأن الصراط المستقيم هو صراط المنعم عليهم، ولأن البدل هو المبدل منه في هذا النوع لا يتصل بالبدل ضمير يعود على المبدل منه، ويمكن أن يحل محل الأول، ولهذا يستوي هذا النوع من البدل مع تابع آخر سماه النحاة عطف البيان... ويختلف البدل عن البيان في الأمثلة المستوية في أن البدل لا يلزم فيه المطابقة في التعريف والتنكير فليس مشروط أن يتطابق البدل والمبدل منه تعريفا وتنكيرا.[3]

[1] هادي نهر، النحو القرآني الدلالي، ص250.

[2] إبراهيم بن السري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج4، ص360

[3] محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص190.

ب. بدل جزء من كل: وهو إبدال الشيء من الشيء وه بعضه.

د. بدل اشتمال: يدل على معنى في متبوعه، فليس هو بالأول ولا بعضه ولكن المعنى يصح عليه كقولك: (يعجبني محمدٌ شعره) فالإعجاب وقع على الشعر.

كذلك (سألت عن محمد أمره) والسؤال عن الأمر الذي وقع قال تعالى: ﴿ **يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ**﴾ [من سورة:217]، والسؤال عن القتال في الشهر الحرام.

قال تعالى:﴿ **قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ**﴾[من سورة البروج: 4. 5] فهم أصحاب النار كما هم أصحاب الأخدود.

د. بدل مباينٌ للمبدل منه : ولا يكون إلاّ في غلط أو سهو، أو نسيان ولا وجود لهذا النّوع من البدل في القرآن الكريم لأنّ القرآن وهو كلام الله العلي منزّه عن الغلط والسهو والنسيان ولا يسبق قوله إلى ما يريده فيتداركه إلى ما يريد ويرجع إليه كما هو في كلام الناس أحيانا، بل أنّ استعمال (بل) وهي للاستدراك بعد غلط أو سهو أو نسيان أولى من استعمال ما يسمّى بالبدل المباين، والأمثلة التي قدّمها النحاة لهذا النّوع من البدل مكلفة ليس لها في الواقع اللّغوي نصيب مقبول.[1]

تعتبر القرائن النحوية على اختلافها لفظية كانت أم معنوية من القرائن التي لها فاعلية في فهم الخطاب وتمييز الفروق اللّغوية بين مختلف التّراكيب المتشابهة والتي تؤدي دلالات متباينة، فمن الضروري مراعاتها خصوصا عند تعاملنا مع النص القرآني.

[1] هادي نهر، النحو القرآني الدلالي، ص252

خاتمـــــــــة:

خاتـــمة:

بما أنّه شارفنا بفضل الله تعالى على إتمام هذا العمل، والذي نسأل الله أن نكون قد وفقنا فيه لوضع إضافة علمية لجامعتنا خصوصا وللبحث العلمي عموما، والذي تناولنا فيها دور القرائن في فهم دلالة النص القرآني وانعكاسه على تبيين مختلف الفروق اللّغوية القرآنية، خلصنا إلى بعض النتائج الرئيسة والتي يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

ـ إن نزول القرآن العظيم بلسان عربي مبين كان له أثر واضح انعكس على هذه اللّغة، وفضله عليها لا يمكن نكرانه بحال من الأحوال، فقد كان مصدر فخر و رقي لها، وفي المقابل فإنّ اللغة خدمت القرآن العظيم من جانب آخر، ففهمه لا يتسنى إلاّ بفقه أسرارها ومعرفة معانيها.

ـ يعتبر فهم القرآن الكريم من أجلّ العلوم القرآنية التي تسعى للوصول إلى مقاصد القرآن العظيم وتدبّر معانيه وتجلية مقاصده وإدراك أبعاده ومكنوناته الكامنة من وراء تراكيبه وشتى أشكاله، وكذا عن وجوه إعجازه وصور بيانه وبلاغته، والاشتغال به يعدّ من أجلّ القربات وأسمى الغايات .

ـ إنّ نزول القرآن الكريم بلسان عربي يقتضي العلم بأصول اللّغة التي نزل بها، وهذا ما دفع المهتمون بالدراسات القرآنية إلى الاستعانة ببعض علوم العربية التي تّعين دارس القرآن على فهمه فهما منطقيًا تلتقي فيه اللّغة بالشّرع وتعصمه من الوقوع في الخطأ والزلل.

ـ تعدّ القرائن بأنواعها من الأدلة اللّغوية والشرعية التي يُستند عليها لفهم فحوى الخطاب، ومعرفة مقصدية النصوص، وبناء على ذلك فإنّه لا غنى لمحللي الخطاب القرآني عنها.

ـ إنّ معرفة الفروق اللّغوية وإدراك التبيان الدلالي يعكس وجها من وجوه الإعجاز اللّغوي في القرآن الكريم، فالقول بالفروق هو اعتراف وإقرار بتفرّد القرآن الكريم بنظام فريد لا يمكن لأحد مضاهاته.

-للقرائن السياقية دور كبير في توجيه المعنى وقراءة النصوص، فلا يمكننا تناول أي خطاب بالتحليل إلا وللسياق منه نصيب، فالقرائن السياقية حاضرة في كل ظاهرة لغوية ولا يمكن فصلها عن النص، ويندرج تحت القرائن السياقية كل العناصر اللّغوية وغير لغوية المعينة على فهم الخطاب.

خاتـــمة:

_ارتبط علم الدّلالة في التراث العربي بالقرآن الكريم، فقد اهتم الأصوليون والمفسرون بدلالة ألفاظه لاستنباط أحكامه، وفهم مقاصده، وبيان مراميه، والمستوى الدلالي هو نتيجة لتلاقح بين علوم شتى فلا يمكن حصره في إطار واحد .

-تختلف أنواع الدّلالة باختلاف تخصص الدّراسة، وهي فيما يتعلّق بعلوم الدين، تنقسم إلى: دلالة المطابقة، دلالة التّضمن، دلالة الالتزام، دلالة الإشارة ودلالة الاقتضاء.

- يدور المستوى الدّلالي حول مباحث أساسية ومنها: ما يتّصل بالمعنى المعجمي من ترادف ومشترك لفظي وتضاد وغيرها.

-القرائن العقلية هي قرائن تعتمد على منطق العقل لفهم أغراض المخاطِب، ولذلك لا يمكننا تجاهلها في فهم الخطاب القرآني إذا لم تتنافى مع النقل أي النصوص الشرعية.

-للقرائن العقلية دور عظيم في فهم المنطوق وتبيين الغامض وإيضاح المبهم، وتمييز المتشابه ولذلك فلا يمكن تجاهلها في فهم النص القرآني، وتحديد مختلف الفروق، لأنّ الحقيقة أنّ الشرع لا يتنافى مع العقل السليم والفطرة السوية.

_ يعدّ المستوى الصوتي البنية التحتية التي تبنى عليها أية لغة، إذ يمثّل رموزها التي تكوّن نظامها فالكلام البشري يتكون من سلسلة من الأصوات التي تحمل في كيانها معاني وعناصر دالة.

_ يدرس علم الأصوات الصّوت اللّغوي من حيث إحداثه أثناء نطقه، وتنقلّه حتّى يصل إلى أذن السّامع، وصولاً إلى كيفية تأويله في الذهن.

- تؤدي الوحدات الصّوتية وظائف متنوعة تختلف باختلاف طبيعة العلاقة بين الصّوامت والصّوائت.

- هناك علاقة وثيقة بين الأصوات اللّغوية ومناسبتها لمعانيها، ويظهر ذلك بوضوح في القرآن الكريم، وقد تفطن المفسّرون لهذه القضية، وحاولوا إحصاء مدلولات الأصوات في القرآن، سواءً كانت مفردة أو مركبة.

- تعتبر القرائن الصوتية كالنبر والتنغيم والوقف من أهم الظواهر الصوتية التي تُعين على فهم الاختلافات الدلالية وتمييز الفروق اللّغوية في النّص القرآني.

خاتـــمة:

-للمستوى الصّرفي موقع هام في الدّراسات اللّغوية، وهو يختص ببنية الكلمة، أي عند اجتماع تلك الأصوات في مفردة واحدة.

-أهم ما وضع في المستوى الصّرفي هو الميزان الصّرفي، وهو مقياس للكلمة يُعرف به أحوالها وحركاتها، وغايته إدراك عدد حروف المادّة، كما له الكثير من الفوائد تتجسد في بيان حال الكلمة، كما يعرّف بعدد الحروف الأصلية فيها، ويوضّح التغييرات الصّرفية التي تحدث على مستواها ...

- عرف مفسرو القرآن ما للصّرف من أهمية في تفسير القرآن ، فاهتموا بالدّلالة التّصريفية له، وحاولوا استقصاء الأثر المعنوي النّاتج عن دلالة المشتقات و الصّيغ الصّرفية على اختلافها.

- للقرائن الصّرفية دور عظيم في الإعانة على تفسير القرآن الكريم وفهمه فهما صحيحًا لا يجانب الصّواب فهي مثلا تمكّن من التّفريق بين التراكيب المتشابهة عن طريق قرينة المطابقة، والتمييز بين الصيغ ذات الأصول الاشتقاقية الواحدة عن طريق قرينة الصيغة.

- شغل المستوى النّحوي موقعًا هاماً من الدّراسات اللّغوية، وهو يُعنى بدراسة تركيب الجملة، كما يضع القواعد التي تتحكم في نظامها.

- ترتبط نشأة النّحو العربي أساسًا بالقرآن الكريم، وذلك خشية الوقوع في الخطأ واللّحن فيه، إثر دخول غير العرب الإسلام، وظهور العجمة في اللّغة وبذلك ظهرت البوادر الأولى للنّحو.

-للنّحو وظائف عديدة منها: صيانة اللّسان من الوقوع في الخطأ الذي يؤدي فساده إلى فساد المعنى، ومنها أنّه يساعد على اكتشاف العلاقات داخل التّركيب، وأهمها الإحاطة بالمعاني النّحوية لفهم المعنى الدّلالي لفهم النّصوص القرآنية، واستنباط الأحكام الشّرعية.

-لم يغفل أهل الدّراسات القرآنية عن بيان علاقة النّحو بالقرآن العظيم، فألحوا على ضرورة تعلمّه لمن أراد فهم القرآن فهماً صحيحًا لا مجال للشك فيه، وذلك بالنّظر إلى مختلف القرائن النّحوية _ معنوية كانت أم لفظية _ للوصول إلى مختلف الدلالات المستقرئة من تلك العلاقات .

خاتـــمة:

– تجسدّت مختلف العلاقات النّحوية بوضوح في النّص القرآني، فكان البيئة الخصبة الذي تجلت فيها المظاهر النّحوية، وقد أدى فهم القرائن النحوية إلى الوصول للبنية العميقة والدلالة النّصية للقرآن العظيم، وساعدت مختلف العلاقات النّحوية وما لها من وظيفة في توجيه معنى النّص القرآني.

– إنّ معرفة القرائن لفظية كانت أم معنوية فضل كبير في فهم الخطاب، إلا أنّ حضورها في النص القرآني أعطاها قدرا واسعا جلب اللغويين والأصوليين والمفسرين للكشف عن مظاهرها، وإبراز وظائفها الدلالية والجمالية التي أدركها أهل العلم في تذوقهم الأسلوب القرآني البديع.

–يعتبر القرآن الكريم أنموذجا لغويا إعجازيا، اجتمعت فيه مختلف الفروع والظواهر اللّغوية متضافرة فيما بينها للوصول إلى كنهه، وأثرها واضح وبيّن في جميع نصوصه، لتبيان معاني ومقاصد الذكر الحكيم.

وأخيرا لا يسعنا في ختام هذا البحث إلاّ رجائنا أن نكون قد استطعنا الإلمام ببعض محاوره الأساسية من دون تفصيل ممل، ولا إيجاز مخلّ، والله الموفق وهو خير مُعين.

قائمـــة المصادر والمراجـــع:

القرآن الكريم: رواية حفص عن عاصم.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي،عالم الكتب، بيروت(لبنان)، ط1، 1408هـ، 1988م.
2. إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية ، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ، د3، 2003م.
3. إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط1، 1408هـ، 1988م.
4. إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج3، دت، دط.
5. إبراهيم عبد الله رفيدة، النحو وكتب التفسير، الدار الجماهيرية، الجماهيرية الليبية، ط3، 1990م.
6. أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، دط، 2005م.
7. أحمد البابيي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية،عالم الكتب الحديث،الأردن، ج1، دط، 2012م.
8. أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، دط، 1415هـ.
9. أحمد بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المكتبة السّلفية، الرّياض،ج3،دط.
10. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى،وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ج1425،15هـ، 2004م.
11. أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، لبنان،ط1، 1418هـ، 1997م.
12. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر،1399هـ، 1979م.
13. أحمد حساني، مباحث في اللّسانيات(الصّوتي، الدّلالي، التّركيبي)، منشورات كلية الدّراسات الإسلامية والعربية ، الإمارات العربية المتّحدة، ط2، 1434هـ، 2013م.
14. أحمد طاهر حسنين، النّظرية اللّغوية عند العرب(الأصوات، الصّرف، المعاجم، النّحو)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010م..

15. أحمد عبد الغفار، التصور اللّغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996م.

16. أحمد كشك، النحو والسياق الصوتي، دار غريب، القاهرة، ط1، 2006م.

17. أحمد مُحَمَّد قدور ، مبادئ اللّسانيات، دار الفكر ، دمشق، ط1، 1996م.

18. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللّغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1418هـ، 1997م.

19. أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، عالم الكتب الحديث، القاهرة، ط5، 1998م.

20. أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ، 2008م.

21. أحمد مومن، اللسانيات (النشأة والتطور)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005م.

22. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، القاهرة، دط، 1430هـ، 2009م.

23. أيمن أمين عبد الغني، الصرف الكافي، مراجعة: عبده الراجحي وآخرون، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، دط، دت.

24. أيمن صالح، القرائن والنص(دراسة في المنهج الأصولي في فقه النص)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1431هـ، 2010م.

25. أيوب بن موسى أبو البقاء الكفوي، الكليات(معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية)،مؤسسة الرّسالة، لبنان، ط2، 1998م.

26. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1376هـ، 1957م.

27. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3، 1404هـ، 1984م.

28. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، قدّم له : مصطفى عبد القادر عطا الله، دار الكتب العلمية،ج1، ط1408،1هـ.

29. بسام بركة، علم الأصوات العام، أصوات اللّغة العربية، مركز الإنماء القومي، بيروت(لبنان)، دت، دط.

30. تمام حسان، البيان في روائع القرآن (دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني)، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1413هـ، 1993م.

31. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2،1979 م.

32. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، الدار البيضاء، المغرب ،دط،1400هـ.

33. جار الله أبو القاسم الزّمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، لبنان،ج1، ط1، 1998م.

34. جار الله أبو القاسم الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل في عيون الأقاويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3،1407هـ.

35. جرجي شاهين، سلم اللّسان في الصّرف والنّحو والبيان، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ط4، د.ت.

36. جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت،ج7، ط3، 1414هـ.

37. جمال الدين بن هشام الأنصاري، شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى،ضبطه: يوسف الشيخ مُحَمَّد البقاعي، دار الفكر، بيروت (لبنان)، دط، 1429هـ، 2008م.

38. جمال الدين بن يوسف(ابن هشام النحوي)، تنقيح: مُحَمَّد أبو فضل عاشور،شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت (لبنان)، ط1، 1422هـ، 2001م.

39. جميل أحمد ظفر، النحو القرآني: قواعد وشواهد، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة، ط2، 1418هـ، 1998م.

40. حسام سعيد النعيمي، أصوات العربية بين التحول والثبات، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، د.ط، 2010م.

41. الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري، الفروق اللّغوية، تحقيق: مُحَمَّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية ،لبنان، ط5، 2018م.

42. حفني ناصف وآخرون، الدروس النحوية، دار العقيدة، الإسكندرية، دط، 2007هـ، 2007م

43. حلمي خليل، العربية والغموض، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 2013م.

44. حمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصّحاح، إخراج: دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، بيروت، دط، 1986.

45. خالد عبد الرحمان العك، من أصول التفسير وقواعده، دار النفاس، بيروت، ط2، 1406هـ، 1986م.

46. خالد عبد العزيز، النحو التطبيقي، دار اللؤلؤة، مصر، ط3، 1440هـ، 2019م.

47. خديجة الحديثي، أبنية الصّرف في كتاب سيبويه، مكتبة النّهضة، بغداد، ط1385،1هـ، 1965م.

48. خلود العموش، الخطاب القرآني(دراسة في العلاقة بين النص والسّياق)، عالم الكتب الحديث، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1،1429 هـ، 2008م.

49. خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ، بغداد، دط، 1983م.

50. الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين ،تحقيق: مهدي مخزومي، إبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية ، العراق، 1980م.

51. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن،تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط4، 1430هـ.

52. سعاد عبد الحميد، تيسير الرحمن في تجويد القرآن، دار التقوى، مصر، ط1، 1430هـ، 2009م.

53. الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ.

54. صالح سليم الفاخوري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، دط، دت.

55. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 2009م.

56. طالب مُحَمَّد إسماعيل، مقدمة لدراسة علم الدّلالة في ضوء التّطبيق القرآني والنّص الشّعري، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 1432هـ، 2011م.

57. عادل فاخوري، علم الدّلالة عند العرب، دار الطّليعة، بيروت، ط2، 1994م.

58. عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر،ج3، ط4، دت.

59. عبد الجليل غزالة، اللسانيات والإسلام والثقافة العربية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، الجماهرية الليبية، دط، 2009م.

60. عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1422هـ، 2001م.

61. عبد الحميد السيد، دراسات اللغة في اللسانيات العربية، دار الحامد، عمان، الأردن، ط1، 1424هـ/2004م.

62. عبد الرحمن جلال الدين السيوطي الحاوي للفتاوي، دار الكتب العلمية، بيروت(لبنان)، ط1، 1421هـ، 2000م.

63. عبد الرحمن جلال الدين السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم،وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، المملكة العربية السعودية، دت.

64. عبد الرحمن جلال الدّين السّيوطي، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 1986م.

65. عبد الرحمن عبد الله المطيري، السياق وأثره في التّفسير)دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدّين، المملكة العربية السعودية، 1429 هـ،2008 م.

66. عبد السلام السيد حامد، الشكل والدلالة (دراسة نحوية للفظ والمعنى)، دار العلوم، القاهرة، د ط، 2002م.

67. عبد الصّبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللّغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت.

68. عبد العال سالم مكرم، المشترك اللفظي في الحقل القرآني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417هـ، 1996م.

69. عبد العزيز علام وعبد الله ربيع محمود، علم الصوتيات، مكتبة الرشد، بيروت، دط، 1430هـ، 2009م.

70. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، ترتيل القرآن الكريم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ط1، القاهرة، 1425هـ/2004م.

71. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني، ص204، القاهرة، ط2، 2002م.

72. عبد الفتاح لاشين، التّراكيب النّحوية الوجه البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ، الرياض، دط، دت.

73. عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود مُحَمَّد شاكر، جدة، دار الموني، ط3، 1413هـ، 1992م.

74. عبد الله بن يوسف الجديع، المنهاج المختصر في علم النحو والصرف، مؤسسة الريان، لبنان، ط3، 1428هـ/2007م.

75. عبد المقصود مُحَمَّد عبد المقصود، دراسة البنية الصّرفية في ضوء اللّسانيات الوصفية، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط1، 2006م.

76. عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، مكتبة المعارف، الرياض (المملكة العربية السعودية)، ط1، 1420هـ، 1999م.

77. عبده الراجحي، التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1998م.

78. عبده زايد، أسلوب عكس الظاهر في ضوء أسلوب القرآن الكريم ولغة العرب، دار الصحوة، القاهرة، دط، 1992م.

79. عثمان أبو الفتح بن جني، الخصائص، تحقيق: مُحَمَّد علي النّجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، دت.

80. عثمان أبو الفتح بن جني، الخصائص، تحقيق: مُحَمَّد علي النجار، دار الكتب المصرية،(المكتبة العلمية)، مصر، دط، دت.

81. علي أبو المكارم، الظواهر اللّغوية في التراث النحوي، دار غريب، القاهرة، ط1، 2006م.

82. علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، دار غريب، القاهرة، دط، 2005م.

83. علي الزوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986م.

84. علي بن مُحَمَّد السيّد الشريف الجرجاني، تحقيق: مُحَمَّد الصّديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دط، دت.

85. علي بن مؤمن بن مُحَمَّد (ابن عصفور الإشبيلي)، الممتع في التّصريف، تحقيق: فخر الدّين قباوة، دار المعرفة، بيروت، ج1، ط1، 1407هـ، 1987م.

86. علي كاظم أسد، المفسر ومستويات الاستعمال اللغوي، الدار البيضاء، النجف (العراق)، ط1، 1428هـ،2007م.

87. علي مُحَمَّد سالم الصرايرة، العلاقات الإسنادية وتحولاتها في القراءات القرآنية، جامعة مؤتة، الأردن، 2011م.

88. عماد الدين مُحَمَّد الرشيد، أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، دار الشهاب، 1420هـ،2000م.

89. عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين:، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، 1418هـ،1998م.

90. عمرو بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، الكتاب، مكتبة الخانجي، ط3، 1408هـ، 1988م.

91. عودة الله منيع القيسي، سر الإعجاز في تنوع الصّيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن الكريم، دار البشير، الأردن، ط1، 1416هـ، 1996م.

92. غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار، عمان(الأردن)، ط1، 1425هـ، 2004م.

93. فاضل السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط4، 1427هـ، 2006م.

94. فاضل السامرائي، الجملة العربية (تأليفها وأقسامها)، دار الفكر، الأردن، ط2، 1427هـ، 2007م.

95. فاضل السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1421هـ، 2000م .

96. فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية، دار عمار، عمان، ط2، 1428هـ، 2007م.

97. فاضل السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، عمان (الأردن)، ط1، 1420هـ، 2000م.

98. فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدّرس اللّساني العربي الحديث (دراسة في النّشاط اللّساني العربي)، دار إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004م.

99. فايز الدّاية، علم الدّلالة العربي(النظرية والتّطبيق)، دار الفكر ، دمشق، ط2، 1996م.

100. فتح الله أحمد سليمان، مدخل إلى الدّلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1412هـ، 1991م.

101. فخر الدين قباوة، التحليل النحوي: أصوله وأدلته، الشركة العالمية للنشر، مصر، ط1، 2006م.

102. فريد عبد العزيز الزّامل، الخلاف التّصريفي وأثره الدّلالي في القرآن الكريم،دار ابن الجوزي ، القصيم، ط1، 1427هـ.

103. كريم حسين ناصح الخالدي، نظرات في الجملة العربية، دار صفاء لنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1425هـ، 2005م.

104. كمال بشر، التّفكير اللّغوي بين القديم والجديد، دار غريب، القاهرة، دط، 2005.

105. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، دط، 2000م.

106. كوليزار كاكل عزيز، القرينة في اللّغة العربية، دار دجلة، الأردن، ط1، 2009م.

107. لقمان مصفى سعيد، التوجيه المعنوي للصيغة الصرفية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة صلاح الدين، أربيل، مجلة التربية والعلم، مجلد: 17، العدد:2، 2010م.

108. مجد الدين فيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، دت، بيروت، لبنان، ط1، 1431هـ، 2010م.

109. مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت (لبنان)، ط8، 1426هـ، 2005م.

110. مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: مُحَمَّد علي النجار،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ط3، 1416هـ، 1996م.

111. مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر،ط.1425،4هـ،2004م.

112. مُحَمَّد السيّد الشريف الجرجاني، معجم التّعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط، د.ت.

113. مُحَمَّد أبو السعود العمادى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت (لبنان)، دط، دت.

114. مُحَمَّد أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت(لبنان)، ط1، 1413هـ، 1993م.

115. مُحَمَّد أبو زهرة ، المعجزة الكبرى(القرآن)، دار الفكر العربي، مصر، دط، دت.

116. مُحَمَّد أحمد خضير، الإعراب والمعنى في القرن الكريم، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، دط، 2001م.

117. مُحَمَّد أحمد خيضر، التّركيب والدّلالة والسّياق(دراسة تطبيقية)،مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، دط، 2005م.

118. مُحَمَّد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، ج1، ط3، دت.

119. مُحَمَّد التاهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م.

120. مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

121. مُحَمَّد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت (لبنان)، ط1، 1427هـ، 2006م.

122. مُحَمَّد المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، دت، دط.

123. مُحَمَّد بن أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصّرف، دار الكيان ، الرّياض، د.ط،د.ت.

124. مُحَمَّد بن عبد الرحمن الشّايع ، الفروق اللّغوية وأثرها في تفسير القرآن ، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1993م.

125. مُحَمَّد بن عبد العزيز، القرائن عن الأصوليين، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، ط1، 1426هـ، 2005م.

126. مُحَمَّد بن عبد الكريم أبو سليمان الخطابي، بيان إعجاز القرآن(ثلاث رسائل في الإعجاز)، تحقيق: مُحَمَّد خلف الله و مُحَمَّد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م.

127. مُحَمَّد بن علي الشوكاني، فتح القدير، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 1428هـ، 2007م، ج16، ص900.

128. مُحَمَّد بن عمر بن بن الحسين الرازي، المحصول في علم الأصول، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، الرياض، دط،1400هـ.

129. مُحَمَّد حسين الذهبي،التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة ،دط، دت.

130. مُحَمَّد حسين الصغير، الصّوت اللّغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، لبنان، ط1، 1420هـ، 2000م.

131. مُحَمَّد حسين الصّغير، تطور البحث الدلالي(دراسة تطبيقية في القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، لبنان، ط1، 1999م.

132. مُحَمَّد حماسة عبد اللّطيف، النّحو والدّلالة (مدخل لدراسة المعنى النّحوي الدّلالي)، دار الشّروق، القاهرة، ط1،1430 هـ،2000 م.

133. مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، دار الشروق، ط1، 1420هـ، 2000م.

134. مُحَمَّد سالم صالح، أصول النظرية السّياقية عند علماء العربية ودور هذ النظرية في التّوصل إلى المعنى، كلية المعلمين بمحافظة جدة، جامعة الملك عبد العزيز، دت.

135. مُحَمَّد علي التّهانوي، كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج ، مكتبة لبنان، لبنان،ط1، 1996م.

136. مُحَمَّد علي الخولي، معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق، الملز(المملكة العربية السعودية)، ط1، 1402هـ، 1982م.

137. مُحَمَّد مُحَمَّد داوود، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، دار جاد للنشر والتوزيع ،ط1، 1432هـ، 2011م.

138. مُحَمَّد مُحَمَّد داوود، كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم، دار المنار، القاهرة، دط، دت.

139. مُحَمَّد محي الدّين عبد الحميد، دروس التّصريف ، الدّار النموذجية للنشر، بيروت ،دط، 1416هـ، 1995م.

140. مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الطلائع، القاهرة، دط، 2009م.

141. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، دت، دط.

142. محمود السيّد شيخوان، الإعجاز في نظم القرآن ، مكتبة الكليّات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1378هـ، 1978م.

143. محمود فهمي الحجازي، مدخل إلى علم اللّغة ، دار قباء، القاهرة ،دط، دت.

144. مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار التوقيفية للتراث، القاهرة، دط، دت

145. مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية للنشر لونجان دار نوبار، القاهرة، ط1، 1997م.

146. مصطفى شاهر خلوف، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، دار الفكر، عمان (الأردن)، ط1، 1430هـ، 2009م.

147. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط9، 1393هـ/1973م.

148. مصطفى فاضل السّاقي، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، 196.

149. نادية رمضان النجار، القرائن بين اللغويين والأصوليين، دار الكتب العلمية، بيروت(لبنان)، 2015م.

150. نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء، الاسكندرية، دت، دط.

151. نعمان جغيم، طرق الكشف عن مقاصد الشّارع، دار النّفائس، الأردن،ط 1، 1435هـ، 2014م.

152. نور الهدى لوشن، علم الدّلالة (دراسة وتطبيق)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2006م.

153. هادي نهر، الصّرف الوافي(دراسة وصفية تطبيقية)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م.

154. هادي نهر، النحو القرآني الدلالي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2018م

155. هادي نهر، علم الدّلالة التّطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2011م.

156. يحي بشير مصري، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، الإدارة العامة للثقافة والنشر، جامعة مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ج1، ط1، 1417هـ، 1996م.

157. يحي بن زياد أبو زكريا الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت(لبنان)، ط3، 1403هـ، 1983م.

158. يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين، الفروق الفقهية و الأصولية، مكتبة الرّشد ، الرياض، ط1، 1419هـ، 1998م.

159. يوسف المرعشلي، إعجاز القرآن والدّلالات الصّرفية ،دار ابن حزم، بيروت، ط1، 20011م.

الكتب الأجنبية المترجمة:

1. أف آر بالمر، علم الدّلالة، ترجمة: مجيد الماشطة، مكتبة الجامعة، بغداد، د.ط، 1985م.

2. كارل بوركلمان، فقه اللّغات السامي، ترجمة: رمضان عبد التّواب، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودي، دط، دت، ص45.

3. ماريو باي، أسس علم اللغة ، ترجمة: أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة، 1419هـ، 1998م.

المجلات والرسائل:

1. بن فطة عبد القادر، أصالة التنغيم في القرآن الكريم، مجلة حوليات التراث، مستغانم، العدد: 18، 2018م.

2. جودة مبروك مُحَمَّد، ظاهرة التّلازم التّركيبي، دراسة في منهجية التّفكير النّحوي، ص113، مجلة التّجديد، المجلد:15، العدد:30، 1432هـ، 2011م.

3. صالح مُحَمَّد سالم، أصول النّظرية السّياقية الحديثة عند علماء العربية، مجلة البحوث والدّراسات، العدد7،1428 م،2007 م.

4. عمر عبد الله، السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد15:، العلوم التربوية والدّراسات الإسلامية،1423 هـ،2003 م.

5. فريد عوض، سياق الحال في الدّرس الدّلالي، إسلامية المعرفة، السنة18، العدد69 :،1433 هـ، 2012م.

6. مختار حمحامي، القرائن وأثرها على الأحكام، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران، 2005، 2006م.

7. نادية رمضان النّجار، التّضام والتّعاقب في الفكر النّحوي، مقال منشور، مجلة علوم اللّغة، دار غريب للنشر، القاهرة، مجلد:3، العدد:4، 1420هـ،2000 م.

فهرس الموضوعـــات

فهرس الموضوعـــات:

إهداء.....

شكر.....

مقدّمة :..... أ

مدخل: القرائن والفروق في الدراسات اللّغوية والقرآنية.....1

المبحث الأول: القرائن في الدراسات اللّغوية واالقرآنية.....2

تعريف القرينة.....3

أنواع القرائن ودورها في فهم النص القرآني.....3

المبحث الثاني: الفروق اللّغوية في الدراسات اللّغوية والقرآنية.....13

الإعجاز اللّغوي في القرآن الكريم.....13

تعريف الفروق.....15

أهمية دراسة الفروق في لغة القرآن الكريم.....16

الباب الأول:.....19

الفصل الأول: القرائن السياقية والدلالية والعقلية ودورها في تحديد الفروق اللّغوية القرآنية.....20

المبحث الأول: القرائن السياقية ودورها في تحديد الفروق اللّغوية القرآنية.....21

أولا: السياق وأهميته في الدراسات اللّغوية وعلاقته بدراسة النص القرآني.....21

تعريف السياق.....21

أنواع السياق.....22

أهمية السّياق ودوره في القراءة.....24

دلالة السّياق في بيان مقاصد الخطاب القرآني.....26

السياق في الدراسات القرآنية.....27

ثانيا:السياق وانعكاسه على فهم المعاني اللغوية وتمييز الفروق اللّغوية القرآنية.....28

السياق اللّغوي ودوره في فهم مقصدية الخطاب القرآني.....28

السّياق غير اللّغوي ودوره في فهم مقصدية الخطاب القرآني.....28

المبحث الثاني: علم الدلالة وأهميتها في الدراسات اللّغوية وعلاقتها بدراسة النص القرآني.....31

تعريف الدلالة 32

علم الدّلالة في الدّراسات اللّسانية الحديثة.....32

مكانة علم الدّلالة بين الفروع اللّغوية 33

الدّلالة في التراث العربي.....33

أنواع الدّلالة.....34

مباحث لغوية من المستوى الدّلالي.....36

المشترك اللفظي.....37

.التّضاد.....41

التّرادف.....44

دور السياق في فهم الدلالة المعجمية وتحديد الفروق اللّغوية القرآنية.....52

المبحث الثالث: القرائن العقلية ودورها في تمييز الفروق اللغوية القرآنية.....56

القرائن العقلية وأهميتها في فهم الخطاب.....56

دور القرائن العقلية في معرفة المعاني وإدراك الفروق اللّغوية القرآنية.....58

الفصل الثاني: القرائن الصوتية ودورها في تحديد الفروق اللّغوية القرآنية.....62

المبحث الأول: علم الأصوات وأهميته في الدراسات اللّغوية وعلاقته بدراسة النص القرآني....63

تعريف علم الأصوات.....64

الطبيعة الصّوتية للقرآن الكريم.....65

وظائف الصّوت اللّغوي.....68

دلالة الصّوت اللّغوي في القرآن الكريم.....72

المبحث الثاني: القرائن الصوتية ودورها في تحديد الفروق اللغوية القرآنية.....73

قرينة النبر.....73

قرينة التنغيم.....88

قرينة الوقف.....97

الباب الثاني: 109

الفصل الأول : القرائن الصرفية ودورها في تحديد الفروق اللّغوية القرآنية.....110

المبحث الأول: علم الصّرف وأهميته الدّراسات اللّغوية وعلاقته بدراسة النص القرآني.....110

تعريف الصّرف: لغة واصطلاحًا 111

موضوع علم الصّرف ومكانته.....113

مكونات النّظام الصّرفي في اللّغة العربية.....114

تعريف الميزان الصّرفي وفوائده.....115

تداخل النظام الصّرفي بالفروع اللّغوية 116

الدّلالة التّصريفية في القرآن الكريم.....117

المبحث الثاني: دور القرائن الصرفية في معرفة المعاني وتمييز مختلف الفروق اللّغوية القرآنية119

قرينة المطابقة.....119

قرينة مبنى الصيغة.....131

الفصل الثاني: القرائن النحوية ودورها في تحديد الفروق اللّغوية القرآنية 155

المبحث الأول: القرائن النحوية وأهميتها في الدرس اللّغوي وعلاقتها بدراسة النص القرآني..156

مفهوم النّحو : لغة واصطلاحًا.....156

نشأة علم النّحو العربي.....157

النّحو في الدّراسات اللّسانية الحديثة.....159

وظيفة النّحو و غايته.....159

مكونات النّظام النّحوي في اللّغة العربية.....161

الإعجاز التركيبي في القرآن الكريم.....161

المبحث الثاني: القرائن النّحوية ودورها في معرفة المعاني وتمييز مختلف الفروق اللّغوية.....163

أولا: القرائن النّحوية اللّفظية:.....164

قرينة الإعراب.....164

قرينة الرتبة.....167

قرينة الذكر والحذف.....171

قرينة التّضام:.....175

قرينة الربط.....178

قرينة الأداة.....181

قرينة التعريف والتنكير.....185

ثانيا: القرائن النحوية المعنوية.....188

قرينة الإسناد.....188

قرينة التّخصيص.....189

قرينة النسبة.....190

خاتمة.....213

.قائمة المصادر والمراجع.....218

.فهرس الموضوعات.....232

ملخص:

نالت اللغة العربية شرفها من القرآن الكريم، وقد ارتبطت به ارتباطا وثيقا جعلها لا تنفك عنه ولا تكاد تنفصل عن عراه، وقد أكسبها القرآن الكريم قدسية ميزتها عن باقي اللّغات، فبلغت درجة من السّمو والارتقاء لم تكن لتؤتى لها لولا فضل هذا الكتاب العظيم، فأصبحت محفوظة به، ولأن صيانتها من صيانته أوجد الله عز وجل من ينهض بها ويدافع عن حماها، ويغار على حرمتها، ويرفع من قدرها إجلالا لها، وتمجيدا لحقها، فبينما كانت لغة قوم بعينهم أصبحت تجمع تحت ظلها أجناسا وأعراقا وشعوبا من شتى أرجاء الأرض وصارت لغة دين وحضارة وفكر، لغة عقيدة ومنهج، لغة أقوام يتعبّدون الله بتعلّمها، ويتقربون إليه بفقه أسرارها، لغة قوم يسعون إلى إتقانها ويتنافسون بينهم للكشف عن دلائل إعجازها، وتذوق بيانها، ومن هذا يتبيّن لنا أنّ القرآن الكريم قد حلّق بالعربية عاليًا وسبح بها في فضاء رحب، وجعلها تمتطي سلم الرّقي والحضارة.

إنّ التراث العربي قد حفظ لنا ميراثا لغويا عظيما، لا طالما افتخرنا به، ولازلنا كذلك، فلقد برهن على مستوى كبير من الوعي والنضج منذ وقت مبكر، وذلك لأنه توصل إلى ما لم يصل إليه الغرب إلا في عصر متأخر، من مناهج ونظريات اكتنفتها الأبحاث العربية منذ قرون في تحليل بعض الظواهر اللّغوية، فمثلا لا يمكن لأحد ممن درس الفكر العربي وتعمق في تاريخه، ونهل من علومه وتجول بين صفحاته أن يغفل عن مدى اهتمام العرب بدراسة الخطاب وموضوع الإقناع، فقد حاولوا الإحاطة بالنصوص في ذاتها ، وتناول كل ما يتعلّق بالمخاطِب وكيفية إنتاجه للنص، كما لم يغفلوا عن حال المخاطَب وطريقة استقباله للخطاب مراعين في كلّ ذلك الظروف المحيطة وما تعكسه من دور في فهم الخطاب برمّته، فالعرب لم يكونوا بعيدين عن الفكر التداولي، بل كانت أغلب دراستهم في صميم هذا التوجه، بدءا من اللّغويين والنّحويين إلى المهتمين بالدراسات القرآنية كالمفسرين وأصحاب الإعجاز القرآني وصولا إلى الأصوليين، فكان لكلّ أولئك باع عظيم في هذا الشأن وذلك إن دلّ على شيء فهو يدلّ على ثراء الأبحاث العربية عموما والشرعية على وجه الخصوص بمسائل الخطاب وما ينطوي عليه من إعمال المنطق وإحكام العقل ومراعاة دور القرائن، إذ تعتبر على اختلافها ذات مكانة متميّزة في المقاربة التّداولية، ولولاها لانقطعت الوشيجة التي تصل النصوص ببعضها، وللقرائن مكانة خاصة في الدراسات العربية والشرعية قديما وحديثا،فهي عنصر فاعل في عملية فهم النص وخصوصا القرآني والذي يتميّز بكونه محفوظا عن التحريف

بحيث لا يمكن المساس به أو الخوض في دلالته، فهو يتسم بالدقة في تحديد المقاصد، ولهذا لا يمكن إعمال العقل فيه إلا بما يوافق الشرع والنقل، ومع ذلك نجده منفتحا لقارئه الذي يتذوقه بقلبه وسمعه ووجدانه، ويلمس لذة في حسن نظمه وبديع بيانه، مما يخلق نوعا من التفاعل بين المتلقي والنص القرآني، فيجد له فسحة في تأمل معانيه وتدبر دلالاته والاستمتاع بسمو لغته، والقرآن الكريم هو الذي يدعو إلى تدبر آياته والتأمل في أسراره ومكنوناته، ورغم أن القارئ ليس له سلطة مطلقة في تعامله مع النص القرآني، غير أنّه يمكنه فهم النص من خلال العوامل المساعدة في الوصول للمعنى، وذلك عن طريق تلك الروابط والقرائن لغوية كانت أم غير لغوية التي تعين على إدراك فحوى الخطاب وفهم مقصدية النص القرآني، ولذلك وجب علينا عدم إغفال هذه القرائن ووظيفتها ودورها الفاعل في الوصول إلى دلالة القرآن الكريم، وهي الركيزة التي لا يمكن تجاوزها في تحليل مختلف الظواهر التي يكتنفها الخطاب والتّفريق بين مختلف العناصر اللّغوية، فإدراك الفروق بين الألفاظ والتّراكيب كفيل بفهم مقصدية المخاطَب، وضمان العملية التّواصلية، ولهذا كان من الإجحاف تجاهل مدى حاجة الدارسين إليها.

حاولنا من خلال هذه الرسالة خوض غمار البحث في القرائن على أنواعها لغوية كانت أم غير لغوية بدءا من السياق والدلالة المعجمية، والقرائن العقلية، مرورا بالقرائن الصوتية والصرفية، وصولا إلى القرائن النحوية، محاولين التمييز بين اللّفظية منها والمعنوية، وذلك بإسقاط بعض الظواهر اللّغوية على النّص القرآني، لإدراك مختلف الفروق اللّغوية من خلال هذه القرائن، ولذلك كان لزاما علينا توضيح بعض المباحث النظرية التي تمهد لنا طريق البحث، وتنور لنا درب التحليل والاستقراء والاستنباط، وكان دأبنا في البحث الانطلاق من لغة القرآن الكريم كأنموذج لغوي معصوم ومعجِز يحمل بين طياته دلالات دقيقة ومعان مقصودة، وتراكيب جزلة لا يمكن مضاهاتها أو تشكيك في بلاغتها وإعجازها.

الكلمات المفتاحية:

مباني القرائن ، الفروق اللّغوية، لغة القرآن الكريم.

ABSTRACT:

The Arabic language received its honor from the Holy Quran, and reached a degree of toxicity and upgrading would not have come to it without the virtue of this great book, so it became preserved in it, and while the language of a certain people became a gathering of races, races and peoples from all over the earth and became a language of religion, civilization and thought, language of faith and method, language of doctrine and method, language The language of people seeking to master it and compete among them to reveal the signs of its miracle, and to taste its statement, and from this it turns out that the Holy Quran has flown in Arabic high and swam in a wide space, and made it ride the ladder of the holy and civilization, and brought it up towards For universality.

The Arab heritage has preserved for us a great linguistic heritage, which we have always been proud of, and we are still like that. In analyzing some linguistic phenomena, for example, no one who has studied Arab thought and delved into its history, and learned from its sciences and wandered through its pages, overlooks the extent of Arab interest in studying the discourse and the topic of persuasion, as they tried to surround the texts themselves, and dealt with everything related to the speaker and how he produced the text They also did not neglect the state of the addressee and the way he received the speech, taking into account all that surrounding circumstances and the role it reflects in understanding the speech as a whole. Arabs were not far from deliberative thought, rather, most of their studies were at the core of this approach, starting from linguists and grammaticals to those interested in Quranic studies. Like the commentators and the owners of the Qur'anic miracles up to the fundamentalists, all of them had a great deal of knowledge in this regard. Pronouncing and tightening the mind and taking into account the role of clues, which are considered an effective element in the process of understanding the discourse, as clues of all kinds are considered to have a privileged position in the deliberative approach, and without it the link between texts would have been cut off, and the clues had a special place in Arab studies, in the past and present, as it is the pillar Which cannot be

overlooked in analyzing the various phenomena surrounding the discourse, and for this it was unfair to go beyond them and ignore the extent of the students 'need for them.

All of them had a great deal in this regard, and that if it indicated anything, it indicates the richness of Arab research in general and legitimacy in particular with issues of discourse and what it involves in the implementation of logic and the accuracy of reason and observance of the role of presumptions, as it is considered to be of a distinct position in the deliberative approach, and had it not been for it. The link that connects texts to each other is not broken, and evidence has a special place in Arabic and legal studies, ancient and modern, as it is an active element in the process of understanding the text, especially the Qur'an, which is distinguished by being preserved from distortion so that it cannot be touched or delve into its significance, as it is characterized by accuracy in determining the purposes. For this reason it is not possible to implement the mind in it except in accordance with the Sharia and the transmission, yet we find it open to the reader who tastes it with his heart, his hearing and his conscience, And he feels pleasure in its good organization and the exquisiteness of its statement, which creates a kind of interaction between the recipient and the Qur'anic text. In dealing with the Qur'anic text, however, he can understand the text through the factors helping to reach the meaning, through those links and clues, whether linguistic or non-linguistic, that help to understand the content of the discourse and the jurisprudence of the meanings of the Qur'anic text. Therefore, we must not neglect its function, and its active role in reaching the significance of the Holy Qur'an, and it is the pillar that cannot be overlooked in analyzing the various phenomena that surround the discourse and differentiating between the various linguistic elements. Realizing the subtle differences between words and structures is enough to understand the addressee's intent and ensure the communicative process.

Through this thesis, we tried to delve into the search for all kinds of clues, whether linguistic or non-linguistic, starting with context and lexical significance, mental clues, passing through phonemic and morphological clues, to grammatical clues, trying to distinguish between verbal and moral ones, by dropping some linguistic phenomena on the text. Quranic verses, to understand the various linguistic differences through these clues, Therefore, it was necessary for us to clarify some theoretical

investigations that pave the way for us to research, and enlighten us the path of analysis, induction and deduction, and we have been in the research starting from the language of the Noble Qur'an as an infallible and miraculous linguistic model that carries with it precise connotations, intended meanings, and a plurality of structures that cannot be matched or questioned. Its eloquence and miraculousness.

Keywords: Premises of evidence, linguistic differences, the language of the Holy Qur'an.